رواية

الجين العاصف

أحمد فتحى عوض

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة: الأولى

الكتاب: الجين العاصف

المؤلف: أحمد فتحى عوض

تصنيف الكتاب: رواية

التصميم والإخراج: م/ محمد سالم

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ١٧٩٨٩ / ٢٠١٨

الترقيم الدولى: 978 - 977 - 776 - 745 - 3

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى كل من ساعدني في إخراج هذه الرواية
وإلى الناقد فايز جعفر

مدخل

يواجه الضــوء الجديد الدنيا، يتفتت إلي جزيئات صغيرة تحبو كل منها لتكون شــجيرات عالية تضئ الدنيا، يخبو ضوؤها وتتلاشــي، تجزع الشجرة تتــألم تتناثر إلي ضوء جديد تعود إليــه الحياة.ضوئيات صغيرة تنمو تتكاثر وتصير شجرة كبيرة،

كل ما في الحياة ينمو ثم يتفتت يتجزأ ثم يعود إلي التجمع يلملم شتاته من الضياع، ليعود إلي الحياة ويفعل كما يفعل ســابقا يخطئ ويصيب لا تســتطيع الحياة استيعابه، يتفتت ويتجزأ

التغــير يميز الحياة يعيدها إلــي طبيعتها الأصلية يمنحهــا القدرة علي التجديد إلي أن تصل مبتغاها، تعود شقراء جميلة.

تحيي الأمل الذى مات وتعيد إلي الحياة النبض وترســم في الكون الجمال وتزيل عن الدنيا الغموض.

تشتت الاصوات في الفضاء في عالم بلا جدران ثم تتلاقي معا وتكون أملا في حياة من غير خطأ

يمتــص الكون ما فيه ويغدو عظيمــا إلى أن يصل إلي مكان يعود فيه ضعيفا ويرقد بلا أمل

بريق خاطف للنظر

(١)

وسـط زئير حوالى مائة ألف مشجع في الملعب الجديد في مدينة السادس من أكتوبر، الملعب المخصص لفريق الشـروق، المصمم على هيئة سـفينة عملاقة، منبعجـة من ناحية الجنـوب ويقل الانبعاج رويدا رويدا في اتجاه الشـمال، حيث المقصورة الرئيسـية وصالة كبار الزوار المغلقة المغلفة بالزجاج الواقي من الرصاص، لازالت الصورة السابقة ملتصقة في ذهني.. صورة اشتعال المدرجات تصفيقا.

ليس من أجل حضور الرئيس وابنته وزوجته أرض الملعب.. لكن من أجل هجمة ضائعة من كابتن فريق الشـروق الكابتن صياد. اللاعب المائل إلى السمرة ذو العينين العسليتين.

المباراة هي المباراة النهائية. تقام في السـاعة الثامنة مسـاء حيث الليل في أوله، غاب ضوء النهار.. الملعب يأخذ أضاءته من الدينامو الجديد الذى يعمل باستخدام الطاقة الشمسية المخزنة فيه من النهار الطويل علي مدينة السادس من أكتوبر، الملعب الأول في العالم الذى يسـتخدم هذه الطاقة. بعد موسم كبير قدمه فريق الشـروق الصاعد منذ السنة الماضية له بالدوري الممتاز من الدرجة الأولى.

أسسـه الملياردير المصري ابو نية صاحب شـركات التكنولوجيا للمعدات الحديثة والأطباق الطائرة منذ أربعة سـنوات، اسـتطاع خلالها أن يصعد إلى

الــدوري الممتاز حيث مكث في دوري القســم الثالث ســنة واحــدة، انتقل إلى الدرجــة الثانية مكث بها ســنة، صعد إلى الــدوري الممتاز دوري المحترفين في العام الماضي، قدم أداء كبيراً، أنهى الموســم في المركز الثاني خلف الأهلي، بينما السنة الحالية يتقدم على فريق النادي الأهلي بنقطة.

الأســبوع هو الأخير، يحتاج الفريق إلى التعادل فقط لكى يحصل على درع الــدوري هذا العام، يجتهد اللاعبون في الملعب يــكاد اللاعبون أن يحترقوا في أرض الملعب، لاعبوا الأهلي يبذلون أقصى ما يستطيعون في أرض الملعب.

النتيجــة في منتصف الشــوط الثاني تقدم فريق الشــروق واحد ولا شــيئا لفريــق الأهلي، الذى يكافح للوصول إلى التعــادل.. لكن دون جدوى، يحاول اللاعبــون تقليل الفارق ولكن النتيجة لا تزال كما هي، ســيطرة فريق الأهلي ســيطرة معنوية فقط.. لكن الهجمات تتكســر قبل أن تصــل إلى مرمى الفريق المنافــس، يهلل الجمهــور وخصوصا جمهور الدرجــة الثالثة على كل هجمة لفريق الشــروق، ولنجمها المحبوب الكابتن صياد، أحسن لاعب في الدوري في السنة السابقة والذى سجل هدفي الفوز في مباراة غانا في تصفيات كأس العالم.

يصرخ الجمهور بعنف مثل الطيور الصغيرة التي تصرخ على أمها من أجل الطعام، يتمنى الجميع نجاح فريق الشروق حتى لاعبي فريق الأهلي، لا أحد ينكر أنه الفريق الأحســن في الدوري هذا الموســم، قــدم مباريات وأداء قوى، جعل جميع المحللين يجمعون على أن فريق الشروق هو الأفضل.

في الدقيقة الخامســة والثلاثين من عمر الشــوط الثانــي، في المباراة المثيرة بين الفريقين، يتقدم الجناح الأيمن لفريق الشــروق، يتخطى الجناح الأيســر لفريق الأهلي ثم لاعب خط المنتصف، بإتقان شــديدة يمرر الكرة ناحية الأمام

بالقرب من منطقة الجزاء في الاتجاه الأيسر إلى اللاعب صياد، يستقبلها بدوره ببراعة شـديدة. وقـف جميع الموجودين في المدرجات لينظـروا ماذا يفعل؟ لا تسمع همسة من الجماهير المتواجدين في أرض الملعب، صامتين كل واحد منهم كأنه ساق شجرة يتمايل في الهواء، الكل ينظر إلى أين تتجه الكرة.

يتمايل اللاعب بجسـده يميناً ويسـاراً وينقل الكرة بين كلتي ساقيه حتى يتـوه المدفعـان الملاصقان له عن مـكان تواجدها بين سـاقيه، خلال جزء من الثانيـة يهرب من الدفعين في جانبه، غمز الكرة بالجزء الخلفي من سـاقه، يغير اتجاهه في سـرعة خاطفة يمر من الجميع، يصبـح أمام مدافع الفريق – الليـبرو كابتن الفريـق – يحاول جاهداً أن يوقف تقدم صيـاد ويأخذ الكرة.. ولكن صياد تخطاه بسهولة، أراد تصويب الكرة في أتجاه المرمى، زحف المدافع علـى ركبتيه لكى يتلقـى الكرة بدلا منهما.. لكن صيـاد رفع الكرة قليلا عن أرض الملعب، تخطى المدافع بسـهولة، صار وجهـا لوجه مع حارس المرمى، وبحركة بهلوانية بجسـده الممشوق الذى يشـبه لاعبي الجمباز العظام، أوهم الحارس أنه سـوف ينطلق في اليمن وانطلق إلى اليسـار، أصبح هو و الشـباك فقط وضع الكرة بسـهولة في المرمي، لم ينتظـر دخولها إلى المرمى، رفع كلتي يديـه عاليا ليعلن عن هدفـه الأول.. لكن المدافع الصلب ممدوح – له رأى آخر – قفـز في اتجاه الكرة، غـير اتجاهها إلى الجهة الأخـرى. اصطدمت الكرة بالعارضة الخشـبية ثم بالقائم، دخلـت داخل الملعب مرة أخرى، صدرت من بعض المتفرجين كلمة:

– أه.

بصوت عال بدت علامات الدهشـة علي كل من في الملعب، تعود الكرة إلى

الملعب يراها الكابتن صياد فهي قريبة منه.. لكن في محاذاة صدره، قرر أن يقتنص الفرصة المتاحة، حاول ضرب الكرة بقوة برأسه، قفز إلى الكرة قفزة سريعا، رآه المشجعون، أخرجوا شهيقا عاليا، لم يستكملوا الزفير، لاحظ الكرة مدافع فريق الأهلي ممدوح، قفز إلى الكرة هو الآخر بقوة، صمت الجميع صمتا تاما، وفى أقل من الفيمتو ثانية اصطدم اللاعبان، واندفع إليهم سالم مدافع الأهلي الآخر، اصطدموا جميعاً في الهواء صدمة مدوية.

يضع بعض المتفرجين المتواجدين في أرض الملعب أيديهم على رؤوسهم والبعض الآخر يضع يديه على فمه من هول ما يرى، اصطدمت رأس اللاعب الصياد باللاعبين من كلتي الجهتين، لا بد أنه أصيب إصابة بالغة الخطورة، الحزن يسيطر على أرجاء الملعب اللاعب صياد هداف الفريق والمنتخب، وقف كل واحد من الجمهور على مقدمة ساقه، ينتظرون أن يقف الكابتن كما يفعلها في كل مرة، تعرض إلى تلك الضربات ألاف من المرات من قبل، منذ الصغر وهو يتعرض للركل والضرب لمهارته المعروفة.. ولكنه هذه المرة رقد على الأرض مستسلماً للضربة القوية التي جاءت مزدوجة من المدافعين، قفز الثلاثة إلى الكرة اصطدمت رؤوس اللاعبين الثلاثة في الهواء، ضرب اللاعبون مقدمة رأس الكابتن صياد بضربة مزدوجة أردته مسجياً على أرض الملعب، ارتطمت رأس المدافعين بمقدمة رأس الكابتن الصياد بقوة، التحم اللاعبون الثلاثة معا.

الجماهير صامتون كأنهم يشاهدون تلاحم زوجين من ذكور البقر الوحشي عندما يتنافسا معا على الكلأ، أو يتنافسان لاجتذاب إحدى إناث القطيع ليضمها إلى قطيعه، أو كأنك تشاهد طلقة أربشيه أطلقت بقوة من فوهة مدفعها المعد لإطلاق المزيد من الطلقات وهى ترتطم بإحدى الطائرات المسرعة بسرعة

الصوت في الجــو في إحدى الحروب العالمية، الدماء تســيل على نجيل الملعب الأخضــر اللون كالماء الــذى يروى الحقول في الأراضــي الزراعية عندما تروى بالتنقيط، الحزن يملأ الأجواء.

تســمر جميع من في أرض الملعب على مقدمة ســيقانهم الأمامية، تكســو وجوههم هالة من الحزن، يراودهــم بعض الأمل أن إصابات اللاعبين الثلاثة ليســت خطــيرة، اللاعبون الثلاث مــن الأعمدة الرئيســة للمنتخب القومي، المنتخب الذى سيلعب مباراة غانا الأسبوع القادم، المباراة الفاصلة في التأهل إلى كأس العالم، المباراة ســهلة بعــد أن فزنا على أرضنا بثلاثة أهداف ولم تحرز غانا أهدافــاً، دائما في وجود الكابتن الصياد تختلــف النهائية كثيراً، وأيضا الكابتن ممدوح وعلى لا أعرف ما هو مصير المنتخب الآن.. لكنى شــاهدت ما حدث عن قرب، كنت أجلــس في الصفوف الأمامية في مدرج الدرجة الثالثة.. لاحظــت شــيئاً عجيباً.. لاحظت تقــوس رأس الكابتن صياد، تحول شــكلها كالمســتطيل، كما لو صبت على قالب لصنع الأحجار المســتطيلة الشــكل، مثل علبــة الصفــح التي تطرق عدة مــرة تتقوس الجوانب وتدخــل إلى الداخل، لم أصدق.. وقفت مذهولاً جزءا من الوقت، لم استفق من هذه الصدمة إلا بعد رؤية الدماء وهى تخلط أرض الملعب، مرتبكا مشوشــا مذهولا تائها وســط صرخات الجماهير التي تحضر اللقاء.

أحال الحشــد الجماهيري بيني وبين ما يحــدث، تحايلت على الموقف، التففت إلى شاشــات العرض الموجودة داخل الاستاد لأعرف ما يحدث.. لكنى رأيــت نفس ما رأيته في المرة الســابقة، دماء اللاعبــين الآخرين وهى تختلط بأرض الملعب مع العرق الذى يذرف من جبينيهما كأنه ماء يسقط من شلال في

مصب النهر، ولكن لم ينزف الكابتن صياد أي دماء أو ربما نزف القليل منها، الكاميرات تأتى إليه كثيراً وتبين أن جانبه القليل من الدماء، سألت نفسى:

ـ هل الكسر داخلي إنه أصعب الكسور لآنه يؤدى إلى الوفاة في لحظتها.

أصابني الفزع فأنا أحب الكابتن صياد لدرجة العشـق، أصابتني حالة من الارتبـاك من فقدان الوعـى لثواني، أصيب الحكم بمثـل حالتي لا يعرف ما يفعله ولكنه هو المسئول الأول في الملعب ولا بد أن يأخذ قراره سريعاً، تسمرت أرجله في الأرض لحظات، شـاخصة عيناه إلى اللاعبين. أسرع طبيبا الفريقين للدخـول إلى أرض الملعب قبل أن يطلب الحكم منهما الدخول، لم ينظر الحكم إلى الكرة التي تجاوزت الخط الفاصل للمرمى، دخلت تتهاوى إلى داخل المرمى كأنهـا عروس في زينتها، تتمايل على المسـرح لكى ينظر لها العريس، وقف متسـمراً لا يعرف مـاذا يفعل ؟ أفاق من غيبوبته المؤقتة، التقط أنفاسـه أخذ شهيقاً ممدوداً، وضع صفارته داخل فمه، أطلق صفارة طويلة بعد زفير طويل، امتدت فترة لم تكن فترة وجيزة كالصفارة التي اعتاد أن يطلقها طوال المباراة.. ولكنها اسـتمرت طويلا، لعلها إذناً بدخول الطبيب، ربما تكون تنبيها منه إلى الأجهـزة الفنية أن الإصابة لدى اللاعبين قوية وتحتاج وقتاً للعلاج، دخل الجميـع أرض الملعب أحاطوا باللاعبين الثلاثة من كل الجهات، لم أجد فتحة صغيرة لأنظر منها على اللاعبين المصابين، حتى حارس مرمى فريق الأهلي، لم يلتفت إلى الكرة التي تجاوزت حد المرمى، ولكنه ذهب مسـرعا إلى زملائه الثلاثـة في المنتخـب، يحاول إنقاذ ما يسـتطيع. اقف بـين جمهور الدرجة الثالثة، أحب مشاهدة المباريات بين الجماهير الحقيقية بدلا من مشاهدتها في

التلفاز أو من خلال الأماكن المخصصة للصحفيين.

الأفكار الجيدة تأتى من الجمهور، لا أحد يستطيع تفسير ظروف المباراة غيرهم، لذلك أجلس بينهم لعلى آخذ منهم بعض العبارات التي استفيد منها في عملي كصحفي في جريدة الأمام الرياضية المتخصصة، لذلك أحرص على متابعة جميع المباريات القوية والضعيفة.

نزلت النقالة التي ستحمل اللاعبين إلى خارج الملعب.. لكن دكتور فريق الشروق أشار إليها أن تخرج مرة، رفع العاملون على النقالات اللاعبين المصابين من فريق الأهلي بينما اللاعب صياد مسجى على الأرض والطبيب يقلبه على كل من جنبيه، بعد لحظات قليلة أشار إلى سيارة الإسعاف أن تدخل أرض الملعب لكى تحمل الكابتن صياد إلى المستشفى مباشرة قفزت مكاني بين الجمهور، لا أعرف إلى أين، أنظر إلى التلفاز، لا أعرف ما يحدث في أرض الملعب، أحاول أن أعبر جموع المشاهدين جاهداً، اتسلل بين الجماهير فمنهم من وكزني بساقه القوية ومنهم من يضربني بيده، الكل يحاول ان يبعدني عن مكان وقوفه عن مجال رؤيته لأرى ما يحدث للكابتن صياد، الموقف بالنسبة لي خطير لا بد أن أصل الملعب سريعاً، فعملي أن أعرف أخر التفاصيل الدقيق لكل ما يحدث للاعبين داخل الملعب وخارجه الغضب يتملكني، سيارة الإسعاف لا تنزل أرض الملعب إلا في الحالات الحرجة التي تتطلب تدخل جراحي للمريض الذي لن يجدى معه العلاج الطبيعي، الحالات التي تحتاج إلى تتدخل جراحي سريع، حالات الكسور وحالات الارتجاج والنزيف الداخلي يذهب المريض سريعاً إلى المستشفى لوقف النزيف، الحزن يأكل من رأسي كما تأكل الطيور الحبوب من إنائها، أتأمل الموقف جليا لعلى

أعرف الإصابة، أنظر إلى جهاز التلفاز المعلق في الاستاد، لا أرى شيئا.أسرع في الخطى لعلى استطيع الخروج سريعا من المدرجات والدخول إلى أرض الملعب.. لكــن الــكل يقفون في ذهــول لا يصدقون ما يحدث، جاهــدت حتى وصلت إلى خارج المدرجات وعندها وجدت الحارس يقف بالمرصاد للجماهير يمنعهم من الخروج، يصرخ في غضب:

– يكفى ما حدث في المباراة السابقة،لا تتسبب لي في الفصل من عملي.

ــ أنا صحفي لي حق الدخول إلى الملعب.

حاولــت أن أفهمه إني صحفي أخرجت لــه الكارنيه الخاص.. ولكنه لم يكترث له، أشــاح بوجهه عنــى تلفت حولي لعلي أعــرف أحدا يدخلني إلى الملعــب لكي أصور الكابتن صياد، التزمت مكانــي حتى لمحت صديقي المذيع محمد شعيب مذيع البرنامج الرياضي في الإذاعة، ناديت عليه:

– محمد.

عــدة مــرات، التفت إلى لحظة، حملق فيّ، وقف، أشــار إلى بيده إشــارة فهمــت منها أن أنبه الحارس لينظــر إليه، لفت نظر الحارس الأسمر الضخم إلى صديقي، لم يسمعني من نحيب الجماهير، ونبرات الأصوات المرتفعة التي تملأ جنبات الاستاد، وضعت يدى أمام وجهه بحركات متتالية نظر إلى أشرت إليه لينظر إلى الكابينة، صرخت لكي يسمعني:

انظر.

أتجه بعينــه إلى الكابينة، لوح له صديقي فهم الحارس الإشــارة تركني أدخل الكابينة ومنعني من النزول إلى أرض الملعب عبرت الممشى بين المدرجات والكابينة بصعوبة ودخلت الكابينة، وجدت الدموع تغرق وجه صديقي تنزل

كالأمطار عندما تنحت في الجبل، جلست بجواره صامتاً، أتأمل المنظر بوضوح وطنين الجماهير في أذني كأصوات الغربان عندما تنوح على الأشجار على ميت لها، كاميرات الاستاد تنقل الموقف.. لكنى لحظت ما لحظته سابقا من تقوس في رأس الكابتن صياد، تملؤنا الظنون أنه كسر داخلي في المخ ولا بد من نقله إلى المشفى القريب لوقف النزيف. نزلت سيارة الإسعاف إلى أرض الملعب، أخذ المسعفون منها نقالة، وضعت على الأرض، وطرح عليها الكابتن صياد، وضعوه داخل السيارة، دلف طبيب الفريق إلى جواره. تحركت السيارة مسرعة. ركض مدير الكرة بجوارها حتى لحقها ثم دلف إليها. نظرت إلى صديقي بحزن هززت رأسي قائلا:

– لا بد أن أذهب لأرى الكابتن صياد.

– انتظر حتى ترى حالة اللاعبين الآخرين.

نظرت إليهما، خرجا بعدما أصيب رأساهما بالجروح. حاول طبيب الفريق وقف الدماء، رش مادة لتجلط الدماء، توقف، لف قطعة من الشاش بإحكام على الجرح المصاب، وقف الاعبان، نزلا أرض الملعب.. لكن يترنحان كأنهما ضربا بالضربة القاضية في مباراة للملاكمة، والدماء المضرجة على الوجه تسيل كأنه شلالات، طبيب الفريق لم يتخذ الأمر بتغييرهما ولا المدرب.. ولكن على العكس تماما في فريق الشروق، نزل لاعب صغير أرض الملعب بديلاً للكابتن صياد، لم أستطع أن أكمل المباراة إلى آخرها، يفور في قلبي الحزن على الكابتن، وقفت على ساقى سألني صديقي شعيب:

– ما بك؟

قلت له في حزن وحسرة:

– لا أستطيع الجلوس والكابتن مصاب، لابد أن ألحق به الآن.

أشار إلى جزء صغير من الجدار وقال:

– هذا باب الخروج إلى الجرج أخرج منه، واستقل سيارتك إلى المشفى.

انطلقت دون أودعه، ركضت إلى السيارة ودلفت بداخلها، قبل أن أحرك محرك سيارتي سمعت نبرات صوت خافت.. شخصان يهمسان.. لم أضغط على محرك السيارة، لم تتحرك، سمعت بعض الكلمات التي قفزت إلى أذني:

– اصبحت كل الخلايا في جسد صياد غير قادرة علي العمل.

– هل هو نصف آلى مثل باقي معداتنا.

– لا ولكن الخلايا داخل جسده تحتاج إلي وإزالة التالف منها لتجدد الخلايا، ولكي تفرق بين الخلايا التالفة والخلايا السليمة أحتاج إلي جهاز خاصة.

– هذه النهاية

– نعم أنها النهاية ولا بد من اتخاذ القرار الآن.

– هل ننهى عليه أم لا؟

– هل هناك من يستطيع أن يجدد نشاط الخلايا؟

– لا إن الحل الوحيد أمامنا أن ننهى عليه.

– هل جهزت كل شيء ؟

– قمت بإعداد كل شيء يا سيدي.

– نفذ قبل أن تولد كارثة على الكرة المصرية.

(٢)

يتحــرك الصــوت في أذني في كل الاتجاهات، يركــض في اتجاه ويصل إلي نهايتــه، يتجــه للاتجــاه الآخر، يركض حــتي نهايته، يعــود مرة أخرى كالحيــوان الفار من مفــترس، يركض في كل الاتجاهــات، لا يعرف إلي أين يذهب، يريد الفرار، لا يعرف إلي أين يتجه، حتي يتركه المفترس ويذهب.

اختفى الصوت سمعت صوت فتح باب إحدى الســيارات، تناوبني نوع من شهوة المعرفة، أسأل نفسى:

من يتكلم.

الحديث أثار حاستي الصحفية، قفزت من سيارتي بعد أن فتحت الباب، رأيته.. أنا أعرفه، أنه الدكتور حكيم طبيب العلاج الطبيعي لفريق الشروق.. أنــا أعرفه جيدا.. صديقي منذ عشــرة ســنوات، عندما كان طبيب الناشــئين للمنتخب، تساءلت في نفسى:

ــ ما الذى يحدث هنا ؟

كــدت أن أركــض إليه لــولا أن رأيت رئيس نادى الشــروق معه، صاحب النــادي المليونير أبــو نيه، انتظرت قليلا لعل صاحــب النادي يتحرك أولا.. ولكــن دلف حكيم إلى داخل ســيارته وتحرك بســرعة، انتظر صاحب النادي برهــة مــن الوقت حتى غاب حكيم بســيارته عــن عينيه، وبــدأ في التحرك بسيارته، دلفت إلى سيارتي، تحركت خلف سيارة الدكتور حكيم، لا أعرف

هل هذه حاستي الصحافية أما إنني تعلمت الشك في كل من حولي حتى الشك في صديقي المقرب.. ولكن سيارته تتحرك بسرعة كبيرة لم أستطع أن ألحق بها، نظرت في كل الاتجاهات من حولي لم أجدها، تهت في تفكير عميق، لا أعرف ما يحدث، أدركت بعد ثوان أنى في الطريق السريع، ولا بد أن أسير بسرعة بسيارتي، أفقت من غيبوبتي على أصوات السباب من السائقين اللذين يريدون المرور لتخطى سيارتي البطيئة حتى يستطيعون السير بسرعة على الطريق، هذه الهفوة المؤقتة التي شغلت تفكيري، وجدت نفسى تائهاً بعد الوقت ثم تذكرت بعد برهة أنى ذاهب إلى المستشفى العسكري في مدينة نصر المشفى الخاص بالفريق القومي، لمعرفة حالة لاعبي المفضل الكابتن صياد.. لذلك اتجهت سريعا في أتجاه، وأنا في طريق، ظهرت مرة أخرى سيارة صديقي الدكتور حكيم، هذه المرة صممت أن لا يفلت منى، اراقب تحركاته لا أعرف ما السبب.. ولكن شيء في نفسى يلح على أن أفعل ذلك، توجهت خلفه لا أعرف إلى أين تذهب؟ بعد لحظات قليلة من الولوج خلف السيارة، بانت من بعيد سيارة الإسعاف التي بها الكابتن صياد، انتابني قليل من القلق، تواريت خلف السيارات الكثيفة في الطريق المزدحم، اراقب ما يحدث عن كثب، اقتنص الفرصة لعلي أخرج بموضوع صحفي مثير، دقائق معدودات، تأخرت عن سيارة الدكتور حكيم قليلاً، أنحرف بسيارته إلى الجانب الآخر للطريق على الجانب الأيمن وسيارة الإسعاف على الأيسر، ظننت إنه لا يريد أن لا تحذف الكابتن ومن معه، فعلت نفس ما فعل وعدت عن موكب السيارات المتلاصقة القريبة من الكابتن، سبقت سيارة الدكتور المواكب، فعلت مثله،

الحزن يبدو على الوجوه، بعد ثوان معدودة لاحظت سيارة مرسيدس سوداء تعبر الطريق في الاتجاه المعاكس بسرعة جنونية، عبرت سيارة الدكتور، وجدت السيارة أمامي تماماً، انحرفت بسيارتي يمينا فتجاوزت نهر الطريق إلى الرصيف الرملي القريب.. والحمد لله أننا كنا نسير في الطريق الدائري الكبير الذى به جزء من الرصيف الرملي وبعده الجزء الطوبى الكبير، فعلت نفس السيارات التي خلفي نفس ما فعلت.. ولكن السيارة انحرفت يساراً على سيارات الإسعاف، حاول السائق أن تتفاداها، حاول معه السائقان الآخران، ارتبك أحد السائقين انحرف عن مساره، اصطدمت سيارته بالسيارة التي بجوارها، على الفور اصطدمت بالسيارة التي خلفها ثم بسيارة الإسعاف، رأيت سيارة الإسعاف وهى تطير في الجو مرتين متتاليتين وتنقلب على الرصيف أمام السيارات المتحركة بسرعة كبيرة، اصطدمت بها واحدة، صدمتها أخرى، انحرفت سيارة الإسعاف عبر الطريق إلى أن سكنت بين السيارات، انحرفت سيارة أخرى إليها، تليها سيارة حتى أصبحت كومة كبيرة، أصبحت السيارات المتصادمة كأنها جزء من جبل ينهار ثم يتبعه باقي الأجزاء التي بجواره بالانهيار خلفه، أو كأمواج البحر المتتابعة المتوالية عندما تلتطم بالشاطئ حتى فطن السائقون بالتصادم بدأوا بالتوقف عن السير السريع، توقفت كل السيارات أصبح الطريق السريع كأنه بحر من السيارات الواقفة في انتظار فتح الطريق مرة أخرى، ورفع السيارات المعطلة، انسحبت السيارات المتصادمة التي تستطيع الحركة واحدة تلو الأخرى، انفرط عقد السيارات وبقيت السيارات المقلوبة والمحطمة التي لا تستطيع الحركة من

مكانها كأنهـا كومة كبيرة من الرمال أو كأنها مجموعة من جذور الأشـجار المرصوصـة فوق بعضها بعضـا بعد تقطيعها إلى أجزاء كبـيرة الحجم، كانت سـيارة الإسعاف وسط تلك الكومة محتجزة بين السيارات، جاءت على الفور شـرطة المواصلات ومعها الونش الضخم، حمل بعض السيارات المقلوبة، وصل الونش إلى سيارة الإسـعاف، نزح الجميع إلى السيارة ومعها الدكتور حكيم، ركنت سـيارتي بجانب الطريق، وعدت إلى موقـع الحادثة لكى أتعرف على حالة لاعبي المفضل، وقفت بجانب الدكتور حكيم يسيطر على الحزن، تلتصق أسـناني معا، يكاد لسـاني ينطق بالـكلام من هول الحادثـة، اقترب رجال الشـرطة من الموقع، اخرجوا الكابتن صياد من السيارة لا يتنفس على الإطلاق ويداه كأنهما قطعتين من الحديد همسـت في نفسـي: يا إلهى ما هذا؟ أن عظام تشبه العظام البلاسـتيكية، ويداه المقطوعتان من الخارج تشبه قطعة الخشب عندما تقطع من بعضها، يوجد بجانبه الكثير من الدماء.. لكنى لا أعرف هل هي دماء أو كمية من الماء المتدفق من أحدى مواسـير الماء المنكسـرة في الطريق العام، كمية الدماء كثيرة جداً، أتى الشـرطي هو برتبة نقيب، شـاب صغير السـن، يتكلم بصعوبة قليلا، ممشوق القوام ولكن كلماته تخرج بصعوبة تكاد تفهمها، بجانبي يسأل:

هل رأى أحد السـيارة التي كانت تسـير في الاتجـاه المعاكس، لم يتكلم الدكتور حكيم، لم تتحرك شفتاه، تكلمت، تلجلجت في الكلام همست بصوت غير مسموع:

نعم رأيتها. لم يسمعني الشرطي وقال بصوت قوى:

ـ ماذا تقول. رفعت صوتي قليلا ولكنه لايزال ضعيفاً:

ـ نعم رايتها.

ـ من فضلك يا سيدى هل وصفته لنا، أين هي؟ من بين هذه السيارات المحطمة؟

ـ نعم أعرف السيارة إنها سيارة مرسيدس سوداء أظنها موديل هذه السنة أو السنة السابقة، رقم السيارة (٥٨٧٥٦).

ـ أين هي من بين تلك السيارات؟

ـ ليست بين تلك السيارات؟

في لهفة أين ذهبت؟

ـ أنزلق السائق بين السيارات كأنه أحد لاعبي السيرك العظماء اللذين يتحركون على الحبل بدون أن يتلوى كانه يعرف ما يفعلوا، كأنها مهمة رسمية يقوم بها، تقادي السائق جميع السيارات، وانحرف في اتجاه اليمين في أقل من ثانية واحدة عبر الحد الفاصل بين الطريق، وصل إلى رصيف الطريق، بحركة بهلوانية دورانية غيّر اتجاه السيارة، وأصبح في عكس اتجاه السيارات، تحرك عكس الاتجاه، نزل عن الطريق وذهب إلي الاتجاه الأخر، انطلق بسيارته مع السيارات في نفس الاتجاه كالرياح عندما تهب على القرى، طار فوق نهر الطريق واختفى بين السيارات كأنه نقطة ماء تائهة بين مياه المحيط أو فوتون من ضوء الشمس الساقط على الأرض ضاع بين ملايين الفوتونات الضائعة.

تحملق أنظار الموجودين ناحية الكابتن صياد، ظن الجميع أنه مات من أثر الصدمة، نظر الشرطي إلى الكابتن، وقال: يبدو أنه لن ينجو من الصدمة.

بعـد برهـة قليلة، ارتعش الكابتن ارتعاشـه، أيقن الجميـع أنه لازال على قيد الحياة، كأنه يقول للضابط: إني ما زلت حياً. صاح الشـرطي بصوت جهوري وقلبه يملأه الأمل:

ـ الكابتن حي، الكابتن حي.

ثـم تقدم إليـه كأنه وجد أمامـه الأمل الضائع منه، جلـس على الأرض بجانبه، برك على ركبتيه وضع أذنه على قلبه وصاح:

ـ أين الطبيب.

قفـزت بجانبه كـي أرى ما يحدث، نظرت إلى سـيارة الإسـعاف. قفز بجانبـه الطبيب، يلبس سماعته المعلقة حول رقبته جلس بجوار الشـرطي؟ وضع يده عليه يتفحصه، رفع رأسـه سريعا، أشـار إلى من في السيارة، نزلوا ومعهم النقالة، وضعوها بجانب الكابتن وحمله برقة شـديدة، جمعوا أشلاءه معا حتى الأجزاء المتطايرة من سـاقه ويـده تم جمعها، ووضعها بجانبه على النقالـة، رفعوا النقالة وحملوها بهدوء إلى السـيارة دون أن يتمايل الحامل، نظرة الدكتور حكيم نظرة ثاقبة إلى الطبيب، وقال:

ـ أنا طبيب فريق الشروق هل أستطيع الركوب معكم إلى المستشفى.

ـ تفضل يا دكتور.

تسـمرت في مكاني لا أعـرف ماذا أفعل؟ الأفـكار تغالبني، عزمت علي الذهاب برفقة صديقي حكيم إلى المشفى.. ولكن تنبهت أن هناك مجرم طليق، يجب البحث عنه والقبض عليه.

(٣)

يتلوى كالثعبان الذى يتسحب لاصطياد فريسته حتي إذا جاء الوقت المناسب ينقض بلا رحمة ولا شفقة عليه، يلسعها بسمه حتي تفقد وعيها، يبتلعها حتي دون أن تموت، يتحرك كأنه لاعب سيرك متميز، يقف فوق الحبل يركض عليه دون أن يقع، يرقص فوق الحبل كأنه راقص من أورع الراقصين في فرقة استعراضية، يتحرك كأنه مدرب علي ذلك لسنوات، يعرف ما يفعل، ينظر بعينيه بعد انتهاء مهمة ليعرف هل نفذت أم لا.

أشرت إلى الشرطي لعلي أزيد من حماسه، همست له بتودد:

ـ لا بد أن نقبض على الجاني، لا بد من معرفة السر وراء تلك الحادثة، أشك في نفسى أن الحادثة مدبرة، براعة السائق وهو يتفادى جميع السيارات، جعلتني أشك إنه سائق محترف يتلوى كالثعبان بين السيارات، الرجل ليس شخصاً عاديا بل مدربا على القيام بهذا العمل، لا يستطيع الإنسان العادي أن يفعل ذلك بدون تدريب.

أثرت في الشرطي، اتصل بالإدارة التابع لها، قال بصوت حاد:

يا سيدى يجب أن نبحث عن سيارة مرسيدس سوداء موديل هذه السنة، تتحرك على الطريق الدائري تتجه في اتجاه المعاكس للسادس من أكتوبر.

سمعت من الجهاز الذى في يديه يردد:

علي كل وحدات المرور العاملة على الطريق الدائري أن توقف سيارة

مرسيدس سوداء متواجدة على الطريق الدائري، ذكر الرقم الذى أعطيته أيه. اطمأن قلبي قليلاً، ثم قلت:

ـ أليس هناك أقمار صناعي، تحدد الهدف بدقة متناهية بدلاً من الأفراد الذين دائما ما يخطئون ويتكاسلون.

طلب الضابط المسئول عن الأقمار الصناعية في الحال طلب البحث عن السيارة، وحدد له مواصفاتها وطلب منه معرفة مكانها.

سمعت ضحكة الضابط في الجهاز، يقول:

ـ كم سيارة مرسيدس في مصر موديل السنة الحالية أو حتى السابقة.

بعد ثوان اتصل بالشرطي الموجود معي حدد له سيارتين على الدائري واحدة تسير في اتجاه مدينة نصر، والأخرى تسير في الاتجاه المعاكس إلى الرماية، أنطلق لسان الشرطي قائلا:

أريد مراقبة السيارة المتجهة إلى مدينة نصر.

سمع صوت الضابط يصيح:

ـ السيارة تغير مسارها إلى مصر الجديدة وتتجه إلى المحور وتتجه إلي ميدان العباسية.

صاح الضابط: راقبها جيدا إلى أن ألحق بها.

ـ أمرك يا سيدى.

بعد لحظة قليلة، نادى عليه ضابط المراقبة قائلا:

ـ يا سيدى نزلت السيارة من نزلة العباسية دخلت شارع أحمد حسين في العباسية واختفت عن الأقمار في الشوارع الضيقة المتلاحمة المتداخلة المتقاربة،

اختفت عن الأنظار في الشوارع المتناثرة، يستطيع تحديد مكانها ولكن لا يمكن تصويره بسهولة، قام الضابط بتحديد المكان والشارع الذى تقف فيه السيارة.. لكن لم يؤكد مكانه، لا بد للضابط أن يذهب إلى الشارع الموجودة فيه، يعرف أين توجد ومن سائقها، طلب من النقيب أن تذهب أقرب واحدة من المكان إلي الشارع لمعرفة من هو صاحب السيارة، ذهبت الوحدة القريبة بسرعة إلي المكان. بعد لحظة من التجوال في الشارع وجدوا المرسيدس أمام عمارة كبيرة بها العديد من الأدوار والمحلات، لا يعرف لمن هذه السيارة.. لكن ما دامت أمام العمارة لا بد أنها تخص أحد السكان أو فردا داخلها، وقف سيارة الشرطة أمام العمارة ونزل الضباط، سأل البواب:

ـ من صاحب هذه السيارة.

أجاب البواب: الدكتور مهران الساكن بالدور الثالث شقة تسعة.

ـ هل هو موجود الآن.

ـ نعم.

صعدا إلى الدور الثالث، دخل إلى العيادة، قابلنا الممرض المسئول عن استقبال المرضى وتحديد دور كل واحد منهم في الكشف، سأله الشرطي: لمن السيارة التي في أسفل العمارة.

لم ينكر ملكية الدكتور لها، طلب منه مقابلة الدكتور، سمح له بالدخول عليه، استقبلنا الدكتور بالترحاب، قائلا:

ما الخدمة التي أستطيع تقديمها لكما

قال له الشرطي بجزم:

ـ هل كنت في مدينة نصر اليوم.

ـــ لا لم أكن هناك ولكنى قادم من مصر الجديدة الآن كنت أقوم بالكشـف على مريض هناك.

تأكد من كلمات الدكتور التي قالها بصدقه، أبلغ الشرطي ما حدث للنقيب الذى معي بما حدث، كرر أن يتجه إلي السيارة الأخرى

(٤)

أحسست بانني في طريق مغلق ليس له نهاية، طريق له عديد من الأبواب كل باب له العديد من المفاتيح وكل مفتاح يفتح العديد من الأقفال ولا يوجد إلا بابا واحدا يفتح بمفتاح واحد ويدخل علي حجرة واحدة صحيحة.

أحسست أنى أخطأت في الأمر، غضبت من نفسى لآنى لم أستطع تحديد مكان السيارة، كأننا نسبح في محيط بلا شاطئ.. لذلك أدرت تفكيري ناحية السيارة الأخرى التي تسير في الاتجاه الآخر ناحية ميدان الرماية، نظرت إلى النقيب حركت رأسي قليلاً، سألته:

ـ أين السيارة الأخرى الآن ؟ هل يمكن تحديد مكانها ؟

رد النقيب علىّ بعدما جحظت عيناه إلى الخارج:

ـ لماذا لم نفكر في ذلك.

صمت قليلاً ثم استطرد:

ـ نعم، سوف أتصل الآن بالقيادة.

ـ بسرعة يا افندي حتى لا نفقد آثرها،وتضيع منا هي الأخرى.

أمسك النقيب التليفون الذى في يديه، أتصل بالقيادة صائحاً:

ـ الو، الو، إدارة، هل تستطيع تحديد مكان السيارة المرسيدس التي كانت تتجه ناحية ميدان الرماية ؟

ردد ما قاله أكثر من مرة حتى سمعت صوت يخرج من اللاسلكي:

ـــ النقيب جاسر، ماذا تريد؟

أجاب بصوته الأجش:

ـــ موقع السيارة المرسيدس التي كانت تتجه ناحية الرماية.

أجاب بصوت كزقزقة العصافير:

ـ يتجه إلى مدينة السادس من أكتوبر.

قال النقيب صائحا:

ـــ أين هي الآن؟

ـــ تتجه إلى الحى المتميز في شارع الأشجار.

صاح النقيب:

ـــ حـــدد موقوع الســـيارة واتجاهها ثانيـــة بعد الأخـــرى، أطلعني على موقعها؟

دلف النقيب إلى الســـيارة، جلســـت علي الكرســـي الذي بجواره بجانب الســـائق، بعدما أقنعته بأني أستطيع التعرف علي مرتكب الحادث، انطلقت الســـيارة مسرعة إلى الســـادس من أكتوبر، انطلق الســـائق كأنه يسابق الرياح حتى وصل المدينة، دخل الحى المتميز ثم دخل شـــارع الأشـــجار، حدد المتصل مكان الســـيارة أمام فيلا ١٥ في حي الأشـــجار، لم يتردد النقيب، اتجه ناحية العنوان الذى حدد له، لم يمض وقت طويل حتى وصلنا إلى المكان، قفز النقيب إلى خارج الســـيارة، قفـــزت معه، بحثنا في كل مكان أمـــام الفيلا وخلفها، لم نجد آثراً للسيارة الجيب السوداء، الفيلا التي أمامنا مكونة من ثلاثة طوابق، الطابـــق الأرضيـــة عبارة عن جراج للســـيارات، أمامها مكان واســـع به بعض الأشجار المتناثرة، قفز النقيب إلى داخل الفيلا، قابله حارس الأمن، سأله:

ـ أين تذهب ؟

أخرج كارنيه من جيبه قائلا:

ـ شرطة.

لم يتكلم حارس الأمن تركنا ندخل دون مقاومة، سأله النقيب:

ـ هل رأيت سيارة جيب سوداء تدخل الفيلا ؟

أجاب الحارس الكلمات تكاد تخرج من فيه:

لا يا سيدى، لم أرها، ظن النقيب أن السيارة موجودة داخل جراج الفيلا، لذلك انطلق إلى الجراج، يبحث في كل مكان فيه عن السيارة، لم يجدها، خرجنا من الجراج مسرعين، طرق باب الفيلا الخارجي، فتح الباب عن سيدة تتجاوز السبعين من عمرها، قال لها النقيب:

ـ شرطة.

قالت السيدة:

ـ هل حدث مكروه يا سيدى ؟

ـ لا ولكن نسال عن سيارة مرسيدس سوداء.

أجابت السيدة بالنفي هزت رأسها متعجبة:

ـ لا لم نرها، ربما توجد خلف المبنى.

تركها النقيب واتجه إلى الناحية الأخرى.. لكنه بعد لحظة سمع صوت انفجار مدوياً في المكان وصراخاً، اندفع على آثرها جميع الموجودين في الفيلا إلى الخارج، نظرنا إلى الفيلا، وجدنا النيران تندلع منها من كل الاتجاهات حتى قطع الأثاث تتطاير عبر النوافذ كلها من الفيلا، أسرعت بالخروج خارجها، قفز النقيب خلف سور الفيلا المجاورة، قفزت خلفه، قفز خلفنا

الجنود تاركين سيارة الشرطة، النيران تأكل الأبيض واليابس، اندفع السكان خـارج الفيلا، يركضون في كل الاتجاهات، يفرون من الجذوة المشـتعلة كأنها بركان كبير يلفظ منه الحمم البركانية، استطاع القليل منهم الخروج إلى خارج الفيلا، لم يمر وقت طويل حتى اندفعت بعض السـيارات من الجهة الخلفية تاركة المكان بسرعة، لم نستطع حسابها، نظرت إليه أنا والنقيب، لم نستطع الاندفـاع خلفها، وقف النقيب مذعوراً، اسـتنجد بالقسـم القريب، امسـك الجهاز في يده، قائلا:

ـــ الو، الو، أحتـاج دعماً حالا، حدث انفجار كبـير في الفيلا رقم ١٥ في حي الأشـجار، ارجو التنبيه إلى كل الدوريـات المتحركة والثابتة القريبة أن تتجه إلى الفيلة.

وثب النقيب أمام الناجين، يسأل:

ـ ماذا حدث.

أجابه أحد الموجودين قائلاً:

ـــ يا سيدى نحن في الشقة التي في الدور الثاني.

أتى إلينا أحد يسأل عن مكان أحد شركات الكمبيوتر، أجبته:

لا توجد شركات كمبيوتر في الفيلا، هذه الفيلا كلها سكن للعائلات.

بعد لحظات قليلة، أخرج مسدسا من جيبه، أشار به إلى قائلا:

ارفـع يديك إلى أعلى ولا تتكلم، لكزني بيده، اندفع إلى الشـقة ثم اندفع خلفه باقي زملائه الذين كانوا ينتظرونه خارج الشقة، أشرت إلى من في الشقة أن يفسـح لهم المجال لكى يأخذوا ما يريدون، انطلقوا يبحثون في الشـقة عن

المال وكل ما هو نفيس يستفيدون منه.. لكنهم لم يجدوا ما يسرقونه، تعبوا من التفتيش داخل الشقة، أتوا إلى، صاح في كبيرهم:

ـ أين المال.

أجبت بصوت ضعيف يكاد يخرج من فمي:

ـ لا مال في الشقة.

ـ أين الذهب ؟

قلت مازحاً:

لقد أخطأت في الشقة يا سيدى، الشقة ليست بها مال أو ذهب فهي شقة موظف بسيط في جهاز مدينة أكتوبر.

أعاد البحث مرة أخرى.. لكنه لم يجد مالاً أو ذهباً، لذلك صاح في جميع من معه:

ـ هيا ننفذ ما أمرنا به.

أتجه كل واحد منهم في اتجاه للشقة كأنهم يعرفون المكان أكثر منا، وضعوا الألغام بها، عندما انتهوا، صاح:

ـ نفذ ما جئنا من أجله.

طرد زعيمهم كل من في الشقة إلى الخارج، خرجوا معنا بعدما خرجنا جميعا، أمسك الزعيم بجهاز في يده وضغط عليه بشدة، انفجرت الشقة بما فيها، ودلفوا هم إلى سيارته وانطلقوا مسرعين تاركين المكان

تتناثر منه الأشياء في كل مكان، سمع النقيب كلام الموظف، أمسك بالجهاز الذى في يده وصاح:

أحتاج إلى دعم حالا من كل دوريات الشرطة الثابتة أو المتحركة المتواجدة قرب المكان.

فالحريق كبير، أحتاج إلى دعم لمراقبة تحركات السيارات الجيب الفارهة التي خرجت من هنا حالاً، سأل النقيب عن السيارات التي خرجت، المنطقة محاطة بكاميرات للمراقبة، صمت قليلا ثم كرر السؤال مرة أخرى:

ـ هل حددتم موقع السيارة المرسيدس من الفيلا؟ هل بها سيارة مرسيدس سوداء.

لم تأت الإجابة سريعا انتظر قليلا حتى أتى الصوت من الجهاز مردداً بصوت ضعيف كأنه خائف من إثارة النقيب ورد فعله:

ـ يا سيدى لم نستطع تحديد أية سيارة خرجت من الفيلا لآن الطريق مغلق بسب الحريق الهائل وتكدس السيارات عليه الذى بلغ حوالى نصف كيلو تقريباً أو أكثر، لم نستطع تحديد عدد السيارات التي خرجت وايضاً مكان خروجها،

قال النقيب في غيظ:

ـ سوف أحددها لاحقاً عن طريق كاميرات المراقبة الموجودة في كل المحلات في الشارع القريب وكل الفيلات من المؤكد أن جميع الفيلات بها كاميرات ولكن السيارة السوداء أين تتجه؟

سمعت صوتاً من الجهاز يجيب:

ـ لا يا سيدى لا توجد سيار ة مرسيدس سوداء، فتكدس الطريق بالسيارات يجعلنا غير قادرين على تحديد مكان السيارة المرسيدس أو السيارات الجيب فالسيارات تغرق الطريق كما يغرق المطر الأرض عندما ينزل عليها.

أصيب النقيب بخيبة أمل وزادت حيرته مما يحدث، يهمس في نفسه:

هل اختفت السيارة بالصدفة أم أن الحادث مدبر ومخطط له من البداية ؟ كيف ذلك؟ ولا أحد يعرف مكان السيارة المرسيدس.. ولكن حادثة سرقة بدون أضرار أو إصابة أليس ذلك يثير التساؤل؟ سوف يتم كشف كل ما يحدث قريباً لا بد أن هنالك أمرا يحدث؟ صمت النقيب فترة من الوقت، أيقنت أن هناك ما يشغل تفكيره، سألته لكى أخرجه عن الصمت:

يا سيادة النقيب أليس بين السيارات سيارة مرسيدس ؟

أجاب بصوت واثق:

ـــ لا يوجد بين السيارات سيارة مرسيدس أو سيارة جيب مثل التي خرجت من هنا؟

بانت سيارات الدعم من بعيد بعد لحظات قليلة، أتت سيارات المطافئ، انتشرت السيارات في المكان ومعها الأهالي الذين، تجمعوا حول المكان بسرعة لا أعرف من أين أتوا الكل يحاول المساعدة، يقدم يد العون في إخماد النيران، انشغل الجميع في محاربة النيران ومحاولة إطفائها لمدة ثلاث ساعات، وصلنا إلي منتصف الليل، الرياح تكاد أن تكون ساكنة لذلك تمكن رجال الإطفاء بمساعدة الأهالي من إخماد النيران المدججة التي لو استمرت قليلاً، لأتت على المدينة كلها، عادت الأجواء إلى طبيعتها ولكن كعادة النار لا بد أن تخلف وراءها الحطام أو التراب. فالنيران تأكل كل شيء في طريقها، لا تترك إلا الغبار خلفها حتى من حاول إشعالها تأكله ويصبح من البقايا، كالغبار أو يصبح أثراً على الطريق، فالنار الخيار الأمثل لإخفاء الحقائق عن الناس. هكذا

تختفى الجرائم بالحرق أو الطمث، بحثنا عن آثار للسيارة المرسيدس السوداء التي نبحث عنها، لم نأت للصوص أو للقبض على صاحب الفيلا المسئول عن ذلك هي مباحث السادس من أكتوبر، أتينا من أجل السيارة، لم نجد في الجراج غير الهيكل الحديدي لكل السيارات التي كانت فيه، وباقي الاجزاء أم أن أصبح غباراً أو تراباً تناثر في الهواء، هل هناك طرق بديلة للكشف عن صاحب الجريمة وملابساتها وأسبابها، لكل جريمة سبب ما، من مكانها نكتشف الحالة النفسية لمرتكبها.. لكن كل الجرائم ترتكب لسبب مادى أو تكون الغيرة، أو السرقة، أو الانتقام أو يكون سبب الجريمة لإخفاء امراً ما، لا يريد صاحبه إظهاره، من أي نوع من الجرائم تلك الجريمة، والنقيب لا يتكلم كثيراً، بعد لحظات وجدته، يسأل عن صاحب الفيلا بين الوقفين أمامه، أشار أحد الواقفين إليه، سأله النقيب:

ـــ هل تملك سيارة مرسيدس سوداء؟

نعم سيدى، كانت في الجراج عند الحريق، احترقت مع السيارات الأخرى.

أسرع النقيب في كلماته الغير المفهومة التي تفهمها بعد أن يعيدها عدة مرات كعادته، اقترب من إنهاء المهمة التي جاء من أجلها، سأل النقيب:

ـ هل ذهبت بها إلى الخارج من أربع ساعات تقريباً؟

ـــ لا لم أخرج بها اليوم، خرجت بسيارة أخرى.

أنطلق السؤال من بين لسانه:

هل خرج بها أحد من الأسرة اليوم ؟

لا سيدى.

ظهــر الإعياء والحزن واضحاً على النقيب، أشــرت إليه بيدي، مال إلى، همست في أذنه، قلت:

ـــــ يا افندم أتركــه الآن فهو في صدمة بســبب حرق فيلتــه، وضياع كل محتوياتها أصبح الآن يتسول ليعيش.

سمــع النقيب كلماتي،أدار ظهره إلى صاحــب الفيلا ولكنه أتجاه صاحب الشــقة يســأله عن اللصوص الذين ســرقوه لماذا فعلوا، وهل يعرفهم، نظرت إليه،هززت رأسي قلت استنكر ما يفعله:

ـ الذى نحتاجه هو حارس الأمن نحن دخلنا لم نسأله سؤالاً واحداً، بعد لحظات فوجئت بزوجة صاحب العمارة تأتى إلينا أنا والنقيب قالت:

ـ يا ســيدى عم عفيفي ذهب بالسيارة المرســيدس إلى السوق لكى يشترى بعض احتياجاتنا من السوق، سألها:

من عم عفيفي.

ـ إنه السائق.

شــكرها النقيب لم يحاول أن يســالها أية أسئلة أخرى، تجولنا في المكان نبحث عــن حارس الأمن، وجدناه ملقى بجوار الســور، يجلــس القرفصاء، ويضع كلتي يدبه على خديه، سأله النقيب:

ـ من أحرق المكان.

أجاب بعد أن تملكه الرعب من السؤال:

ـ لا أعرف يا سيدى، أنا كنت أجلس أمام الباب الأمامي للفيلا،لا أعرف من دخل من الباب الخلفي.

سأله النقيب مرة أخرى بصوت حادة:

ـ هل خرجت السيارة المرسيدس منذ أربع ساعات تقريبا؟

نعم سيدى لقد ركبها عم عفيفي السائق.

وهل كان عم عفيفي يعتاد ركوب السيارة المرسيدس ؟

ـ لا يا سيدى. ولكن السيارتين الآخرتين اللتين يملكهما صاحب الفيلا خرجتا من الجرج، لم يبق إلا هذه السيارة، أضطر عم عفيفي إلى أخذها.

ـ وهل عادت السيارة بعد ذلك ؟

نعم عادت قبل أن تأتوا بحوالي ثلاث دقائق، ولم يركنها عم عفيفي في الجراج ولكنه ركنها أمام الباب الخلفي لذلك لم ترياها، عندما فتشتما الجراج.

يبدو أن الأقدار، تحدد من يذهب ومن يستمر في البقاء، من يتمكن من العيش في الحياة ويعلو بها، ومن يضيع أثره في الحياة ويذهب أثره فيها، سأل النقيب الحارس: أين عم عفيفي الآن ؟

أجابه بكلمات مقتضبة كأنه لا يقدر على الكلام، مثل قطعة صغيرة من الأملاح عندما تذوب في الماء لا يصير الماء مالحا ولم يبق كما هو، يحاول أن يتكلم ولا يستطيع تجذبه شجونه إلى الصمت وعدم البوح التأثر يملآ وجهه الشاحب:

ـ عم عفيفي كان في السيارة المرسيدس ينتظر بها، لا يعرف ما يحدث داخل الفيلا، تركناه كلنا وهربنا يبدو أنه الوحيد الذى لاقى مصرعه في الحادث لم يلق ربه غيره، نظر النقيب إليه، أشار برأسه ثم هب راكضاً في اتجاه الباب الخلفي، لم يجد غير الحطام بقايا سيارة، هرول إلى الشارع الرئيسي لعله

يجد أثراً له أو حتى أثراً للسيارات الجيب هذه التي هربت بسرعة من المنزل عند اندلاع النيران كأنهم كانوا يعرفون وقت انفجار القنبلة، همس إلى:

ـــ السيارات الجيب هي التي ترشدني إلى مرتكب حادث التصادم، ومرتكب الحريق ومن حاول السرقة.

كرر السؤال في جهاز اللاسلكي الخاص الذى بيده،ولكن كرر نفس الإجابة السابقة، زاد عليها:

ـ يا سيدى حاولنا كثيرا تحديد مكان السيارات ولكن بدون فائدة.

حاول النقيب بنفسه، انطلق مسرعاً في الشارع يبحث في كل الاتجاهات ينظر في كل الفيلات المجاورة، اقترب منى وهمس:

ـ مادامت السيارات لم ترها أجهزة الرادار، ولم تحدد موقعها الأقمار الصناعية، إذن فهي في مكان قريب منى، انطلق إلى المحلات المجاورة يظهر كارنيه ليعرف محتويات كاميرات المراقبة التي بها لم نجد بها شيئا، نحن في نوفمبر ونكاد نصل إلى آخر الليل والجو هادئ، المكان يتكون من فيلل متجاورة، لا يوجد بها إلا سوبر ماركت في أول الشارع آخر في آخره حتى أذا مرت عدد من السيارات كيف يسجلها في منتصف الليل.

(٥)

الطريق الطويل يمتــد إلي أقصاه، لا أعرف إلي أين ينتهي، الزمن يجري بــي ولا أعــرف متي يقف، يســير بالدنيا في طريق لا أمــل، يخطو بخطوات حثيثة نحو غيوم تزيد الدنيا خمولا يعيد لها الهموم ويرسم فيه الحزن.

أيقنت في هذه اللحظة إن القضية سوف تأخذ الكثير من الوقت، وأن هناك ســر في الأمر، لن تحل بهذه البســاطة، وأن الوقت يمر والكابتن صياد داخل المستشــفى، يحتاج أن أكون بجانبه، والصحفي الناجح هو من يســبق الجميع في معرفــة الخبر، ومعرفة مرتكــب هذا الخبر، مرتكــب التصادم ضاع منى لا أســتطيع أن أضيــع الخبر الآخر.. خبر نجاة الكابتن صيــاد، فيما يبدو إن حادثة التصادم مدبرة بدقة، لا يســتطيع إنســان واحد أن يدبر هذه الأعمال، هــذه خطة محكمة للقضاء على الكابتن صياد، يقودها فريق مدرب، يعرف ما يفعل ربما تكون الفرق المنافسة.. فهي أكبر وأغني ذات إمكانيات أكبر.. ربما المقصــود منها الدولة، لكى لا تســتطيع الصعــود إلى كأس العالم، ربما الدولة المنافســة الــتي لا تحب ظهور أي بــادرة أمل ونابغة في هــذه الأمة، تتصارع الأفــكار في ذهني، شــيء ما يغالبــني يملى على أن أذهب إلى المستشــفى لكي اطمئن على الكابتن صياد، اســتأذنت من النقيب بحجة أنى متعب لا أستطيع المواصلة بســبب صعوبة العمل الذى يقوم به،هممت بالانصراف، أمر السائق

أن يأخذني حيث أريد، انطلقت بالسيارة حتى وصلت إلى المستشفى، دلفت داخلها ابحث عن أخبار الكابتن صياد، لعلى أكون أول الصحفيين اللذين يبشرون بتعافي الكابتن وشفائه من الإصابة، أركض بسرعة باتجاه غرفته لا أحد من المرضين بالقرب من الحجرة أو حتى من عمال النادي أو حتى دكتور الفريق، أهمس:

ـ أين رحل الجميع؟

جلست على الكرسي الذى أمامه أحاول أن أطمئن عليه، اتفحصه بعيني كل دقيقة وجدت نزيف من الأنف، الدم يخرج بكثافة، وقفت أخرجت منديلا ورقيا كان معي أحاول أن أمسح الدم، بعد قليل انسكبت الدماء من فمه بغزارة، صرخت بصوت عالي:

أين الأطباء؟ أين الممرضات ؟ ما هذا الإهمال الذى يغرق هذه المستشفى، سمعت صراخي إحدى الممرضات، ركضت على القور إلى مدير المستشفى، جاء بعد لحظات بعد أن أنهكني الصراخ،صحت فيه:

سوف أكتب عن هذا الإهمال الموجود في المستشفى في جريدة الأخبار التي أعمل بها، سوف يعرف الجميع مدى سوء المعاملة التي يلقاها الكابتن صياد.

علم طبيب الفريق بما يحدث، ظهر فجأة بين الجموع المتواجدة في الغرفة، يسأل:

ماذا حدث ؟

صرخت فيه:

ـ انظر إلى الكابتن صياد.

كنت أتوقع هذا ولذلك أعددنا غرفة العمليات لإجراء عملية سريعة له، لا تخف سوف نقوم بعمل ما يلزم، لإعادته إلى حالته الطبيعية، لو كان والده الدكتور محمود بيننا ما حدث كل ذلك.

تعجبت من كلمات الطبيب المعالج ما علاقة الدكتور محمود بكل هذه الأمور، أتت الممرضة بنقالة، حملته الممرضات على النقالة ونقل إلى غرفة العمليات، دخل معه الفريق الطبي المعالج ومعهم طبيب الفريق ومدير المستشفى، يتشاورون في الأمر، أغلقت غرفة العمليات، باب الغرفة عبارة عن قطعة من الخشب وبه فتحة في أعلاه مغطاة من الزجاج، نظرت من الزجاج، لم أجد الاهتمام الذى كنت اتصوره كأنهم يقومون بعمل روتيني من أجل إرضاء الناس في الخارج، لم يستأصلوا جزء من الجسم، رأيت الأطباء يتكلمون ويتشارون، يأخذون أراء بعضهم بعضاً، لم يمكثوا في غرفة العمليات فترة طويلة، لم يستمروا سوى نصف ساعة تقريباً، بعد ذلك وضعوا الكابتن على نفس النقالة، وتم نقله إلى غرفة العناية المركزة رأيته وهو يخرج على هذه النقالة الحديدية، لم يفعلوا به إلا وضع جبيرة على ساقة اليمنى، وبعض القطن والمطهر على حاجبه وانقه، وربط رأسه بالشاش الأبيض، ثم نقل إلى العناية المركزة، لاحظته جيدا، لم يكلفوا أنفسهم بعمل أشعة له، سمعت إحدى الممرضات تكلم صديقتها، أنصت لحديثهما، تعجبت أحداهما قائلة:

ـ لماذا لم يوضع على جهاز الأشعة المقطعية أو الأشعة ؟ لماذا يذهب إلى حجرة الأشعة المغناطيسية ؟ليتأكدوا من عدم وجود كسور داخليه به، أو تهتك في أربطة المخ، قطع في أحد الشرايين ؟

قالت الأخرى:

أليس هو الكابتن صياد كابتن مصر وأحسن لاعبا بها.

همست لها الممرضة الأخرى: يبدو إنه لا أحد يهتم به حتى الطبيب الموجود معهم لم يعترض على ما فعله الأطباء.

بدأت أشك في الأمر في تلك اللحظة دخل إلى الحجرة رئيس النادي ورئيس أتحاد الكرة، مرا من أمامي، يسيران إلى حجرة الكابتن صياد، استوقفت رئيس الاتحاد فهو يعرفني معرفة شخصية، نقلت له خبر دخول الكابتن صياد غرفة العناية المركزة. لاحظ رئيس الاتحاد التلعثم في كلماتي، سألني:

هل حدث شيء للكابتن صياد.

بعد أن تلجلجت قليلا، همست:

ـ نعم يا سيدى يبدو أن أطباء هذه المستشفى لا يحبون لا عبى الكرة، ولا يقومون بوجباتهم تجاه مرضهم، قاطع رئيس النادي الحديث، قال بصوت واثق:

ـ هذه المستشفى هي أكبر مركز علاجي رياضي في الشرق الأوسط بل هي الثالثة عالميا في علاجٍ الإصابات الخطيرة والكسور.

قلت له متهكماً:

ـ لم تدفع المال الازم لكى يهتم بالكابتن صياد.

سألني وكاد أن يعتصر من الغضب:

ـ لم تقول ذلك؟

سمعت حديث ممرضات المستشفى، أكدت فيه كلتاهما أن إدارة المستشفى لم تعرض الكابتن صياد على جهاز الأشعة المقطعية أو حتى جهاز الرنين المغناطيسي.

ظهرت الدهشة واضحة على وجوههم، توجهوا إلى رئيس المستشفى ليعرفوا منه ماذا حدث؟ فهو الوحيد الذى سوف يسأل أذا حدث للكابتن صياد مضاعفات ما، لعلهم يتأكدون من ما قلت، وليطمئنوا على الكابتن، أستقبلنا في مكتبه بطريق أخرج كل الغضب الذى أصاب رئيس الاتحاد من بعد مقابلتي، وقبل أن يسأله عن الكابتن، قال في ثقة:

ـ الكابتن في صحة جيدة لقد عملنا ما نستطيع عمله، ولكن يحتاج إلى وقت لاستكمال باقي الفحوصات الطبية نحتاج الوقت لكى تستقر حالة الكابتن ونستطيع بعدها إجراء جميع الفحوصات، لو مرت الساعات القليلة القادمة بسلام سوف يكون أفضل مما سبق، لذلك يجب أن نتركه يستريح، نلاحظ رد فعله، لو الجسم أستطاع أن يقاوم سوف يعود إلى طبيعته ولن نتدخل جراحيا.

أخذنا إلى غرفة العناية المركزية، وجدناه معلقاً بأنفه خرطوم التنفس الصناعي، وقف الجميع بجانب سرير الكابتن، صاح طبيب العناية:

ـ لا يجب أن يقف أحد هنا، لا بد أن يغادر الجميع المكان حالاً.

خرجنا إلى خارج الحجرة،سرنا في أتجاه حجرته، وجدنا بعض الاعبين يقفون أمام الحجرة ينتظره خروجه من العناية المركزية، وجدت صالة المستشفى مملؤة بالناس، عندما وجد مدير المستشفى هذا الكم من الناس، صاح:

ـ هذا مستشفى وليس نادى اجتماعي، ارجو من الجميع الخروج حالا، والانتظار خارج المستشفى.

خرج الجميع خارج المستشفى، بعض اللاعبين افترش الأرض، جلس على ركبتيه علي الأرض في حديقة المستشفى، البعض بدا عليه الحزن، نام طوال

الليل وهو جالس، أما باقي اللاعبين والجمهور، جلسوا خارج أسوار المستشفى على رصيف الطريق الرئيسي، شارك الجميع في الحزن يسألون بعضهم بعضا:

هــل هذه المرة الأخيرة التي نرى فيهــا الكابتن يلعب، الكل يتمنى أن لا تكــون هي المرة الأخيرة، غــادر بعض اللاعبين المكان ذاهبــين إلى منازلهم، وقفــت انتظر في الخارج في حــيرة من أمرى هل أغادر أم أبقى، قررت المغادرة بعدما علمت أن إدارة المستشفى تمنع دخول إي مواطن إلى الداخل للحفاظ على راحــة المرضى، التعب الــذى أصابني، أرهق كاهلي مــن كثرة الأحداث التي مرت على، لم استطع أن أتحمل البقاء أكثر من ذلك.

(٦)

الظلال يغلف الحقيقة بالغموض، يزيد من الأسـئلة علي ألسـنة الناس، تبقي الحقيقة غامضة، تتناثر الأقوال بين الناس ولا أحد يعلم ما هي الحقيقة.

غادرت المستشـفى مع الجماهـير، عدت إلي منزلي، وعنـد دخولي إلى المنزل، ألقيت نفسـى فوق سـريري، غالبني النعاس، غرقت في النوم.. ولكن رنـات هاتفي المحمول ايقظتني من النوم، طنينه الذى أقلقني، قفزت واقفا، أمسكت به بغلظة أحاول أن أفتته بيدي، فتحته ورددت عليه، وجدت رئيس التحرير، يأمرني، قائلا:

اذهب إلى المستشفى حالا، لآن هناك أخبار تؤكد وفاة الكابتن صياد.

ظننته يهذى، لم أصدق ما قاله، فانا كنت معه منذ لحظات قليلة، قفزت من مكان لا أعلم هل هذا الخبر صحيح أم كذب، انطلقت دون وعى إلى المستشفى حتى لا يسبقني أحد إلى الخبر، النهار في أوله، الصباح يظهر ويختفي الظلام، وجدت الخبر صحيحاً، قابلت رئيس المستشفى قلت له:

ألم تقل منذ ساعتين أن حالة الكابتن صياد مستقرة؟ ماذا حدث ؟

أجاب بأسلوبه الهادئ:

لقد حدثت له مضاعفات نتيجة الصدمات التي تلقاها من السيارة، أدى إلى حدوث نزيف داخلي في المخ، أدى به إلى الوفاة.

لم أصدق ما قاله، تسـاورني بعض الشكوك في أقواله،أحسست أنه يخفى

أمراً ما، ذهبت إلى صديقي الدكتور عفيفي الذى يعمل دكتور جراح في المستشفى العام، دائما ما أستعين به في تلك الأمور، قصصت له ما حدث بالضبط بدت عليه نفس شكوكي، أخذته معي، ودخلنا معا إلى المستشفى، قابلنا مدير المستشفى، سأل عن صديقي، قلت له:

صحفي صديقي يريد أن يكتب موضوعا عن الكابتن صياد، ويأخذ صورة له. طلبت منه أن يدخلني عنده لكى نلتقط له صورة لكى تكون رأسا للموضوع الذى سنكتبه، آذن له رئيس المستشفى في الدخول، دخلنا إلى داخل المشرحة، رأته الممرضة صرخت صرخة شديدة، كأن شيئا ما يحدث، لا تريد أن يكتشفه أحد، طمأنتهم قائلا:

ـــ صحفي صديقي، المدير قد أعطاه تصريحاً بتصوير جثمان الكابتن صياد.

تركته، دخلنا إلى جثمان الكابتن صياد، وهمّ أن يفحصه صديقي، سمعت من يقول:

ـ ماذا تفعل؟

تلجلج صديقي الدكتور عفيفي:

ـ جئنا لنأخذ صورة.

سألنا بامتعاض:

ـــ هل أخذتما الصورة ؟

رد صديقي برجفة:

نعم أخذنا صورة.

صاح الرجل:

أخرج حالاً الآن.

خرجت أنا والدكتور عفيفي، قال مندهشاً:

ـــ قلبه ينبض كيف يقولوا إنه مات ؟

ظننت أنه يهذى، لكنه أقسم على ذلك، أصر على كلامه، تقدم بشكوى لنقابة الأطباء يطالبهم فيها بفحص الجثمان مرة أخرى، والتأكد من وفاته وسبب الوفاة، جاءت اللجنة الطيبة في اليوم التالي، للتأكد من الشكوى معها عضو من النيابة، أخلى المكان ودخل الفريق الطبي ومعه مدير المستشفى إلى غرفة المشرحة، لكن بعد لحظات قليلة خرج مدير المستشفى ورئيس اللجنة الطبية يؤكدان أن الكابتن صياد توفى، تم دفنه في تربة والداه واخويه، أهيل التراب على الكابتن وقضيته. بعد أيام قليلة لم يعد أحد يتكلم في قضية موت الكابتن صياد، ذهبت إلى المنزل، يجول في خاطري الكثير من الأفكار، أحاول أن أجد تفسيراً بديلاً لما حدث للكابتن، الحاسة الصحفية تلسعني فلا بد من معرفتي لبواطن وظواهر الأشياء، لا بد أن أكتشف ما حدث، سألت الجميع عن أقرب إنسان للكابتن صياد، شحذت تفكيري، بحثت في دفاتري القديمة، لعلي أجد الطريق إلى معرفة الحل في هذه القضية، فأنا بحاستي الصحفية أعلم أن هناك لغزاً في القضية.. ولكن من يعرف حل ذلك الغز، أنا كصحفي في الوسط الرياضي، أستطيع أن أعرف من يعرف قصة الكابتن صياد كاملة، ما ظهر منها وما بطن، وما يدور خلف الكراسي وما يدور أمامها، توجهت إلى مدرسة الناشئين في نادى الشروق، تربطني بمدرب الفريق الكابتن نهاد محمد روابط صداقة قديمة منذ أن كنت ناشئاً في فريق الزمالك، وتركت الكرة واتجهت إلى الصحافة، قابلت الكابتن نهاد، سألته عن أحوال الكابتن صياد عندما كان ناشئاً في نادى الشروق:

ـ ماذا تعرف عن أخلاقه في صغره ؟

أجاب الكابتن نهاد:

ـ الكابتن صياد كان مجتهداً طول الوقت، لا يكل ولا يمل مثابراً لا يخاف من أحد، موهوباً كاللاعب لكرة القدم.

ماذا تعرف عن حياته العائلية؟

لا أعرف شـيئاً عن الكابتن صياد في الصغر، يمكن أن تسأل الكابتن حكيم بيومي طبيب العلاج الطبيعي للفريق صديق والده منذ أن كان صغيرين وزميله في كلية العلاج الطبيعي وايضاً في مدرسـة مصر القديمة الثانوية، ويعرف كل ما خفى عنه.

لكنـني تذكرت أن الدكتور حكيم بيومي كان من ضمن الفريق الطبي الذى كان يعالج الكابتن صياد. ظهر أمامي متخاذلا ومتكاسلاً في علاجه، رفضت أن أذهـب إليه، وكيف أذهب إليه وأنا أعلـم إنه متآمر على الكابتن صياد، قلت له: لن أذهب إلي الكابتن حكيم، كنت معه في المستشفى ولم يحاول أن يكلمني مع أنني صديقه.

الدكتور حكيم بيومي هو الوحيد القادر على إعطائك ما تريد، هو يعرف كل الأبعاد الشخصية للكابتن صياد.

اضطررت إلى الذهاب إليه، ذهبت إليه في النادي صديق قديم ولكنه عندما رآنـي تجاهلني، رفـض مقابلتي، يعلم لماذا أتيت ؟ أتصلـت بالكابتن نهاد، أخبرني أن أحاول مرة أخرى، حاولت أن أتكلم ولكنه هذه المرة كاد أن يتعدى على بالضرب، أصابته حال من الفزع، أشار إلى وقال:

ـ أبعد عنى من فضلك.

ذهبت إلى كابتن نهاد في الملعب، طمأنني، هدأ من روعي، أمسك بتليفونه المحمـول، وقف في منتصف الملعب تقريباً، اتصـل بالكابتن حكيم طمأنه من جانبي قال له:

ـ الاسـتاذ محمود صديقي، ربما يسـاعدك في عملية إخفاء الأمر، يحب الكابتن صياد، لا يستطيع أن ينشر ما يسيئه أو يشوه صورته في يوم من الأيام.

في اليوم التالي ذهبت إليه في استاد نادى الشروق، جلسنا معا في مدرجات الدرجة الثالثة، يعرفني.. ولكنه متوجس منى، تراوده بعض مشـاعر الشك في الصحفيين فهم لا ينظرون إلا لمعلومة جديدة يسـتطيعون نشرها، يتصيدون المعلومات. حاولت أن أظهر له إنني مختلف، لذلك قلت له:

موقفـي في الحياة. نصرة المظلوم والضعيف، وضد الظلم والفسـاد حتى لو كلفني الأمر حياتي.

جلبت معي بعض الجرائد القديمة التي تحوي مقالاتي، أظهرت له بعض مقالاتي القديمة عن الأطفال وسـوء معاملتهم، لم يسـترح لي إلا عندما أتصل به الكابتن نهـاد تليفونياً، كان يثق به كثيراً، فهو مدرب الكابتن صياد منذ الصغر، المسـئول عنه بعد وفاة والده، لذلك رق إلى كلمات الكابتن نهاد، وبدأ يتكلم معي كصديق، ربما قرب بيننا حب الكابتن صياد،أو عندما رأى في عيني صدق المشـاعر ناحية قضية الكابتن صياد، بعد وقت أطمأن من ناحية، وزالت كل الشـكوك، دائما ما تزول الحواجز بين الناس بالمعاشـرة والتعامل، لذلك أسر لي ما في نفسه هو يتألم، الحزن الذى في صدره،حاول لفظه وتنفسه، لكى يزيلـه عن صدره هذا الآلام المكتومة فيها، يحاول أن يشـاركه فيها أحد لكى يزيح من عليه، ويخفف العبء عنه، لذلك قال لي هو متجهماً:

سوف أقول لك كل ما تريده عن الكابتن صياد.. لكن هذا الكلام ليس للنشر ولن يعرفه أحد غيرك، ولو نشــرته واستشــهدت بي سوف أخذلك ولن أشهد معك، عدني أن تجعل هذه الكلمات سرا بيننا.

حاولت أن أطمئنه وعدته أن تكون كلماته لي سراً لا أقوله لأحد مهما كان وأن نشرها في يوم من الأيام سوف ينشرها بعد موته في كتاب.

قمة تظهر بين التراب

(١)

الحزن في نفسي على الكابتن صياد كالأشجار المتشابكة الأغصان التي تمنع الضوء من الوصول إلى الأرض.

فقـده، أثار في نفس الكابتن حكيم الخوف، بعد أن هدأت مشـاعره، قال وهو يتألم:

ـــ هذا الموضوع يؤرقني لا بد أن يشـاركني أحد فيه، سـوف أقص عليك حكاية الكابتن صياد كاملة، من بدأ التعرف على والده في المدرسـة الثانوية، قلت له في عجلة:

ـــ يا دكتور أريد معرفة قصة الكابتن صياد وليس والديه.

قال لي في هدوء:

ـــ يا صديقي لا بد أن تعرف القصة من بادئ الأمر.

أردت أن يقص علي قصة الكابتن صياد وخفت أن يرفض.

قلت له:

ـ قول ما تريد.

قال والحزن يأكل في قلبه:

بدأت القصة عندما دخل محمود والد الكابتن صياد كلية العلاج الطبيعي، حبه الشـديد للعلم ونبوغه يميزه عن غيره من الطلاب، يفكر في فكرة أساسية وهي تكوين عضو من خلية حية.

لا بد أن تعرف كيف بـدأت موهبة الدكتور محمود تظهر في كلية العلاج الطبيعـي، الحياة في الجامعة تختلف كثيرا فالطلاب في تنافس مسـتمر حتي يكونوا الأفضل، بسبب تفوق محمود لا بد أن يظهر له منافسون يغيرون منه، يحاولـون التفوق عليه لذلك أنقسـم الصف الدراسـي في الكلية إلى مجموعتين مجموعة تـؤازر محمود وأعمالـه، ومجموعة أخرى تعارضـه، تحاول بكل الوسائل عرقلة محمود وأبحاثه.

هكذا الحياة لا يرى فيها الإنسـان إلا نفسـه، لا ينظر إلا لما يرفعه فيه، يظن إنه يسـتطيع أن يسـيطر على كل مـا في الحياة، يحركها كيفما يشـاء، يخفـض ما دونه من النـاس مهما كان حتى ولو أفضل منـه، الحياة تتقلب، تتغير، تمور، تسـكن، تبطئ، تسرع من غير نظام، إرضاء جميع الأطراف في وقت واحد شيء لا يمكن تحقيقه، وقفت بجانب الدكتور محمود ووائل وهمزة وناصـف وعبد الناصر أصدقائي في الكليـة ومعنا الدكتور طارق والدكتور واثق عم همزة زميلتنـا في الكلية، كنا نحاول إقناع الجميع بأهمية أفكار محمود، نحاول إنجاح أعماله ومشاركته في أبحاثه، المجموعة الأخرى يقودها مدحت ونير وندى والدكتور شـامل يحاولـون بقدر الإمكان إحبـاط محمود وعرقلة أبحاثه، ويبدو على مجموعة محمود البسـاطة ووسـطية العيش وحب العلم والعمـل على إنجاح بعضهم البعض ومسـاعدة أصدقائهم من الطلاب الآخرين ينتمون إلى الأسر المتوسطة والأسر الفقيرة، يميلون إلى العمل الجاد في حياتهم ويسـاعدون محمود في تجاربه، بينما مجموعة مدحـت تتميز برغدة العيش والثراء وحب النفوذ،وحب الظهور، وينجذب إليهم بعض الطلاب المستفيدين مـن ثرائهـم ومنهم أمثال فادى وغادة الذين يحاولون بأقصى السـبل السـير

علــى خطاهم،ويقفون بالمرصاد ضــد أعمال محمود أصدقائــه، بدأت التنافس بينهــم في الســنة الثالثة من الجامعة عندما نجح محمــود في صناعة الأجهزة التعويضية، بدأ خطواته الأولى بتنفيذ الأجهزة التعويضية الخشــبية وبعض المواد البلاستيكية فصناعة الأطراف الصناعة، التجربة الأولى في إجراء عملية كانــت تحتاج إلى تركيب كــف صناعي، كان يحق له شــراء الكف من مصنع خــاص لذلك، ولكنــه فضل صناعة الكف بيده في معمــل مصنع حددته الكلية لهم، وقال أصدقاؤه:

ـــ جئنا هنا لنتعلم، ولم نأت لنأخذ المعلومة ســهلة، أن لم نصنع بأيدينا الآن فمتي نعمل بأيدينا.

اقتنــع الجميع بالفكرة، شــارك في صناعته أصدقاؤه أشــرف على صناعته الدكتور واثق، والدكتور طارق وكان يعمل معهم بنفسه، لاحظ الجميع براعة محمود في هذه العملية، عندما أجرى العملية راعى العناية بالجزء المتبقي من الجزء المبتور، وتنظيفه، حافظ على الجزء المتبقي من تجاويف الجزء المتبقي مــن كف اليد، بذلــك نجحت العملية نجاحا مبهراً، أســتطاع أن يثبت فيها أحقيتــه في أن يكون الأول على الدفعة، عندما علــم مدحت بنجاح محمود في تنفيــذ عمليته الأولى بنجاح، اتفق مــع أصدقائه أن يقوم بإجراء عملية أصعب مــن تلك العلمية، عثر على مريض مبتور القدم ويريد المســاعدة، عرض عليه المســاعدة وافق المريض أحضر أصدقاءه وأســتاذته لمعرفــة الحالة وقدرته على تنفيــذ العمليــة، لم يكن مدحت وحيدا بل ســانده والده الــذى يعمل جراحا في أحــد المستشــفيات الحكومية بكل ما يســتطيع، لم يتوان في مــد يد العون إلى ابنه، يعرف مصنــع الأجهزة التعويضية، طلب منها قدماً اصطناعية عند

مســتوى الراسخ الشطي هذا المســتوى يحتاج إلى القدم كلها مع الاصابع حتى الراسخين، فجلبوا له أحدث جهاز في الأجهزة الصناعية المرنة التي يستطيع الإنسان التحكم فيها، وعلمه كيف يقوم بتركيب تلك القدم، ومرنه عدة مرات على تركيب الأجهزة، إلى أن أتقن العملية جيدا، قام بإجرائها أمامه، ثم قام الدكتور شامل بإبلاغ العميد أن مدحت سوف يقوم بإجراء التجربة، ونجح في إجرائها، بعد ذلك أخذ مدحت دور محمود وأصبح أكثر شهرة منه في الكلية.

(٢)

في السنة الخامسة ساندة الجميع، الجماعة تزيد الحياة سهولة، تساعد علي حماية البشرية من مكائد الحياة، تزيد قيمة الإنسان، تخلق روح التعاون، تقلل من الغيرة بين الأصدقاء، تعطي للحياة حقيقتها.

صمموا معا القلب الصناعي، جهاز دائري الشكل، يتكون من مضخة هيدروليكية تتكون حجرة بها جدارين بها سائل هيدروليكي، يحوى كل منهم مضخة متواضعة في المنتصف، وتعلق بهما البطينان، والفكرة الأساسية هي نقل مائع من نقطة إلى أخرى داخل حجرة بجداريين، لكى يتم الضغط على القلب الاصطناعي بشكل متناوب، صمامات لعبور الدم من جهة إلى أخرى، بطارية خارجية وبطارية داخلية، وحدة تحكم داخلي وخارجي، ونظام نقل لاسلكي، المريض يحتاج إلى قلب لمدة صغيرة، حتى يجد متبرع أو يجد من يساعده، هذا الجهاز ليس من اختراع محمود ولكن هو من قام بصنعه مع الفريق في معمل الدكتور رائد الذى أرشده إليه الدكتور واثق عم همزة، في الكلية يعتبر عمله المكلف به، الجهاز مصنوع من مواد بسيطة، يستطيع الجسم تحملها لفترة طويلة دون إيه مضاعفات، دون أي خلل يحدث إلا من مضاعف واحدة من الممكن حدوث جلطات نتيجة انسداد القنوات المؤدية إلى الصمامات، تم تطبيق الجهاز علي الحيوانات، وقفت همزة بجانبه، ساعدته

في محاولة تجربـــة الجهاز، تمكنا من صنع الجهاز بمســاعدة عمها الدكتور واثــق وأصدقائه تم تطبيقه على الحيوان، ونجح بقدرة كبيرة، علم مدحت من صديقنا عبد الناصر عن الجهاز، قال له:

ـ نحن نصنع جهاز للقلب، تستطيع أن تشتريه يا صديقي.

اجتمــع مدحــت وفريقه، وقال لهــم: يجب أن نمنع محمــود من صنع الجهــاز. بعــث إلى صديقه عزيز الطالب المنضم حديثــاً إلى فريق محمود، هو الذى وضعه داخل الفريق لكى يقوم بنقل كل أخبارهم، يصبح عيناً له عليهم، طلب منه أن يقابله ليلا، ليعرف كل ما يصنعه محمود، عندما انتهى محمود من تجاربه الأولية على الإنســان، وبات قاب فوسين أو أدنى من ذلك للوصول إلى بغيتــه، واتفق مع العميد على موعد لإجــراء العملية على مريض، داخل المستشــفى الجامعي، حاول أن يعزز موقفه عند العميــد بعد العملية الأولى، يظــن أصدقاء محمود أن عزيــزاً واحداً منهم، يخطو خطاهــم، يتقرب إليهم ويمازحهم، يســير في ركابهم يساعدهم في أعمالهم، لا يعرفون حقيقته، قابل مدحت عزيز وقال له:

يا صديقي، انت تعرف أن محمود يســرق كل شــيء من الأخرين، وأنت صديقي.

ماذا تريد يا مدحت؟

ـ أريد أن أعرف كل ما يفعل محمود.

ـــ ماذا استفيد أنا ؟

ـ كل ما تطلبه والعمل عند والدى بعد التخرج،

كلف مدحت عزيزا بالتجسس علي محمود ورفاقه، ووافق عزيز ونفذ ما يطلب منه، استورد مدحت جهاز مماثل له ولكن لا يعمل، قبل موعد العمل، أمر عزيز قائلا:

استبدل جهاز محمود بهذا الجهاز بآية طريقة ممكن.

سلمه إلى عزيز، أمره أن يتحين الفرصة المناسبة ويستبدله بالجهاز الذى صنعه فريق محمود،لم يتوان عزيز في خدمة مدحت، حاول أن ينفذ كل ما طلبه منه، انتظر الفرصة المناسبة، ليبدل الجهاز كالثعبان الذى ينتظر الفريسة في مكانه بالساعات إلى أن تأتى عنده، ينقض عليها بلا رحمة أو شفقة، يراقب كل ما يحدث من حوله حتى إذا واتته الفرصة أغتنمها.

جاءت الفرصة الأولى عندما ترك محمود الجهاز في المنزل قبل الموعد المحدد للعملية بيوم واحد، أراد الفريق تجربة الجهاز قبل العمل، حتى لا تحدث في العملية أي خطأ، طلب الفريق الجهاز من محمود، قال له:

ـ الجهاز في المنزل تركته هناك أكثر أمانا.

في المنزل حتى لا يتلف إذا وضعه في حقيبته في الذهاب والعودة، صمم الجميع على أن يذهب محمود إلى المنزل ليأتي بالجهاز لكى يقوم بتجربته والتأكد من سلامته ثم حفظه في معمل الكلية.. لكى يأمنوا أية أعطال أو ظروف أخرى تؤثر في الجهاز، سنحت الفرصة لعزيز حاول أن يغتنمها، توارى عن الأنظار، انسحب إلى الخلف ذهب متلصصا إلى منزل محمود هو يعرف العنوان، فكل واحد من الفريق يعرف عنوان الآخر، طرق باب المنزل، فتحت أم محمود الباب، قال لها:

ـ أريد الجهاز لكى أقوم بتسليمه إلى محمود.

لم تطمئن الأم إلى عزيز، قالت له:

ـــ انتظر يا بنى حتى يأتي محمود فهو قادم ليأخذه.

ـــ أعطى لي الجهاز فمحمود بعثني لكي آخذه.

أحست بعدم الاطمئنان إليه لأنها لم تره من قبل، اتصلت بمحمود طالبته أن يأتي بسرعة، أخبرها بانه في الطريق، عندما أتى ورأى عزيز سأله في دهشة:

ـــ ما الذى أتى بك إلى هنا؟

رد عزيز في ثقة يحاول أن يزيل دهشته:

ـــ تركتكم تناقشون وجئت لأخذ الجهاز، فهو أملنا لكى نحصل على درجات كبيرة، صدقه.

حاول أن يطمئن أمه قائلا:

ـ صديقي عزيز هو صديق جديد للفريق ولكنه نشط جداً.

أخذ محمود الجهاز إلى المعمل، وفى اليوم قبل أن تبدأ التجربة، طلب العميد من الفريق أن يرى الجهاز، أخذ محمود الجهاز إلى العميد رآه العميد واطمأن إلى إتقان صناعته، لم يعيده إلى المعمل بل أخذه إلى غرفته، وتركه وذهب ليعيد العملية، تحين عزيز الفرصة، كان يراقبه جيدا، دخل الغرفة، واستبدل الجهاز بجهاز مدحت القديم، بدون أن يراه أحد، وعند بدء إجراء العملية، طالب طاقم الجراحة من الفريق الجهاز، انسلخ محمود من بين الفريق إلى غرفته، وأحضر الجهاز فوجئ الجميع عند رؤيته، عرفوا إنه ليس الجهاز الذى صنعوه، وقفوا جميعا من هول المفاجئة، أفاقت همزة بسرعة من ذهولها كانت مستعدة لذلك قالت في هدوء:

لا تحزنوا ، سوف أحضر لكم جهازاً أفضل منه،

حضرت البديلة بسرعة، ذهبت سريعا إلى المعمل، جلبت منه جهاز آخر، أخذته من عمها، وسلمته إلى الفريق الطبي الذى قاموا بإجراء الجراحة، اختفى عزيــزا بعد ذلك، لم يعد أحد يراه من الفريق على الإطلاق، الغضب يخرج من عيــني محمود وفريقه، الهم يملأ الدينا حزنــاً، يملأ جنبات المكان بالخوف على ما لا حدث في غرفة العمليات، نجا محمود بدعاء والدته ومســاعدة همزة التي كانت الساعد الأيمن له، زاد بينهما روابط الاتصال،التقى معا بقلبيهما، تبادل النظرات والكلمات والهمســات والأمنيات، سارت العلاقة علاقة قلبين ممتلئــين بالحب بدون أصرف أو أتلف، ألحــت همزة على محمود أن يحاول أن يطمئن على تقديره في هذه الســنة النهائيــة حتى لا يؤثر الحدث العارض على مستقبله ومستقبل باقي فريقه، ذهب إلى العميد يقص عليه ما حدث، هز العميد رأسه، وبدت على وشفتيه ابتسامة خفية، وقال متوددا:

كنت ستتسبب في موت مريض يا دكتور محمود.

ظهرت على محمود علامة القلق وقال مفسراً:

ــ الخطأ ليس خطئي.. لكنى اتحمل كل ما تحكم به علي.. لكن يا دكتور أصدقائي ليس لهم ذنب في الأمر فالقلب كان معي طوال الوقت.

أعجب العميد بشجاعته وحبه لأصحابه، قال له متوداً:

ــ لا تخف سوف نجد القلب الذى صنعته.

سأله محمود بخبث:

ــ ودرجات العملي يا دكتور.

أبتسم العميد قائلا:

ـــ لا تخف فأنت في الامتياز بدرجاتك وتعتبر هذا تقدماً كبيراً في مستواك الدراسي.

زادت هـذه العلاقة الروابط بـين همزة ومحمود، أصبحا كأنهما جسـداً واحداً، مثل الشريان والوريد في القلب.

تعددت اللقاءات حتى أذيبت الحواجز بينهما، دعته إلى منزلها، جلس معها ومع والدها الذى يعمل محاسـباً في إحدى شـركات الأدوية، سمع كلاماً كثيرا عنه من ابنته وأخيه، حاول أن يتعرف عليه، قال لها:

ـــ يمكنك أن تدعيه إلي المنزل.

ـــ شكرا سوف أدعوه غدا.

حـاول أن يتعرف على تفكيره العلمي حتى يطمئـن على اختيار ابنته، أعجب بشخصيته الجادة، رحب الأب بهذه العلاقة، وسمح له بدخول منزله والتردد عليه في كل الأوقات، وعرض عليه المسـاعدة المالية، لم يقبل محمود، زاده ذلـك مكانة في قلبه، داوم على المذاكرة مع همزة إلى سـاعات متأخرة من الليل، اختلسـا مع بعضهم بعـض اللحظات الجميلة ليتـوددا إلي بعضهما، فمالـت إليه ومال إليها، أغـترف من الزمان لحظات من السـعادة، صرحت فيـه له بحبها وصرح لها بحبه، التصقت يـده بيديه، لم يخن محمود الثقة التي منحها والدها له، بل كبح جماح نفسـه، لم يقترف الهفوات الصغيرة أو الكبيرة مع همزة، بعد الانتهاء من عمل قلب صناعي من البلاستك والتيتانيوم غير الذى سـرق منه، كانـت الفكرة القديمة تلح عليه باسـتمرار، في إحدى المقابلات، قال لهمزة:

أريد صنع قلباً طبيعياً من خلية حية.

ـــ هل نستطيع تنفي.

ـــــ نستطيع عن طرق استئصال خلية حية من القلب المراد صناعته، واستخدام دمج DNA خاص، أجبر الخلية لإنتاج القلب.

ـ هناك عوامل تساعد علي إجبار الخلية لإنتاج عضو معين.

ـ سوف أساعدك علي القيام بذلك.

بدأت خطواته الأولى في صناعة هذا القلب، شاركته همزة يدها بيديه تساعده في تجاربه على حث الخلية الحية على إنتاج خلية مماثلة، وذلك باستخدام البروتين الخاصة بالخلية، وتم اكتشاف الروابط المكونة للجينة الخاصة بتكوين عضو القلب، فالجينوم البشري يتكون من أربعة مكونات من البروتينات الخاصة عن طريق الروابط المختلفة بينهم يتكون الجينة الخاص بالخلية، كاد العمل أن ينتهى ولكن السنة الدراسية أوشكت على الانتهاء وهما في السنة الخامسة من الكلية.

في هذا الوقت يتفرغ فيه الطلاب إلى الاستذكار واستيعاب ما سبق دراسته، لا يحتاجون إلى ما هو جديد، تغلق أبواب المعامل في الكلية لانتهاء فترة التجارب العملية والأعمال اليدوية، اجتمع محمود وأفراد الفريق، قال لهم:

السنة ستنتهي ولم ننته من صنع الجهاز.

قال عبد الناصر:

ننتظر حتي تنتهي الامتحانات ونقوم بالعمل فيه مرة أخرى.

أخذوا برأي عبد الناصر، إرجاء العمل فيه إلى بعد انتهاء أعمال الامتحانات، أجتمع محمود وفريقه ووضعوا ما أنتجوه في معمل الكلية، واتفقوا على تنفيذ باقي العمل بعد الانتهاء من الامتحانات، بعد أيام قليلة

من توقف التجارب، عرض علي محمود شراء القلب الصناعي من مركز شركة ودت للعــلاج الطبيعي والأجهزة التعويضية، كان هذا أول تعارف بينه وبين هذه شــركة، قدم العرض إلى محمود الدكتور واثق عم همزة، أخبره إن رئيس الشــركة يريد مقابلته شــخصياً من أجل اســتغلال اختراعه، اعتذر محمود للدكتور رائد بحميمية وأدب قال له:

ــ أنا مشغول في الامتحانات الآن ولا أستطيع أن أباشر العمل في اختراعي، لآنه لم ينجز فيه شيء إلى الآن، ولازال جزء كبير من العمل لم يتم.

حــاول أن يثنيه عن الفكــرة، يتعجب كيف علم بأمر القلب الصناعي، لم يقبل عرض الشركة، قامت الشركة بالاتصال به على تليفونه المحمول تعرض عليه العمل رئيس لقســم التطوير بمبلغ أكبر من المبلغ الذى سوف يتقاضاه إن عمــل معيدا في الجامعة، عرض رئيس الشــركة مقابلة فريقــه، حاول مراراً اللقاء.. لكن محمود لم يوافق عرضه، رفض محمود الفكرة، قائلا:

ــ أنا مشغولاً بالامتحانات النهائية.

لم يحاول التفكير في الفكرة ليس من أجل التمسك بالعمل الحكومي ولكن من أجل مســاعدة الناس، يريد أن يقدم حياته كلهــا في خدمة مجتمعه الذى يعيش فيه، يحاول أن يخفف الأعباء عن كاهل المواطن البسيط، أضطر صاحب الشــركة إلى عمل خطــة محكمة للاســتيلاء على القلب من الكلية، أســتأجر كافتيريا الكلية لمدة عام، وعين أحد موظفيه فيه، واســتخدم النادل في البحث عن القلب الصناعي، اكتشف موضع القلب، أمر صاحب الشركة النادل قائلا:

القلب الصناعي في معمل الكلية.

ــ كيف عرفت ؟

ـــ عيوننا في الكلية، أمين المعمل سوف يوصله إليه.

ـ خذه خبثه، عندما تغادر امشي معه.

فأبلغ به صاحب الشركة، سهل أمين المعل دخول النادل إلى المعمل، وارشده إلى مكان القلب الصناعي الذى صنعه محمود فهو الوحيد بعد فريق محمود الذى يعرف مكانه، تخفى النادل وسرق القلب الصناعي وضعه في حافظته الخاصة وقام بإخراجه مع أدواته الخاصة، قضى محمود أيام الامتحانات في استذكار الدروس، لم يحاول الاطمئنان على القلب الصناعي الذى صنعه بيديه، يطمئن الفريق على المعمل الجامعي لآنه صرح تعليمي والأخطاء البشرية قليلة جدا به، لذلك لم يحاول أحد من الفريق التأكد من سلامة القلب داخل ثلاجته الخاصة، القلب موضوع بين مئات بل الآلاف من الأجزاء المحفوظة داخل معمل الكلية، ذلك لعمل التجارب العملية عليه، لا يعبث به أحد، أنقضت فترة الامتحانات، عاد محمود وفريقه لتنفيذ فكرتهم القديمة، دلف إلى داخل المعمل ليكمل تجربته في القلب المصنوع من الأجزاء الحية، فتش كل الثلاجات في المعمل، ظن محمود أن أحدا نقل القلب إلى معمل آخر، فتش في كل جزء من المعمل، لم يجد القلب، أبلغ بافي الفريق باختفاء القلب الصناعي، سيطر الحزن على الفريق، الفكرة فكرة محمود ولكن بافي الفريق عمل على إنجاحها، أستدعى محمود أصدقاءه ليعرف ماذا يفعل، طلبت همزة أن يتدخل العميد، صرخ صديقه عبد الناصر:

ـــ وهل لا يعرف العميد أن القلب الصناعي أختفى.

أبلغ بعض الأصدقاء العميد بما حدث، عندما سمع ما قيل، تعجب من الأمر، اهتز من كلمات همزة التي تحمله المسئولية عما حدث، أستنفر جميع

العاملـين الموجوديـن في المعمل، أمـر بتفتيش كل الثلاجـات الموجودة فيه، وتغليظ العقوبات على كل المسـئولين الذين تسـببوا في ضيـاع القلب الصناعي استمر العميد في التفتيش كثيرا ولكنه لم يجد ما يبحث عنه.

تضيـع بعض الأشـياء الثمينة تختفى ولا أحد يراهـا كأنها بعض ذرات الغبـار المتناثـرة تطير مع الريـاح، تقذفها الرياح من مـكان إلى مكان إلى أن تصـل إلى المـكان المحدد لها الذى يعرف فيه الجميـع ثمنها، حتى أن بعض العاملـين في المعمل كانوا يبحثون عن شـيء لا يعرفونه، يجهلون ما يبحثون عنه يظن الجميع أنه بلا قيمة، وأن بهذه القيمة كيف يصنع في مكان حكومي ؟ وصل الأمر أن بعض أمناء المعامل لا يعرفون أسم الجهاز الذين يبحثون عنه، يبحثـون حتى يرضوا العميـد، لم يأت أحد بجديد، لم يجدوا الجهاز، حتى مع اسـتمرار العميد في البحث بنفسـه عدة أيام.. لكنـه لم يجده، توقف عن البحث، وعد محمود بأنه سوف يجده في أقرب وقت.

(٣)

في سـنة الأولي من الدراسات العليا بعد أن عين معيدا، التفكير في الجديد يزيـد الحياة صعوبة، ينقـل الحياة من حال إلي حال، تنشـأ الفكرة في عقل الإنسان، تتجمع الأفكار و تتمسك معا.

بدأ محمود حياته المهنية باختراعه بعض الأجهزة التعويضية الجديدة، ومنها كف اليد الذى يضاهى كف يد الإنسان الطبيعي في الشكل والملمس، قيامه بكل الوظائف التي يقوم بها كف اليد الطبيعي، عن طريق تحفيز الخلايا على إنتاج خلايا مماثلة لهـا تماماً، تكون مماثلة لها في المظهر، عن طريق تحفيز الخلايـا ببعض العوامـل مثل ارتفاع درجة الحرارة أو البرودة الشـديدة، أو اسـتخدام بعض البروتينات الخاصة التي تحفز الخليـة على التكاثر وإنتاج أفراد جديدة.

عرفـه الكل عندما أستنسـخ فص كبد من خلية كبديـة واحدة، عن طريق البروتينـات المحفزة ومعها بعض الخلايا المـادة الوراثية منها DNA التي تنتـج من الميتوكندريـا وهو جهاز داخـل الخلايا خاصة بالخليـة الوراثية والنـواة، وقـد لاحظ محمود قـدرة الخلايا الجذعية في إنتـاج أفراد جديدة، فالخلايا الجذعية هي المسـئولة عن إنتاج خلايا جديـدة، تكون هذه الخلايا ممثلة تماما للخلايا الحية، وبعد إنتاج الخلايا يتم تخصصها أي تحويلها إلى خلايـا كبديه أو خلايا للعظام، أو خلايـا للدم أو خلايا للتنفس وهذه الخلايا

تقوم بجميع الخصائص التي تقوم بهـا الخلايا الأصلية، حاول محمود إنتاج خليـة من نفس الخلية وليـس من خلال الخلية الجذعية، أو من خلال خلايا قرن أمون المسئولة عن إنتاج خلايا الذاكرة في الإنسان، أو إنتاج الخلايا الخاصة بحفظ المعلومات الجديدة، هو يعتبر مخزن لإنتاج خلايا الذاكرة.

اسـتمر محمود في إنتاج خلايا باسـتخدام البروتين الخاص للخلية المراد إنتاجها، استطاع إنتاج كبد كامل من خلال خلية كبدية واحدة، وبعدها بقليل اسـتخدم خلية من خلايا القلب لإنتاج قلب كامل، كانت هذه التجربة البداية الأولى التي أثارت عليه الكثير من حقد زملائه ومن مدرسه في الكلية..

إنتـاج كبد من خلية كبديـة واحدة، ظهرت الغيرة علـى وجوه مدحت وأصدقائه، ركض أصدقاء مدحت إلى الدكتور شـامل هو من يساند مدحت فهو صديق والده، شكوا إليه ما حدث،قال لهم:

يا دكتور محمود صنع كبد كامل من خلية كبدية واحدة.

ـ ماذا تريدون يا أصدقائي.

أرشدهم أن يقوموا بشكوى جماعية للعميد، يقولون فيها:

ـــ إن محمود يسـتخدم معامل الكلية في أغراض خاصـة، لا تفيد المناهج الدراسية التي يدرسها.

كلف العميد أحد الأساتذ لتقصى الحقيقة في هذا الأمر، لمعرفة ما يحدث، قابل المحقـق محمود وطلبه بأن يوضح له حقيقـة التجارب التي يجريها في المعمل، أبدى محمود الترحيب بالمحقق وشرح له كل التجارب التي أجراها، اطمـأن المحقق إلى كلمات محمود، أقتنع بأنه لم يخالـف قواعد الكلية، أنه يريد تطوير البشـرية وتقدم الكلية التي ينتمى إليها، وتنمية مواردها المالية

والبشـرية، أثنـى المحقق على عمل محمود وحاول أن يقـدم له يدى العون، طالب العميد بمساعدته.

لم تعجـب النتائـج مدحت ومن معـه، تدخل الدكتور شـامل في الأمر، حاول أن يثنى العميد عن أمره، طالب الطلاب بتقديم شكوى أخرى، كما أثار الموضوع في مجلس الكلية وقال في الاجتماع:

كيف لطلاب لم ينتهوا من الدراسـات العليـا أن يجروا تجربة لم نحاول تجربتها نحن.

ممـا ولـد الغيرة لدى أعضاء هيئـة التدريس في الكلية، قـرروا أن يمنع محمـود من عمـل أي تجارب.. ولكن العميد قرر أن يذهب بنفسـه إلى المعمل ويـرى ما يصنعه محمود في المعمـل، عندما ذهب العميـد إلى المعمل، علم أن محمود طالب مجتهد.. ولكنه أراد أن يحميه من غيرة أصدقائه ومن تلميحات أساتذته، أمره بأن يمتنع عن إجراء أية تجربة في معمل الكلية، وينتظر حتى التخرج، سوف يساعده بنفسه.

دائما من يحول التغيير يتعرض إلى الإيذاء، التغيير يحول صفات يمددها يحولهـا إلى كائن جديد، ينمو ويتمدد، يتسـع لجميع التغيرات التي تحدث له نتيجة الاختلاط بالمجتمعات الأخرى، تزيد من قدرته علي تحويل الناس لمسـايرة العصر الذى يعيشون فيه. التغيير يؤدى إلى تحسين صفات المجتمع، أو يـؤدى إلى تقليل في صفات المجتمع ودائما من يحاول الخروج عن العادات، يتعـرض للانتقاد وقد يتحـول إلى مجنون، ومن يحاول صنـع الجديد يقابل بالرفـض، في جميع المجتمعات يقف في وجـه من يحاول إن يغيره حتى وأن كان للأفضل، اسـتاء أصدقاء محمود من قرار العميد، صممت همزة أن تذهب

إلى عمهـــا الدكتور واثق الذى يعمل في الكلية القصير القامة، يمشـــى بخطوات صعبة، يصفه الطلاب بالأعرج لمشـــيته التي يميل فيها بكل جسمه علي ساقة اليمني، يظنه الطالب أعرج، لا يستطيع الحركة إلا بصعوبة، هو ليس أعرج، إنما عادة منذ الصغر، قالت له:

ـ يا دكتور نحن نجري تجربة جديدة لإنتاج كبد صناعي، ولا نســتطيع تنفيذها.

ـ أعلم بما حدث مع العميد، سوف أحاول معه مرة أخرى.

ـ لم تكن شخصية الدكتور واثق قوية ليقنع العميد.

هــو دكتــور كفاء ولكنه لم يأخذ حقه. ذهــب إلى العميد يحاول أن يثنيه عن رأيه، عدد مميزات محمود، والتزامه في محاضراته، وحب أســتاذته له، أظهــر أهمية تجارب محمود وأن ما يقوم به يســاعد على رفع درجات الكلية بين الجامعات العلمية، لم يســتجب العميد لما قاله الدكتور واثق وكأن الغمام على رأســه والطير يحوم حوله يشــغله عن التفكير في أهميــة أعمال محمود بالنســبة للجامعة، عندما خرج الدكتور واثق من حجرة العميد ورآه محمود، أيقــن إن العميد لن يقبل طلبه، مضت فترة من الوقت، تاه بين جنبات الحياة كالمريض الذى تغشــه آلام المرض، يظن أن الحياة ستتوقف عند هذه اللحظة، قابل الدكتور واثق محمود وهمزة في مكتبه رأى حالة محمود حاول أن يخفف آلامه، قال له:

يمكن أن تكمل تجاربك في معمل صديقا لي.

سألته همزة من هو الصديق يا عمي؟

ـــ الدكتور رائد، يملــك مصنعاً صغيرا للأدوية، يحمــل المصنع ترخيصا

لصناعة الأدوية من شـركة جيـل الأمريكية لصناعة الـدواء، بداخل المصنع معملا، يحاول رائد تطويره ليرفع أسم المصنع، ويصنع أسما خاصاً به، يرحب بكل من يحاول ابتكار جديد في عالم الدواء والطب.

قبـل هذه الفكرة، حاول أن يثبت نفسـه للجميع، وفـي أول لقاء له مع صاحب الشـركة الدكتور رائد، أعجب بعمله وقدرته على اسـتخدام الأدوات العلميـة وإمكانياته الخاصة في فصل الإنزيمات، وتحديد البروتينات الخاصة بالجينات، ومعرفة الخلية الفيروسـية من الخلية الحية، رأي الدكتور رائد محمود، قال له:

معملي هو معملك اصنع فيه ما تشاء، لماذا لا تستمر في العمل معنا.

ـ يا دكتور لا أريد أن أكون عبأ ثقيلا عليك، أنا لازلت في سنة الدراسات العليا الاولي.

ـ لا يهم سوف تعمل في وقت فراغك.

ـ هذا كرم لم أقابله في الجامعة، ماذا أعمل في الشركة.

ـ لك مكان في الشركة، ستعمل رئيس قسم التطوير.

عـرض الدكتور رائد أن يكون العمل معه بالإنتـاج كلما توفر له الوقت، يأتي، ويعمل بأجر مناسـب، بذلـك مد الدكتور رائد يـد العون إليه، حتى يسـتطيع أن يلتـزم بالدراسـة في كليته، ايضا يكسـب بعض المـال، يحاول الدكتـور رائد أن يكسـب هذه الموهبة العلمية، حتـى يضمن أن يعود محمود للعمـل عنده بعد الجامعة.. بذلك يسـتطيع تنمية مصنعه، وافق محمود على العمل في المصنع كان يسـاعد في استخلاص الإنزيمان والهورمونات، ومساعدة العاملـين على إنتاج الأدويـة الجديدة، وتجربتها على الحيوانات، سـاعده

عمله كثيرا في اســتخلاص الخلية الحية ومعــرف خصائصها ومحاولة إنتاج خليــة صناعيــة ممثلة لها، في هذه الفــترة نجح في إنتاج فــص كبد كامل من خــلال خلية كبدية حيــة، ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد بل حاول أن يصنع خليــة صناعية مشــابهة للخلية الحية بما فيها من مكونات الغشــاء الخلوي والســيتوبلازم الشبكة الأندوبلازم والكروموسومات و أجسام جولجي وأجسام حالة والميتوكندريا والمريكزات والنواة وتنقســم إلى الغلاف النووي والســائل النــووي والنوية والكرمتين الذى يحتوى على DNA والبروتين، أســتطاع أن يصنــع مثل هذه المكونات لكــى ينتج خلية حية، تخصص محمود في الأجهزة التعويضية في الكلية، بذلك يتمكن من تحقيق أهدافه، تنفيذ أفكاره.

(٤)

الحياة ليســت المانح والمانــع، تأخذ من الإنســان أذا رغبت، وتمنحه أذا رضيت، وتلين أذا حنت، وتشــد أذا ما غضبت، لا تمنع الإنســان مما يريده، ربما توقفه فترة من الوقت، لكنه يصل في النهاية.

وفى الســنة الثانية من الدراســات العليا، تمر ســنة وتأتي سنة جديدة، والإنســان يتغير من زمان لزمان آخر، والعقل البشــرى يتطور إلى الأفضل مع مرور الزمن، قدم محمود مشروعاً لإنتاج كبد صناعي من خلية صناعية تماما، كانت مصنوعة باستخدام الحاسب الآلي، وليس من خلال خلية طبيعية يقوم فيه بإدخال DNA الخاصة بالكبد الطبيعي، ومنها تستطيع إنتاج كبد صناعي كامــل، توجه مدحت إلى والده يخبره بما يحاول محمود القيام به في الكلية، أكــد له والده أن هذه التجربة لم يتم تجربتها في العالم كله، ولم تجر تجربة مــن هــذا النوع في العالم كله، ذهب إلى الدكتور شــامل يتودد له، ويحاول أن يتقرب منه، ويؤجج قلبه على محمود وتجاربه، قاله له:

محمود يحاول أن يصنع كبدا صناعياً من خلية صناعية تماما.

قام الدكتور شامل بعمل كل السبل لكى يقف في وجه تجارب محمود، هل فعل ذلك بسبب الغيرة أم بسبب الحقد عليه ؟ أم من أجل حب مدحت ووالده صديقه القديم ؟ لا أعرف ولكن شــامل ليس من النــوع الذى يحب صديقاً له، ذهب شامل إلى العميد، أسرر في إذنه وسوس له كالشيطان الرجيم:

ـــ يا دكتور لكى نعلن بإجراء اكتشـاف جديد، لا بد أن تجرى التجارب على الحيوانات أولا للتحقق من صحة التجربة، نحن مستشفى حكومي ليست مخصصة للتجارب العلمية، ماذا لو فشـلت التجربة يـا دكتور؟ كيف تكون صورة الكلية بين الناس ؟ سـوف تشكك الناس في كل عملية جراحية نجريها بعد ذلك، يا دكتور كيف نتبع طالباً مازال في الدراسات العليا ؟

فكر العميد في كلمات الدكتور شامل التي قالها، همسه في نفسه:

ـــ كلامه صحيح، كيف يخفض من مستوى الكلية بين الجامعات في عهده ؟ هو المسـئول عـن المرضى والعاملين في المستشـفى، ماذا لو فشـل محمود في تجاربه؟ لم يأخذ وقت طويلاً في التفكير، همس للدكتور شامل:

ـ احضر لي رئيس القسم يا دكتور؟

نظر الدكتور شـامل إلى الأرض وابتسـم ابتسـامة خفيفة، وأدار وجهه، وخرج من الحجرة، هرع إلى الباب يتلوى كأنه ثعبان يسير متبخترا إلى وكره.

منـع العميد على مضض التجـارب التي يجريها محمـود وفريقه، لجأ الفريق إلى الدكتور واثق عم همزة، سمع الدكتور واثق كلمات همزة وفريقها، قال لهم:

محمود له معمل يستطيع أن يجرى فيه تجاربه التي يريدها في أي وقت، فهو يعمل لدى شركة أدوية خاصة.

فكر محمود فيما قاله واثق عن مصنع الدكتور رائد الذى كان يعمل عنده، يستطيع أن يذهب إلى هناك عندما يريد أن يجرى أبحاثه، تهلل وجه محمود الشـاحب وتحول إلى لون وجهه إلى الأحمر الفاتح، وظهرت تقسيمات وجهه الجميلة، عرض الأمر علي الدكتور رائد، قال له:

ـ أنت رئيس قسم التطوير في المصنع فعلا.

ـ ولكن لي أصدقاء أريد العمل معهم.

ـ أصطحب أصدقاءك، تستطيع أن توظف من تشاء للعمل لمساعدتك، لكن الأبحاث سوف تسجل باسم الشركة.

رحب الدكتور رائد بمحمود، وافق محمود على شروطه، وواصل أبحاثه في أنتاج خلايا كبد صناعية، لكن وجد أنه قبل إنتاج الكبد الصناعية، لا بد أن ينتج كبدا طبيعيا من خلال خلية كبدية واحدة، وذلك بإدخال DNA الخاص بخلايا الإنسان المريض، باستخدام حث الخلايا على إنتاج خلايا جديدة متماثلة للخلية الحية، أخذ العمل بالتجربة حوالى ثلاث أشهر، دخلت السنة الثانية وكادت السنة الثانية أن تنتهي، نجحت الفكرة على الحيوانات التي جربت عليها، قرر محمود وفريقه تنفيذ التجربة على الإنسان، ولكنه يحتاج إلى متطوع، لاحظ محمود مريضين بالكبد في المستشفى التي يعمل بها، هما عم محمد وعم خالد، يرقدان على سريرهما ينتظران الموت في أية لحظة، فكر محمود في مصارحتهما في الأمر ولكنه فضل أن يخبرهما الدكتور رائد حتي يستطيع أن يقنعهما لكبر سنه وقدرته على الإقناع، وافق عم محمد، تعلق بالأمل، ظهر له طوق النجاة، حتى يتخلص من هذا الخوف على حياته، والقلق المستمر على حياته كأنه في بئر عميق بلا ضوء أو ماء على حافة الموت، ثم أسقط له أحد حبلا، التقطه وحاول الصعود إلى أعلى.. لكن عم خالد وأسرته رفضوا الفكرة، فأستعد محمود وفريقه للجراحة، ولكنهم يحتاجون إلى جراح كبير، وافق الدكتور واثق أكبر جراحي البلاد بالقيام بإجراء العملية معهم، واجريت الجراحة، ونجحت نجاحاً كبيراً، وأستعاد

المريــض وعيه، وعادت كبده إلى حالتها الطبيعية، التي كانت قبل المرض، تم نشــر خبر العمليــة في المجلات العلمية المتخصصة وفــى مجلة الصحة الآن، حضر المريض إلى المستشــفى العام لكى يتم فحصه فحصاً دقيقا لكى يتم اعتماد نتائــج التجربة، إجــراء كل الفحوصات على المريض، جاءت كلها ســليمة، حتى يستطيع محمود تعميم التجربة، بالفعل تم تسجيل العملية واعتمادها.. لكن ســبقهم إلى تســجيلها الدكتور رائد في مؤتمر طبى عالمــي حيث أعلن أن شركته صنعت علاجاً جديداً للكبد، شرح فيه العلمية الجراحية التي أجراها الدكتور محمود وفريقه وعرض فيديو من داخل معمل شــركته، أعلن للجميع أن محمــود يعمل عنده في الشــركة أخــبر الجميع أن من يريد الاســتفادة من التجربــة فعليه التوجه إلى مقر الشــركة.. لكن العميــد أعلن نجاح العملية، أعترف العميد بخطئه، حزن أعضاء هيئة التدريس على الســبق العلمي،لكن يمكن تدارك الخطأ الجســيم، فكل فريق العمل يعملون في المستشفى الجامعي، وأعلن أن من يريد إجراء العملية داخل المستشــفى الجامعي يدون أسمه داخل سجل المستشفى،ســوف تحدد مواعيد العمليات الجراحية لزراعة الكبد التي يجريهــا الفريق الطبي المتخصص، دونت قائمــة كان أول أسماً فيها عم خالد صديق عم محمد، العملية الاولى سوف تجرى له، استعد الجميع في المستشفى الجامعي لإجراء العملية حتى أن دكتور التخدير قام بتخدير عم خالد، ولكن عند بدء العملية اســتلم مدير الكلية إعلاناً من المحكمة، يعلن فيه المستشفى بــأن الدكتور رائد أقام دعوى قضائية لإيقــاف إجراء أية عملية جراحية لأى مريض لأن حق الاختراع له، ولا يمكن إجراء عملية جراحية من هذا النوع إلا بموافقة الدكتور رائد، قابل العميد الدكتور رائد، قال له:

من فضلك نريد إجراء العملية من أجل عم عفيفي، تعلق بالأمل.

ـ لا استطيع لو أجريتم العملية في المستشفى سوف تجري أي مستشفى أخرى العملية، والفريق الطبي الذى ينفذ العملية هم فريق يعملون عندي.

ـ يا دكتور رائد المريض في حالة خطرة ولا يتحمل أي نكسة لو لم تجري العملية.

ـ تستطيع أن تُجرى العملية ولكن تدفع مليون جنيه.

لم يرضخ العميد لابتزاز رائد له، اتصل بمحامي المستشفى قص له ما جده، قال له المحامي:

له الحق في مطالبه، فهو صاحب الاختراع، ويعتبر المبلغ بديلاً له عن المصروفات التي أنفقها من أجل التجارب التي سبقت العملية.

من أين يجلب له هذا المبلغ الكبير، ولكن المريض خدر ولا يستطيع إيقاف إجراء العملية، طلب من الدكتور أن ينتظر إلى بعد العملية، رفض رائد الطلب، أصر على المبلغ، جمع العميد أساتذة الجامعة وأطلعهم على ما قاله رائد، فما كان منهم إلا أن قام كل منهم بدفع ما معه من مال، جمعوا مبلغاً من المال، لم يقترب مما حدده رائد، لذلك أضطر الدكتور للطلب من العاملين بالمستشفى، أعطى العاملين ما معهم، جمع العميد المال ومنحه إلى الدكتور رائد، وافق على إجراء العملة، أجريت العلمية بنجاح لعم خالد، ونجحت نجاحا مبهراً، همس العميد في نقسه:

ماذا عن باقي المرضى المسجلين في الدفتر الذين ينتظرون إجراء العملية الجراحية ؟ هل على العاملين التبرع بأجورهم لكى تتم إجراء العمليات لهم ؟ لو دفعت المستشفى كيف تدفع مرتبات الموظفين؟

قــرر أن ينتظــر حتى يعرض الأمر على المســئولين لعلهــم يجدون الحل المناســب، ربما يخصصــون له مبلغا من الميزانية العامــة للدولة، أضطر مدير المستشــفى إلى إيقاف العملية فترة من الوقت، أحس العميد بالخطأ الذى وقع فيــه عندما رفــض أن يجرى محمود أبحاثه داخل معامل المستشــفى، اعتذار لــه على ما تســبب له مــن متاعب، طلب منــه أن يترك العمل لــدى الدكتور رائد الذى أســتغله وانتهز الفرصة ليتاجر بإمراض الناس، استجاب محمود لطلبــه، وترك العمل فهو لا يحتاج إليه، فقــد عين معيدا في الجامعة، يعمل بالمستشــفى الجامعي ومن حقه استغلال كل معامل الجامعة، استمرت القضية في المحكمــة، ولكن فريق الدكتور طلب مــن المحكمة إجراء العملية، وافقت المحكمــة لطلبهم مع إعطــاء الدكتور أجر رمزي عــن كل عملية يقوم الفريق بإجرائها.

(٥)

الحب يحيي الحياة، يزيــل كل العقبات من أمامه، ينير الدنيا بمصابيح السعادة، يساعد الإنسان علي الحياة.

وقفــت همزة بجانب محمــود، أصبحا أكثر قربا مــن بعضهما، توطدت العلاقة، تعددت المقابلات بينهما، وأحس محمود بإحســاس لم يخوضه قبل ذلــك مــع أن همرة لم تكن الأولى في حياته، ســبقتها واحــدة أخرى، قبل أن يتعــرف على همــزة، هي الطالبــة الجميلة رحمة ذات العينين الواســعتين الزرقاويتين، والوجه الابيض، والفم الصغير، العلاقة التي ولدت على يدى.

كنا جميعا جيران في نفس الشــارع في الســيدة زينب، طلبت والدتها من أمي أن أساعدها في مادة الفيزياء، المادة التي لا تستطيع استيعابها من المدرسة طلبــت منى أمي أن أقــوم بالتدريس لها، لا أحب مادة الفيزياء ولا أســتطيع شــرحها إلى أحد، مع إلحاح والدتي، طلبت من محمود أن يقوم هو بالتدريس لهــا، ويأخذ مــا يريد، وافق محمــود، طلبت من والدتــي أن يذهب محمود فوالدته أيضا صديقة لوالدتها، حددت له يومين أســبوعياً للحضور إلى بيتها، مع تعدد اللقاءات بينهما، ترابطا، أصبحا صديقين، أصبحا لا يمكن الاستغناء عن بعضهما إلى بعض، بدأت لقاءاتهما في خارج المنزل، كنت أول شــهد هذا اللقاء عندما أسر لي محمود بالخبر، همس لي:

سوف أقابل رحمة الآن في كازينو الليل على النيل.

بدأت حبال الود تتشابك، العلاقة ظلت علاقة صداقة، لم تتطور إلى حب، انتهـت عندما أنهت رحمة المرحلة الثانوية ودخلت كلية التربية، وصار هو الآن في السـنة الرابعة غبطته قليلاً ربما لأن محمود قابل همزة، أحس معها إحساسا مختلفا، كانت رحمة البنت الأولى التي يلتقى بها محمود، لذلك كان لا بد أن تولد مشـاعر التقارب بينهما، بينما عندما قابل همزة أحس حساسـا مختلفـاً، يبدو أنه اجتاحه لهيب من المشـاعر بل وابل من الآمال، سـيل من المشـاعر التي هاجمت كل كيانه، هاجمته لم يسـتطع مقاومته، أو الاعتراض عليه، حدث نوع من الانبهار بشخصية همزة الجميلة الذكية المدركة للأمور، تسـتطيع مواجهة المصاعب، البنت الجميلة الـتي تعتمد علي جمالها، برغم إن همزة ممشـوقة القوم، خمرية اللون فمها صغير يشبه ثمرة التوت الحمراء الجميلة الناضجة فوق الأغصان، عيناها الزرقاء الواسـعة الجميلة، تشـبه في جمالها عين الغزالة الوليدة.

اقـترب منها، اقتربت منه، زادت الصلـة بينهما، تميل إلى خفة الدم، الكلمة المرحة التي تخرج الشـخص من حالته سـواء كانت الحالة العبوسة أو الحزن، أفضى إليها بحبه في أول لقاء لهما في كازينو الحمام بالجيزة، ليست المـرة الاولى التي يتكلم مع امـرأة.. لكنها المرة الأولى التي يصرح فيها بحبه، كانت المرات السابقة لقاءات عابرة كلمات يقولها كل طرف إلى الآخر دون وعي بمـا يقوله كل منهم للأخر، على الطاولة المطلة للنيل صارحته بحبها، تبادلا نظرات الإعجاب، ظن كل منهم أن الحياة سوف تقف عند هذه اللحظة، اتفقا على الاقتران، تعاهدا على الوفاء، اتفقا على ألا يفرق بينهما شيء إلا الموت، تطورت العلاقة بينهما إلى أن أصبحا جسـدان في روح واحدة، سـاندته في كل

تجربـــة يقوم بها، حاولت أن تســاعده في كل جديد يحاول أن يصنعه، وقفت بجانبه عند صناعة كف اليد أول تجربة كانت ضمن فريقه المشــارك في عملية القلب الصناعي حتى في زراعة الكبد الصناعي كانت ضمن فريقه

الســنة الدراسية انتهت بكل ما فيها من جمال وقبح، من حلاوة ومرار، تم تعين محمود معيدا في قسم الأعضاء الصناعية، يبدو أن النوايا السيئة تطارد محمود هذا هو عام النوايا السيئة، وبعد الأخبار الحسنة التي سمعها، وانبلج الفــرح واضحا من الجميع، تحول الفرح على وجنات محمود وأصدقائه عندما سمعــوا أن صديقه اللدود مدحت عين معه في نفس القســم الأعضاء الصناعية، عندما سأل عن ذلك، قال له الدكتور شامل رئيس القسم:

تم تعينكمــا أنتما الأثنان حتى تســتفيد الكلية مــن جهودكما معاً. رأى العميــد أنه يتم تعينكما حتى يعرف من منكما الأجدر على النهوض بالقســم ربما يحدث كل منكم طفرة في القســم، فتكونا ســببا في تحسين ترتيب الكلية على مستوى الجامعات الأخرى.

يعلــم كل منهما ذلك جيدا، يضيعه كل منهما في عقله، يحاول كل واحد أن يكون الأفضل، يبذل ما يستطيع من جهد، ليتمكن من الانتصار على ذلك، محمــود أخذ الأمر كأنه منافســة علمية الفائز المهزوم يتــم تكريمهما، ربما تساعده على التودد مع بعضهما، ربما الصداقة فيما بينهما، عمل محمود بجد منذ الوهلة الاولى التي أنتظم فيها في العمل في الكلية، بينما مدحت ساعده والده كثــيرا جلب له أحدث الأجهزة التعويضية من الخارج، لم يتكلف الكثير من الجهد أو المال بل ساعده أصدقاؤه داخل المستشفيات الحكومية وبعض أصدقائه في الخــارج في جلب أحــدث الأجهزة، حاول محمود بطريقــة أخرى، أعتمد

على آرائه القديمة حاول تنفيذ تجاربه العلمية السابقة، فالطريقة محفورة في ذاكرته يستطيع تنفيذها بكل سهولة فكل الإمكانية المتاحة متوفرة ولكنه يلزمه، وقبل أن ينهى مرحلة الدراسة حاول تسجيل رسالة الماجستير حتى يستطيع الإسراع في حياته العملية لكى يتمكن من الارتباط بهمزة ومواجهة أهلها، وتلبية جميع متطلباتهم، عزم على خطبتها والتقدم إلى والدها.

لكن ظهر في الآفاق عريس آخر ابن صديق والدها الحاج صادق أكبر تاجر أثاث في البلاد، يتحكم في السوق كما يشاء.

علمت همزة بالأمر حزنت إلى درجة أن أوصدت الباب عليها ولم تفتح لاحد بحجة إنها مصابة بالصداع، وعندما ذهبت إلى المستشفى في اليوم التالي وقابلته، رآها متجهمة مهمومة سألها:

ماذا حدث ؟

لم ترد عليه، انتظرت فترة من الوقت قبل أن ترد كأنها تفكر ماذا تقول، نظرت إلى الأرض كأنها لا تعرف ماذا تقول، أحس محمود أن هناك شيئا ما يقلقها، كرر السؤال مرة أخرى:

ـــ ماذا حدث؟

لم تستطع أن تخفى عنه ما حدث، اضطرت بعد إلحاحه الشديد أن تخبره بالأمر، كاد أن تزهق روحه مما سمعه كأنها سقط في ماء مغلى أو كأنه ألقى به في منزل به حريق ملتهب وهو يحاول أن يخرج من هذا الحريق ولا يستطيع، تمتم والحزن يخرج من عينه:

ـــ ولكنه يعرف أنى أحبك، وأنت تبادلينني نفس الشعور، وأنى أريد أن أتزوجك، ـوعدني بذلك لم يكن وعدا بالكلمات.. لكنني أحسست إنه يقبلني.

كان يتكلم والدموع تخرج من عينيه كأنها حبات مطر تسقط من السماء، همزة تبادله الشعور بالحزن.. لكن تطمئنه بكلماتها الرقيقة ونظراته الحانية التي تؤكد له أنها تعشقه وتقبل به حبيبا لها، همست له في ود تطمئنه:

ـــ انت تعرف إنه لا يستطيع أحدا أن يأخذني منك، أنت الوحيد الذى يتمناه قلبي، لن يجبرني أحد على تركك أبدا، إلا أذا كنت تريد ذلك.

أحس ببعض الاطمئنان من كلماتها ولكنه يعرف تأثير والدتها ووالده، ذهب إلى عمله ببعض الاطمئنان، يحاول أن يسابق الزمان لكى يرتبط بها، أصبحت حلمه الوحيد، أصبحت كالأنفاس التي تخرج من صدره، كالماء الذى يشربه، أصبحت النجاح الذى يريد أن يحققه لكى يتقدم في حياته، وصلت همزة إلى المنزل حاصرتها والدتها بالأسئلة، ضيقت عليها الخناق، عددت إليها مميزات أسرت ومحاسنه وطريق العيش في منزله التي تشبه العيش في قصور الملوك، وإنه يستطيع توفير حياة أفضل من الحياة التي يستطيع محمود أن يقدمها لها، وإنها تتمنى أن ترى السعادة في وجهها ولكن محمود يحتاج فترة من الوقت لكى يستطيع أن يكون حياة لها ليس هذا فقط ولكنه يحتاج بعض الوقت حتى يستطيع أن يفتح منزلا، والدها لا يستطع الانتظار كثيرا من الوقت لكى يراها سعيدة في بيت زوجها

(٦)

هــل يذوب الحب بعد أن كان شــلالا من المشــاعر، هل يســقط علي أرض مســتوي يذوب ويتلاشــى بين الاركان، هل يبدد الحــب ويصبح ترابا تذروه الرياح كما تشاء.

ظل والدهــا يحاصرها بالأســئلة، توقفت تدريجيا عن لقــاءات محمود، وافقت في بدء الأمر على لقاء أســر العريس اقتربت منه، تعددت اللقاءات في منزلها.

لم تمنع الأم همزة من لقاء محمود، لكنها ســاعدت أســر على الاقتراب، شــرحت له ما تحبه همزة وما تكره، خطف أســر نظر همزة بثرائه الباهظ، بملابسه الأنيقة، بكثرة التابعين له.

مع إلحاح والدها المســتمر عليها، مالت إلى أســر، كادت اللقاءات بينها وبين محمود أن تتوقف. لكــن محمود لم يتوقف عن حبه، طلبها في التليفون عدة مرات، حاولت التهرب منه، طالبها أن تقابله، لكنها تهربت منه، أصر على مقابلتها، لم تســتطع الرفض، وافقت على مقابلته، حاول أن يســتميلها إليه، طالبها أن تتمســك بحبها، طلبــت فترة حتى تتخلص من ملاحقة أمها المستمر لها.. لكنها في النهاية لم تستطع المقاومة، استسلمت لرغبة والديها.. لكــن محمود لم ييأس، جاهد في الوصول إليها، حاول مرة أخرى اســتجابت همزة إلى طلبه، قابلته، لم يحاول أن يؤثر عليها.. لكنه أعاد إليها ذكرياتهم

الجميلة، أفاقت همزة من الانبهار المسيطر عليها بأسر وثروته، عادت إلي المنزل، تذكرت ما فاتها من وقت لم تقابل فيه محمود، ندمت عليه، صارحت أمها إنها لا تريد العريس، لم تستطع الأم أن تثنيها عن رأيها، علم أبوها بالأمر، أيقن أن السبب وراء الرفض هو محمود، التقي والداها بخطيبها في منزلها وقال:

تقدم صديق همزة لخطبتها أمس وهي توافق عليه.

راقب العريس محمود مراقبة لصيقة، وعلم عنه كل شيء، عرف حتى مواعيد نومه واستيقاظه، علم موعد لقاءهما، ومكانه، تحين فرصة اللقاء في كازينو الأمل على النيل، يعرف صاحبه هو صديق قديم إلى أسر.. لذلك جلب معه حراسه ورجال الأمن الموجودين في المصنع الذى يملكه والده. ذهبوا إلى الكازينو القريب، دلف إلى الداخل، وجدت همزة خطيبها أمامها، لم يتكلم معها كثيرا، أنقض على محمود هو ورجاله، لم ينتظر حتى مغادرة همزة المكان. في لحظات قليلة طوق الكافتيريا، لم يتمكن أحد من مغادرة المكان. شاهد الجميع ما حدث، أشار أسر إلى رجاله، أحاطوا محمود، أمسكوه بقوة من ذراعيه، صرخت همزة بقوة:

ـــ ماذا تفعل ؟

لم يتأثر بصرخات همزة، تفرق رجاله بعضهم وقف على الباب والبعض الآخر، التفوا حول محمود، وقف محمود مواجهاً إلى أسر، ضربه بلكمات قوية في بطنه ووجهه، صرخت همزة بصوت عال:

ساعدوني، ساعدوني.

لم يأت أحد إلى نجدتها، كأن أسر صنع حاجزاً بينها وبين الناس..

حتى صاحب المطعم لم يتحرك لإنقاذ مطعمه حتى العمال لم يتقدم أحد لنجدة محمود كأنهم يشاهدون الحدث داخل تليفزيون أو شاشة عرض سينمائية ثلاثية الأبعاد، أسرعت همزة، وقفت حائلا بين أسر ومحمود، أمسكها أسر من ملابسها، ألقاها بعيداً، وقعت على الأرض وهي تصرخ، وتبكى، نظر محمود إليها أحس بضعفه الشديد، شحذ عزيمته، وقف على ساقيه واتجه إلى أسر، ضربه بيده على وجهه، أمسك به رجال أسر وأوسعوه ضربا، وقع على الأرض، رفعه مرة أخرى، وتناوب عليه الضرب حتى أصيب بالعياء الشديد، وقفت همزة مرة أخرى، صرخت قائلة:

ـ أتركوه ولن أقابله مرة أخرى؟

توقفت قليلا ثم استطردت:

ـ أتركه وسوف أذهب معك الآن.

أشار أسر إلى رجاله بالتوقف.. لكن محمود جمع قوته مرة أخرى. وقف على ساقيه، ضرب أسر ضربا قويا، أوقعه أرضا، أمسكه رجال أسر مرة أخرى، أوسعوه ضرباً حتى أغمى عليه هذه المرة، ظنوا أنه مات، توقفوا عن ضربه، أمسك أحدهما بهمزة، طرحها أرضا، وقعت بجانب محمود، توقف الجميع لحظة، أشار لهم أسر أن يتركوا المكان، تركوه وفروا هاربين من الباب الأمامي بدون أن يعترضهم أحد من العاملين، لم يبادر أحد من الموجودين بتقديم يد المساعدة، كأن على أعينهم الطير كأن ما حدث في عالم غير العالم في واقع افتراضي، حتى صاحب الكافتيريا لم يقدم المساعدة كأنه يعرفهم جيدا، يبدوا أنهم اتفقوا معه، لم يتدخل لينقذهم أو حتى يحاول أن ينقذ ممتلكاته، جلست همزة بجوار محمود تصرخ بعد لحظات قليلة، وجدت والدها يدخل

إلى الكافتيريا، أمسكها من يدها، رفعها من على الأرض، أسندها إلى كتفيه، جرها بقوة، وهى متسمرة في مكانها، تنظر إلى محمود وتبكى، وتصرخ:

ـ محمود، محمود.

جذبها كأنه يخلع شجرة قوية من جذرها الممتد في الأرض، لم يكترث والدها لبكائها ولا حتى لدمائها التي تملأ المكان، تغرق ملابسها الملطخة به، حتى أنه لم يحاول أن يطلب الإسعاف لمحمود، خرج خارج الكافتيريا، وضعها في سيارته المرسيدس الحمراء، انطلق بعيدا عن المكان، ترك محمود كما هو ملقى على الأرض مغشياً عليه، لم يحاول إنقاذه، هكذا الضعيف لا يسأل عليه أحد، كأنه ذرة من ذرات التراب المتناثرة، لا يراها أحد مخفية من ضآلة حجمها، تتطاير في الكون المترامي الأطراف بلا هدى، ظن جميع من بالمكان أن الرجل الملقى هو الظالم، غرر بالبنت المسكينة، حاول أن يأخذها من خطيبها، لم يظن أحد أنه هو المظلوم هو الخطيب والأخر هو الظالم، يريد أن يسلبه حقه.. دائما ما ينظر الناس للأعلى صوتا عن باقي الناس حتى وأن كان الضعيف أقل صوت ظل محمود ملقى على الأرض ولا يقترب منه أحد، لم يحاول أحد الاتصال بالإسعاف، لنقله إلى المستشفى القريب، الكل خائف، حتى بعد ذهاب أسر ومن معه وأبو البنت، لم يدن إلى الجسد الملقى على الأرض أحد، صاحب المكان استيقظ من غفلته، أفاق، طلب الإسعاف، قدمت سيارة الإسعاف سريعا.. لكنها لم تقترب من المكان إلا بعد فترة، كأن من فيها خائفين أن يتدخلوا حتى أنكشف الظلام عن المكان، أتوا، حملوا المصاب إلى المستشفى.. لكن بعد أن نزف أغلب قطرات دمه، رآه أحد زملائه الأطباء، عرفه بالشبه، نظر إليه، تفحصه جيدا، عرفه صاح في الممرضات:

ـــ صديقي الدكتور محمود.

انطلقت المرضات تتكالب على إنقاذه بعد أن كان ملقى به في أسفل مبنى المستشفى الحكومي بدون أية رعاية في اليوم التالي، أتت همزة لزيارته، تحمل معها الأسى ونظرات الخوف عليه، الحزن يقطر من وجهها كأنه حبات من الكروم المعصور إلى قطرات من الخمر، تتمايل، تتطوح، تخاف أن تؤثر فيه الحادثة، تهمس:

ـــ هل من الممكن أن تكون الحادثة هي فصل النهاية في حياة محمود؟

تتقدم خطوة وتتقهقر خطوة أخرى كالجندي الخائف في المعارك الكبرى.. عندما يجد نفسه في وسط المعركة ولا مناص أمامه إلا القاتل، يتغير حاله إلى النقيض تماما، يصبح بطلا مغوارا، يهاجم، يقاتل حتى يحمى نفسه من الموت، لم تتغير حالتها حتى دلفت إلى حجرته، وجدته ملقى أمامها، تشجعت، جلست بجواره حتى يفيق من غيبوبته.. لعلها تكون مثل الماء الذى يسقط من السماء على الحبة الصغيرة الساقطة من الشجرة الكبيرة، تمتصه الحبة، تكبر، تنمو، تصبح شجرة مثمرة، جلست منتظرة حتى أفاق من غيبوبته، وجدها، تجلس بجواره مثل الزهرة الجميلة، نظرت إليه بحنو، قالت:

ـ هل تريد شيئاً يا محمود ؟

لم يستطع الكلام ولكنه أبتسم في وجهها. بعد لحظات قليلة دخل عليه الضابط سأله:

ماذا حدث ؟

لم يستطع محمود الإجابة على تساؤلات الضابط. أمره الطبيب المختص أن

يأتي بعد يوم أو أثنين حتى تستقر الحالة الصحية للمريض. لم يمنع الطبيب من ذلك، انصرف مسرعا، لكن همزة انتظرت بجانبه، تحاول التخفيف عنه، كان وجدها معه كالماء للحياة، أفاق من غيبوبته، ورجع إلى وعيه، الحالة النفسية للمريض تؤدى إلى تحسن حالته أو العكس انتكاسته، جاء الضابط مرة اخرى، لم يحاول محمود أن يزج باسم همزة في الأمر، قال له:

ـــ لا أعرف من فعل ذلك، كنت في الكافتيريا، حدثت مشادة كلامية مع أحد الموجودين في الكافتيريا، تطورت سريعا إلى تعدى بالألفاظ النابية، تحولت إلى ضرب بالأيدي، يبدو إنه كان من أهل المنطقة لآنى وجدت الكثير من الناس تلتفت حولي، تتعدى على بالضرب مرات حتى أغمى على، سأله الضابط بحزم:

ـ هل كان معك أحد؟

ـــ لم يكن أحد معي كنت وحدى كانت المرة الأولى لي في المكان.

حاول أن يخرج همزة خارج القضية لكى يرفع الحرجة عنها، أحست بمدى حبه لها قضت بعض الأيام عنده في المستشفى، عادت إلى المنزل، لم يصرخ أباها في وجهها كعادته.. لكنه قرر قراراً صارما بعدم خروجها من المنزل إلا للضروريات، قرر أن تجلس في المنزل كالشجرة في الحديقة، لا تنتقل من مكانها حتى أن قامت العاصفة لا تعرف من الدنيا إلا ما بداخل السور الذى يحيط بها، توقفت عن الذهاب إلى محمود في المستشفى حتى الكلية لم تعد تذهب إليها، فرض أبوها الإقامة الجبرية عليها داخل المنزل، أشترط عليها أن يفك الحصار أذا وافقت علي الزواج من أسر، رفضت هذا العرض بشدة،

أضطــر الأب إلى تهديدها بالقضاء على محمود وعلى مســتقبله في الكلية إذا لم توافق على الزواج، قبلت على مضض منها، تحاول أن تنقذ محمود من شراسة أسر وأبيه، الطريقة الوحيدة للحفاظ على حياة محمود.

(٧)

تمـر الحياة على همزة كأنها خطوات بسـيطة فوق طريـق طويل متباعد الأطراف، يسـلك الإنسـان فيه ممرا واحدا يتحرك فيه بلا هدى لا يعلم متى يصـل إلى آخره أو إلى أي مكان سـيذهب، تائهة تحاول أن تجد الطريق، لكن بلا جدوى من السـير فالطريق الذى تسـلكه ليس هو الطريـق الذى أرادته، تحس همزة بالفشـل، وافقت على الزواج من أسر ابن صديق والدها، انقطعت عن الدراسة، باتت جليسة المنزل تفتقد العالم من حولها،تنتظر أن يأتي اليوم وينفـك هذا الحصـار، وتعود إلى عملها الذى تحبه، ولكـن والداها أصر على جلوسها في المنزل، انتزع من فمها كلمة:

ـ قبلت العريس.

وكأنـه كان ينتظر ذلك كالصيد الذى ينتظر فريسـته أن تخطئ، وتدخل داخل شـبكته الـتي نصبها لها بإحكام، وجدت همزة أنـه لا مفر من حالها إلا بقبـول العريس، توقفت عن العيش في الآلام والحياة داخل سـجن مغلق، فالحيـاة تمر في ثوان وهى تقـف على باب الكون دون السـماح لها بالدخول ومحاولة الوصول إلى قطار الحياة، الذى يسـير بسـرعة كبيرة، تسابق سرعة الضوء، الحياة زمن والزمن لا بد أن يسـير بسـرعة الضـوء، لكى يتمكن من الانتقال بـين لقطة زمنية وأخرى اضطرت أن تقـول الكلمة التي يريدونها، وافقت على العريس، حددوا موعد الزفاف، هكذا اسـتطاعت همزة أن تخرج

من سـجنها، تعود إلى الدوران بنفس سرعته أو بنفس السرعة التي يسير بها البشـر من حولها، برغم المسـافات البعيدة بين همـزة ومحمود ولكنه حاول مراراً أن يكلمها يصل إليها، يسـمع صوتها، يتودد إليها ولكن سرعته كانت بطيئـة، والظروف لم تسـاعده في لقائها، حتى بعـد زوال القيود على خروج همزة، لم تستطع أن تقابله تاهت في التفكير تسأل نفسها:

ـ ماذا تقول له إذا قابلها؟

تحـاول أن تتجنب لقائها معه في أي مكان حتى في المستشـفى الجامعي، تحاول أن تتلاشى مقابلتها تتوه في عملها بين مرضاها حتى لا يجدها، تجلس داخل مكتبها حتى لا تراه، كلما اشـتاقت إليه، تذكرت ما فعلوه به، نسيت التفكير وتناست بالانشغال بالعمل، حتى بعد انعقاد القران وانقضاء فترة من الوقـت لم يجد لقاؤه إيه جدوى، ظلت في حيرة أن تقابله أو تبتعد عنه.. لكن في النهايـة قررت الابتعاد عن حياته، مـرت الأيام على محمود كأنها جبال موضوعـة فوق صدره، لا يفكر إلا في همزة، حاول أن يتصل بها لم ترد، بعث بأحـد أصدقائه إليها لكي يعرف أحوالها كما تفعـل الطيور عندما تغيب عن وليفها، تقتفى أثره حتى الحيوانات المتوحشـة تبحث عن وليفها في كل مكان إذا غاب عنها، أنتظر حتى أتى الخبر وعلم إنها تزوجت، سـببت له جرحاً لن تسـتطيع الأيام أن تداويه، سـوف يترك هذا الجرح الأثر البالغ على حياة محمود وعلى شـخصيته، سـوف يترك ندبة واضحـة في قلب محمود تأثر في معاملاتـه مع الناس، حتى قلبـه المرهف تأثر أصبح جامـدا، لم يتحول إلى رجـل غليظ القلب.. لكنه تحول إلى شـخصية صلبة لا يتأثر بظروف الحياة، ولكن كعادة محمود لا ينكسـر، يعود إلى حاله، يعالج نفسـه بنفسه، تزيده

الآلام عزما واصراراً علي الحياة. هكذا حياته بعد موت والده، ظن الجميع أنه سوف يفشل في درا سته، ينزوي في أحد الأركان، يذوب مع الأجواء كما تذوب حبات التراب مكانها إذا غمرها المطر لا يستطيع الإنسان أن يقتفى آثارها.. لكنه قاوم الظروف الصعبة.. صمد وتغلب على مشاكله وأصبح أفضل مما كان، لم تظهر أثار الصدمة إلا عندما وصله خبر زواجها أنهار أمام زملائه لم يتمالك نفسه وقع على الأرض مغشيا عليه مما أدى إلى أن يقله مدير المستشفى معه في سيارته لكى يعيده إلى منزله بعد أن اطمأن عليه، توارى محمود عدة أيام عن الناس.. لكنه أضمر حزنه داخله عبء حزنه في قلبه.. تمالك قدراته النفسية.. تحكم في انفعالاته، عاد إلى الحياة مرة أخرى. في هذا الوقت ظهرت رحمة كالملاك البريء الذى يشفى الناس من الآلام البديل المناسب ذهبت كصديقه قديمة إليها، قالت لها:

ـ محمود يمر أزمة نفسية كبيرة، يحتاج إلى وقوفك بجانبه.

ـ ماذا سوف أفعل هل أجلس بجانبه أواسيه.

ـ همزة تزوجت منذ ثلاثة أيام، وحالة محمود الصحية صعبة.

محمود في أزمة نفسية وصحية خطيرة قد تودى بحياته، أظهرت رحمة جانب الشفقة.. لكنها كانت تحس بالغيرة من همزة، لم توافق من أول وهلة على الرجوع لمحمود ولكن حبها المتأجج في صدرها وحرصها على محمود دفعها لنسيان ما سبق، توجهت بقلبها وعقلها إلى محمود لتؤازره في محنته، ذهبت إلى منزله، تواسيه، تخفف عنه أثار الصدمة. عندما دخلت على محمود أحس أن الحياة رجعت إلى ما كانت كأن القطار الذى أنطلق عاد مرة أخرى إل مكانه، أحس أن هناك طريقا آخر في الحياة غير طريق همزة، قالت له:

لا تتكلم معي عن همزة، حتي لا نحس معا بالحرج.

كررت رحمة السؤال عليه كثيرا في منزله، رحبت بها والدته حتى أخوه الأكبر لم يمانع في زيارتها، أعادت إليه قبول الحياة، نسى جرح قلبه، الأيام الدواء الاول والوحيد لعلاج الأزمات النفسية بالنسيان، ربما علاج الداء بالداء كما قال الشاعر:

دواني بالذي هو الداء.

العــلاج الأمثل لهمزة كانت رحمة، العلاج لهمــزة وجرحها، ربما هي المســئول الأول لكى يتكيف محمود مع الحياة، تعــددت اللقاءات بين رحمة ومحمود انشغل بها لم يفكر إلا فيها، استعانت بحبها الشديد له أن تخرجه من آلامه، تعيده إلى طموحاته الســابقة التي كان يريد أن يحققها، جذبته إلى عالمها. المرأة هي الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يغير من طريقة حياة الرجل وســلوكه بلطفها، أعادته إلى عالمه الذى يحبه وتجاربه التي يقضى فيها معظم وقتــه دون أن تتذمر أو تتأفف، حبها الشــديد له أزال كل الحواجز بينهما، انتظم في أبحاثه في صناعة الخلية الصناعية التي تشبه الخلية الحية في جميع خصائصهــا، كانت الفكرة الرئيســية، هل يســتطيع أن يصنــع خلية صناعة تســتطيع أن تتكاثر وتنمو ؟ وكيف يمكن للخلية الصناعية أن تشــابه الحية في جميــع خصائصها ؟ كيف للخلية الصناعية أن تتكاثر وتنمو؟ الجينات هي المســئول الأول عن عملية التكاثر داخل أيــة خلية حية، الجينات تتكون من اربعة مجموعات بروتينية لا تزيد الروابط فيما بينهما هي من تكون الجين، جــاءت الفكرة الأولى في نقل جين الخليــة الحية إلى الخلية الصناعية، تهيئة الأجــواء والظــروف، ليتمكن الجين مــن عمله، ولكن كيــف تعمل الجينات

داخل خلية صناعية؟ كل كائن حي له جينات خاصة به تحدد صفاته الخاصة والعامة، ولا تعمل إلا على خلاياه الخاصة، هل نصنع لكل كائن خلية صناعية خاصة به ؟ لذلك كان علينا تحديد الخلية الأولي لكل كائن حي ثم صناعة الجينات الخاصة بها، وتحديد الجين الذى أريده والذى لا أريده، ثم نقله داخل الخلية لكى يستولي الخلية، حيث يقوم الجين بتحميل خصائصه داخل الخلية وتوجيهها إلى خلية تحمل الصفات الجسدية والوراثية الخاصة به، ليكون العضو الصناعي مشابه للعضو المأخوذ منه الجين الخاص به. من الممكن صناعة الجسد من خلال خلية حية واحدة.. كل خلية من الخلايا تحمل الخريطة الجينية الخاصة بالجسد كله، تحدد تفاصيله الخاصة به، لذلك تستطيع أن تصنع جسدا كاملا باستخدام هذه الخريطة الجينية الكاملة.. بدأت محاولته الأولى مع جين التكاثر وتم أخذ جين التكاثر من الخلية الجلدية لآنها أكثر الأعضاء الجسم تجددا من ذلك تحديد حين التكاثر وتأثيره داخل الخلية الجسدية من خلال الخريطة الجينية في الإنسان حيث تم تحديد نوع البروتين المستخدم في كل جين وطريقة الترابط بين البروتينات وبعضها البعض، وتم استخلاص أول الجينات من الجرثومة الجينة الخاصة به.. في نفس الأثناء زادت العلاقة بين محمود ورحمة ارتباطا، وتكررت اللقاءات بينهما، خرجت همزة من قلبه رويدا رويدا، حلت مكانها رحمة بطبعها الهادئ الذى يميل إلى العذوبة والرقة والطمأنينة، جمالها الجذاب وأسلوبها الشيقة في ترتيب الحديث بينهما واهتمامها بمحمود وعيناها الصفراويتان التي تشبه تمر البلح الأصفر قبل أن ينضج

هل ستتغير إلى اللون الأسود بعد النضج ؟ أم تظل على عهدها القديم الذى تملؤها النضارة والحيوية ؟

هكذا سأل محمود نفسه هو ينظر إلى رحمة وجمالها الفاتن قال في نفسة :

لا بد من الاسـراع في الزواج، لكى يستطيع الاسـتمرار في حياته العملية تكررت لقاءاتهما في مكانهما المعتاد في كازينو الأمل المطل على النيل سألها في رقة، جذب يدها إليه :

ـــ هل تتزوجيني.

أراد أن ينسـى ذكريات الماضي بما فيه أراد أن ينسى ما فعله به الزمان، أراد أن يحذف هدا الملف القديم من حياته.. لإحياء ملف أخرى جديد لا تزال النسـخة الخاطئة محفورة فيه على ديسك الحياة الخاصة به، لم تقل رحمة : موافقة.. لكنها صمتت، أحس إنها لا تريده، سحب يدها من فوق يداه حزينا فأجابت :

ـ موافقة.

لم يتخيـل أنهـا مازالت في طـور العفاف، تعلمـت أن تخجل البنت من خطواتها الأولى في الزواج على مدار التاريخ. عندما نطقت بكلمة موافقة تخيل إنه يسـبح في الفضاء الكونية المحيط يطير بين اسـراب الطيور، لكن ليسـت المشـكلة الوحيدة هي موافقتها ولكن المشكلة الأكبر هي كيف يتزوج ؟ وأخوه الأكـبر ناجح الـذى ينفق عليـه لا زال لم يتزوج؟ ناجح هـو العائل الوحيد للعائلة، أنفق حياته عليه لكى يعلمه ماذا يقول له ؟ يصادف في أحد المرات هو يجلس على مائدة الطعام ويتكلم مع ناجح، إذا بأخيه يبادره بالسؤال قائلا :

ـــ هل ستستمر علاقتك برحمة أم لن تستمر؟

أجابه محمود:

أنا أحب رحمة، لا استطيع البعاد عنه.

حفزه أخوه علي الزواج قائلا:

ـــ أسرع بالزواج منها، سأله محمود:

ـــ كيف أتزوجها ومرتبي لا يتعدى الجنيهات القليلة ؟ كيف أنفق عليها وأين نعيش؟ سهل له أخوه الأمر، وقال له:

ـــــ أذا أردت أن تتزوج وتجلس في نفس الشقة في حجرتك تستطيع أن تفعل.

وجد ناجح في زواج محمود من رحمة فرصة كبيرة لكى ينسى محمود ما حدث مع همزة، لتذوب كل العقد النفسية التي سببتها هذه العلاقة، أخبره إن كان موافقا فسيقابل والدها ويتكلم في الموضوع، والدها صديق لن يرفض له طلب، وعندما هز محمود راسه بالموافقة، لم يتردد ناجح في الذهاب إلي والدها مصارحته بالأمر، قال الأب:

ـ سوف نأخذ رأي البنت.

وافقت رحمة على العيش في شقة محمود، ولكن أمها، قالت:

لن تتزوج ابنتي إلا في شقة ملكها.

رضخت والدتها للأمر مع أنها لم تكن موافقة في البدء.. لكن مع إصرار ناجح، الذى كان معترضا بشدة هو الأخ الأصغر فهو لا يريد أحد في شقته، ولكن تم الزواج وعاش محمود ورحمة في منزل العائلة ثم انتقل محمود إلى شقة منزل عائلتها، ثم انتقل بعد ذلك إلى فيلا في الشيخ زايد، أحس محمود بحب رحمة الشديد له وقربها منه، كبرت العلاقة بينهما، إنجاب طفلهم

الاول طارق ملأ البيت سـعادة، ملأت رحمة حياته بالحب، زادت السـعادة بعد أن ولدت بنتها الصغيرة همسـة.. داوم على عمله وتفوق في أبحاثه وتعدد نجاحاته

(٨)

لم يفتــت هذه الســعادة إلا أخــوه الأصغر، دخل الثانويــة بتفوق.. لكن أصدقاء السوء وجهوه إلى طريق السهر، كان يسهر لساعات متأخرة من الليل، لا يســتذكر دروسه حتى رسب في الســنة الثالثة من الثانوية وكاد أن يكررها مرة أخرى لولا أن ســاعده محمود في استذكار دروسه وبذل جهداً كبيراً معه، ووضع له قواعد ســاعده ناجح في تنفيذها حتى نجح، التحق بمعهد التمريض بناء على رغبة أخويه حتى يكون بجانب محمود، يلاحظه باستمرار ويشرف عليــه.. لكن أخوه الأصغر شــاكر كان يغار من نجاح محمــود الكبير. يعرف محمود ذلك.. لكنه يســاعده، يقف بجانبه، يحل جميع مصاعب الحياة التي تقابله لذلك، لا يتحمل شاكر المسئولية، أنانيا لا يحب إلا نفسه،حتى عندما تخرج من المعهد، اســتلم العمل، ينتهز كل فرصة لكســب المزيد من المال بكل الطــرق المكنة وغير المكنة، يتاجــر في أكياس الدم التي يتبرع بها المواطنون من أجل القليل من المال، رآه مساعده في العمل، يأخذ بعض أكياس الدم التي في عهدته، يخرج بها خارج المستشــفى التي يعمل بها راقبه جيدا وجده يدخل أحدى المستشــفيات الخاصة وعندما ســأل أحد زملائها الممرضين العاملين في المستشفى، قال له:

ــ يجلب الأكياس لبيعها إلى المستشفى.

أبلغ المســاعد الإدارة التي عينت أحــد المحققين للتحقيق في الأمر، فتش

المخزن الخاص بأكياس الدم، أكتشف المفقود فيها قبل أن يتم تسوية الأمر في اليوم التالي كما يفعل دائماً لآنه يضع أكياس الدم السليمة التي يتبرع بها المواطنون حديثا بدلا من الأخرى التي أخذها، قبل أن يتم الكشف عن السرقة قبل أن يتعرف العاملون معه على أكياس المفقودة.. بذلك لا يشير إليه أحد بأصابع الاتهام، دون علم باقي طاقم التمريض بمساعدة صديق واحد، يحميه أذا لزم الأمر، يتبادلان الأدوار معا باستمرار حتى.. عندما جاءت لجنه من الإدارة للتحقيق في الأمر، لم تجد نقصا في أكياس الدم.. لكنها وجدت أكياسا غير مسجلة في الدفاتر، لم تنف التهمة عنه.. لكنها لم تجد ما يدينه حتى الدكتور محمود، حاول تبرئته فهو الأخ الأصغر، ولكن شهادة صديقه ومساعده تثبت التهمة عليه، عندما واجهه شاكر أعترف، قائلا:

ـــ أخذت كيس الدم إلى أحد أصدقائي المرضى، الذين تُجرى لهم عملية جراحية مستعجلة في مستشفى الأمل، بحثوا أهله عن فصيلة دمه في كل مكان.. لكنهم لم يجدوها، أتصلوا بي، عندما وجدت فصيلة الدم المطلوبة كدت أموت من السعادة أشرقت كل جوانبي.. أخذت كيس الدم، ذهبت إلى صديقي في المستشفى لإنقاذه من المرض العضال الذى يفتك به أليس صديقي مريض في أمس الحاجة إلى الدم ؟ نعم أخذت كيس الدم، لم أبال بمدى العقوبة التي تنتظرني، لو كانت عندي النية لسرقته لأخذت كل الأكياس.

أعطاهم اسم المريض. ذهبوا لتقصى الحقيقة كي يعرفوا الحقيقة من مستشفى الأمل الذى أشار إليه، عندما وصلوا، وجدوا مريضاً بنفس الاسم الذى حدده شاكر، يحتاج نفس الفصيلة التي حددها، وعندما فحصوا فصيلة الدم وجدوه نفس الفصيلة التي حددها والكيس مرقم برقم حكومي.. مما يعنى

إنه نفس الكيس جلبه شاكر من المستشفى الحكومي، أشترك محمود في الدفاع عن أخيه وعدم وقوع أحد في خطأ.. لكن المدير لم يتغاض عما فعله شاكر، عاقبه بخصم خمسة أيام من راتبه، وتحذيره بالنقل من المستشفى لو تكررت الفعلة مرة أخرى، استمر في عمله مع تحذيره، لو عاد لنفس الفعل سيتخذ ضده أجراء صارم في حالة تكرار نفس السلوك. بعد شهر،عاد وكرر نفس السلوك مرة أخرى، اضطر مدير المستشفى إلى نقله لقسم آخر، لا يتقابل فيه كثيرا مع الجماهير نقل إلى العناية المركزة بداخل المستشفى، لا يتعامل إلا مع المرضى لعله يحس بآلامهم، يحتاج المرضى إلى تغيير المحاليل باستمرار، يحتاجون إلى إنسان كفء في عمله.. لكى يقوم بتغيير الأدوية كلما أحتاجها المريض، يمنع أهل المريض من الجلوس بجانبه والتواجد في أماكن العمل.. لكن شاكر استمر في عمل كل ما هو مشين، يأخذ مقابل مادى من أهالي المرضي.. لكى يتقابلوا مع مريضهم داخل غرفة العناية. علم مدير المستشفى، حذره بشدة:

هذه المرة الأخيرة أن لم تنته سوف تفصل من عملك.

استمر في أعماله، أمر رئيس المستشفى بنقله من عمله بعد شكوى الأطباء منه، هل تكون الفوارق بين الناس بهذه السعة؟ حتى بين الأهل من دم واحد من معين واحد من جين واحد، كيف ذلك ؟ هل يعيش النقيضان من الناس في مكان واحد، يجمعهما سقف واحد، يشتركان في نفس الطبق. هل هي الحياة التي تجمع بين المتناقضات في إناء، يصب على الدنيا لتكوين الحياة بكل ما فيها من صور وخير وشر، وحزن وسعادة وفرح وقسوة ولين وخوف وشدة؟ هي الحياة التي تجمع كل تلك الصور في إناء واحد يحمل كل منها في بوتقة لتكون البشرية، لا بد أن يعاقب مدير المستشفى شاكر بأقصى عقوبة، تصل إلى

فصلــه من عمله أو أن يترك، تكون هذه المهلة الاخيرة بالنســبة له في العمل، فكر ماذا لو يتركه بجانب أخيه في القســم الذى هو فيه، ظناً منه أنه ســوف يســتطيع كبح جماحه، يســيطر عليه من تصرفاته الهوجاء التي لا قد تؤدى به إلى الســجن، نقل إلى قســم الجراح التعويضية، بجانب الدكتور محمود في قســمه الذى يديره، أبدى شاكر اعتراضه الشديد على النقل، توسل إلى رئيس المستشــفى، أبدى النــدم حتى أنه كاد يجلس علــى الأرض يقبل قدماه.. لكن رئيس القســم لم يوافق على طلبه بالاســتمرار في قســم العناية المركزة، أصر على نقله إلى القســم الأخر، نقل على مضض منه.. لكنه لم يترك داءه القديم، يحاول أن يســتفيد من كل ما حوله، مهملاً دائما في عمله، يفعل ما يستطيع، ليأخذ مالا من المرضى أو حتى من معارف المرضى والزائرين حتى من العاملين معه، يعرف الجميع قرابته من الدكتور محمود، لا يســتطيع أحد الشكوى، حبهــم له يمنعهم من مضايقته، لقربه منهــم، وخلقه الدمث الذى جعله من أكفأ الأطباء في المستشفى.. لكنه يعلم مدى سوء أخيه، حاول أن ينسيه أفعاله الطائشــة.. لكنه فشل، أخيرا بعد أن تعب من محاولاته المستمرة في إصلاحه، قال:

ــ لهم أتركوه بدون عمل حتى يعلم أنه عمالة زائدة في المستشفى ربما يعلم بأنه غير مرغوب فيرجع عن أفعاله.

بــذل عــدة محاولات لنقله إلى قســم آخر.. لكن المدير وقــف حائلا بينه وبــين نقله من القســم، لم يتذمر باقــي العاملين من بقاء شــاكر بدون عمل، كلهــم يعملون فترات اضافية تضاف إلى رواتبهم الشــهرية، أيضا لقربهم من محمود الذى جعل القسم من أكبر الأقسام في المستشفى، وزادت نسبة الحوافز

والمكافآت فيه.. لذلك لم يغضب أحد من العمال، لم ينتظر الدكتور محمود لكى يشـتكوا أحد العمال منه كان يراقبه باستمرار، ليعرف ما يفعله مع الموظفين الآخرين، يتحسس أخباره ربما تحول سلوكه إلى الأفضل بالفعل، حدث ذلك رويدا، أحس شـاكر بأنه غير مرغوب فيه، أثر فيـه، أنتظم في العمل، ربما بتأثير إحدى زميلاته الموظفات عليه، ربما أحبها، غيرته إلى الأفضل، بدأ في التقرب لها، حولت حياته إلى العكس تماما، بدا ملتزما بعد أن كان فوضاويا، بدا نشيطا بعد أن كان كسولا، اعتمد عليه الموظفون في أعمالهم بعد أن كان بلا عمل، بذلك تحولت حياته.

الرياح تزيل المبادئ

(١)

تتغـير الحياة تتحول من كائن إلي كائن آخـر ربما تحول جزء إلي جزء آخر، تنمو الحياة وتكبر علي حسب صفات خاصة تختلف من كائن إلى آخر،

أنشـغل الدكتور محمود بالعمل في تجاربه التي بدأها في الكلية، شـارك الدكتور رائد(صاحب المركز الذى كان يعمل معه عندما كان طالبا في الجامعة) ربمـا لارتباطه بالمكان أو لأن الدكتور رائـد صاحب المركز هيئ كل إمكانياته لتنفيذ تجارب الدكتور محمود علي الجينات، جمع أصدقاءه القدامى، الدكتور عبد ناصر وأنا كونا معا فريقا قال:

إن مهمتنا الأولي بدء تنفيذ الجين الصناعي.

قال له الدكتور عبد الناصر:

تصنيع الجينوم الوراثي الذى يتكون من D N A هو عبارة عن سلسلتين تشبه السلم الحلزوني تماما، تلتف حول نفسه تتكون من جزئي سكر خماسي الفوسـفات، السلسلة تشبه السـلم، ترتبط مع بعضهم بروابط جانبية عرضية تسمى، الدفرجيوس تتكون من النتروجين وتتكون تلك القواعد النيتروجينية من أربعة قواعد أساسـية، هـي ما تكون اللدنا وهى بروتينات أساسـية هي أدينين، الثيامين، غواثـين، الثايتوثين، هذه القواعد هي التي تربط الجانب الأيمن من السلم بالجانب الأيسر، وهى تتكرر مئات المرات بل ملايين المرات، يحتـوى الجينوم على ثلاث مليارات زوج من تلك القواعد، تتكاثر مع بعضها

مكونــة اللدنة، هذه القواعد تســتطيع إنتاج نفس القاعدة المتشــابهة معها، تســتطيع إنتاج القاعدة التي ترتبط معها في نفس السلسلة، تستطيع أن تتكاثر أكثر من مرة لتكوين جينوم صفة معينة.

قال الدكتور محمود:

قبــل تصنيع الجينوم الذى يحمل الصفة ، لا بد أن تصنع أولا اللدنة، من الآن نعمل من أجل تكوين الجين الصناعي.

أســتثمر الدكتور محمود حماس زملائه في تكوين جين صناعي، يشــابه الجين الطبيعي. أستطاع محمود أن يكتشف الجينات الخاصة إلى ٨٠ تريليون خلية داخل جسم الإنسان الواحد.

أستطاع معرفة عدد البروتينات داخل جين من الجينات. وتكوين خريطة جينية لكل صفة من صفات الكائن الحي.

أســتطاع أن يكون خلية صناعية تشــابه الخلية الحية، اســتطاعت هذه الخلية الصناعية، باستخدام معالجة خاصة وتهيئة ظروف النمو، استطاع أن يكون عضو، أستطاع أن يكون جهاز، يقوم بعمل الأجهزة الحية تماما بحيث يؤدى جميع الوظائــف الحيوية للجهاز، بدأ بالجهــاز العصبي ثم بالجهاز الدوري ثــم انتهى بأكثر الأجهزة تعقيدا هو الجهــاز الهضمي، الذى تتصل بــه كل الأجهزة بروابط كيمائية وفيزيائية، أصبحت الأجهزة أكثر تكيفا مع الواقع الذى نعيشــه، استطاع أن يكتشف جين النمو، والعوامل التي تؤثر فيه وتركيب البروتينات داخله متى يتوقف الجين عن نشاطه.

اســتطاع أن يكتشف متى يكون نشــطا، ومتى يكون أقل نشاطاً بعد فترة من العمل الجاد على الخلية الحية، اســتطاع أن يصنع خلية مشابهه للخلية،

تؤدى جميع الأعمـال التي تؤديها الخلية الحية تقـوم بنفس الوظيفية التي تؤديها الخلية الحية وبنفس النشاط، قام بتجارب عديدة وبجهد فائق ومادام الإنسـان يعمل فإن الله معه، يؤيده ويسـاعده في تحويل جهـده إلى علم مثمر ينتفع به، مادام الإنسان يداوم على العمل حتى ينجح.

الحياة أن عملت فيها بجد تسـتطيع أن تنجح، تستطيع أن تكون أحسن، فـرق الله بين الإنسـان والحيـوان بالعقل، والمثابـرة على العمل مـع أن باقي المخلوقات، تعمل ولكن لا يستطيع أي منهم الاكتشاف.

أصبـح الدكتور محمود على بعـد خطوات من تجربته الأكبر وهى تكوين إنسان مشابه لإنسان بخلايا صناعية مجردة.

ولكن السؤال المهمة كم من الوقت تستطيع الخلية المخلقة صناعيا، تحمل الظروف الطبيعية والصعبة والأجواء الصاخبة التي نعيشها؟

عندمـا أسـتطاع الدكتور محمود تكويـن الخلية التي تسـتطيع أن تقاوم الظروف الحياتية بشـكل أفضـل، وتماثل قدرة الخلية الحيـة، هكذا بدأت الخلية الصناعية أن تكون أكثر واقعية، تضاهى الحية ثم صنع إنسانا يضاهى الإنسان نفسه.

هل تستطيع فكرة بسيطة أن تكبر إلى أن تسيطر، وتخلق كونا خاصا بها، حتى إنها قد تسـيطر على مـن صنعها أو من أبتكرها، بـدأ الدكتور محمود الخطوات الأولية في تصنيع الأنسـان الصناعـي كانت الفكرة الأولية، محاولة صناعـة أجهزة صناعية تشـابه الأجهزة الحية، ونجحـت الفكرة إلى حد أن إعلان الدكتور عن فتح التقدم للعلاج باستخدام الأجهزة التعويضية بالجينات،

هلت إليه الناس من جميع الأرجاء و من كل صوب ويم، حتى أن بعض البلاد المجاورة سمعت عن الفكرة أتي منها العديد من الناس لتجربتها.

بدأت الفكرة ظهرت كالسراب ثم تجسدت في صورة جسمية إلى أن ظهرت بصورتها الحقيقة.

جسد يمشـــى على الأرض وتتطور الفكرة، أصبحت تتعلق بتكوين إنسان كامل مثل الإنسان العادي يستطيع أن يفعل كل العمليات البيولوجية التي يقوم بها جسم الإنسان العادي مثل التنفس الحركة والتواصل مع الأخرين.

لكن على محمود أن يجعل كل الأجهزة تتكامل مع بعضها وتكوين هرمونية خاصة، تســتطيع القيام بجميع الوظائف الحيوية بدون أيه تعقيدات، وكيف يستطيع أن يجعل المخ أن يتحكم في كل العمليات الحية وغير الحية للإنسان؟ كيف ينظم المخ العمليات الحيوية للإنســان من التذكر والحفظ والفهم؟ وكيف استقبال الإشــارات من جميع الأجهزة وإرســالها المخ وأرسل إشارات أخرى بالاستجابة لهذه العملية.

هذه عمليات معقدة مع الإخفاقات في بداية العملية إلا أن الدكتور محمود كان مثابــرا، يتحمــل كل الأعبــاء والنتائج من أجل إنجــاح تجاربه العلمية الخاصة.

تقــدم يوما بعد يوم في تجاربه، وذيعت شــهرته وشــهرة مركزه في كل أرجــاء البلاد. بعــد أن تم تكوين العضو أعلن الدكتــور محمود أن هناك علاج بالجينات لتكوين الأعضاء البديلة.

اتفقنا جميعا علي العلاج داخل المستشــفى الجامعي، امتلأت المستشــفى الحكومي بالمرضــى، ظهرت التعقيــدات الروتينية في القوانــين الحكومية،

كان علـى الدكتور أن يقيم مركزا للعلاج بالجينات، يسـاعده في تطوير فكرته الأساسية. ضاقت المجموعة بالمستشفيات الحكومية، مركز الدكتور رائد الذى يأخذ الألاف من المرضـي للعلاج، اجتمعنا جميعا في مكتب الدكتور محمود، اقترح عبد الناصر، قائلا:

لا بد أن نقيم مركزا خاصا بنا.

قال الدكتور محمود:

ـ ماذا عن مركز الدكتور رائد ؟

ـ الدكتور يأخذ مبالغ كبير لإجراء أي عملية جراحية.

قال الدكتور وائل:

ـ نحن عملنا بجد لكي نساعد الناس نعالج القادر وغير القادر ولا يتكلف المبالغ التي يدفعها عند العلاج في مركز الدكتور رائد.

قلت بهدوء:

نحن نعمل في مركز الدكتور رائد ونملك نصف المركز، كيف نتركه ونأخذ مركز جديد، سوف نحتاج وقت لكى يكبر هذا المركز.

قال الدكتور وائل:

نعـرض علي الدكتـور رائد أن نشـترى المركز، لو رفـض نصارحه أننا اشترينا مركز آخر، سوف نبدأ العمل به من الأسبوع القادم.

بالفعل اتفقنا جميعا علي هذا، تمني الدكتور محمود أن يسـتمر في العمل مركزه، التقي الدكتور محمود مع الدكتور رائد، قال له:

ـ يا دكتور زملاء عرضوا علي العمل في مركز خاص آخر غير مركزك.

ـ هل أخطأت في شيء معهم يا دكتور.

ـــ ولكنهم اجتمعوا علي ذلك.

ـ ماذا سوف افعل بالمركز.

ـ مثل ما كنت تعمل فيه عندما عملنا معا.

ـــ هل تتركني بعد أن كبرت يا دكتور وتترك المركز الذى صنعك.

ـــ المركز لم يصنعني، أريد منك أن تشترى حصتي في المركز.

ـ ليس معي مال لأدفعه لك.

ـ أشترى نصيبك في المركز.

ـ اعطني عشرة ملايين، وخذ المركز.

ـ سوف أجلب لك المال غدا.

اجتمع الدكتور محمود مع فريقه، جمعوا المبلغ معا، اشتروا مركز رائد وغير اسم المركز إلى مركز الدكتور محمود، كونا معا شركة صغيرة لصناعة الأجهزة التعويضية ومركزا للعلاج بها.

ذيعت شهرته في كل أنحاء البلاد، جاء الناس من كل انحاء الدنيا للعلاج به. نقلت وسائل الإعلام صورا عن نجاح المركز في زراعة الأعضاء البديلة التي يُجريها الدكتور محمود، وتكيف الجسم معها، تغيرت طريقة زراعة الأجهزة البديلة في العالم، بدء الجميع تبنى فكرة الدكتور محمود بدلا من زراعة عضو حي إلى زراعة عضو مكون خلية صناعية شبه أصلية وتكاد تطابقها، مما أدى إلى بوار تجارة الأعضاء البشرية الحية.

ثارت ثائرة أصحاب هذه التجارة التي تجلب الملايين لإصحابها ثاروا، لينقذوا تجارتهما هم أناس لا يعرفون الرحمة يتاجرون في أعضاء الإنسان، يقتلون بوحشية من أجل كسب المال الذى لا يساوى ذره أو قطرة من قطرات دم

الإنسان، اجتمع الجميع في مركز شركة وددت العالمية، قال رئيس الشركة:

كيف نقف أمام شركة الدكتور محمود للعلاج بالجينات.

اقترح أحد الموجودين قائلا:

ـ نستخدم الطريقة التي نتبعها، نتخلص من الدكتور محمود.

قال نائب رئيس الشركة:

الدكتور محمود شخصية كبيرة ولن يصمت أصدقاؤه لموته.

قال أحد الموجودين:

الأعلام هو الحل، نشن حملة إعلامية ضد المركز.

من هنا بدأت الحرب الخفية على الدكتور محمود وأبحاثه، فكروا كيف يستطيعون إسكاته إلى الأبد ؟ هل يستطيعون التحكم فيه ويأخذون ثمار أبحاثه وتجاربه لصالحهم؟ كانت المواجهة الأولى بينه وبينهم، شنوا حملة إعلامي ضارية على أبحاث الدكتور وعلى أعماله، كانت نقطة الخلاف بين المؤيدين للدكتور والمعارضين له هي تقبل جسم الإنسان للأجهزة المصنعة، باستخدام الجين الوراثي، كانت الحملة الدعائية ضده عنوانها الأجهزة المناعية داخل جسم الإنسان، ترفض الأجهزة المصنعة باستخدام الجينات، تقوم بمهاجمتها كأنها جسم غريب حتى تخرج خارج الجسم، وإن الأجهزة تزيد من إمكانية الإصابة بمرض السرطان.. لآنها تؤدى إلى خلل في وظيفة الهرمونات والأنزيمات، تعمل أيضا على إنتاج خلايا جديدة تحارب الخلايا الموجودة في الجسم، وتأخذ مكانها بذلك تقبل الخلية الأصلية، تزيد الأجسام المضادة.

(٢)

لم تؤثــر تلــك الهالة الإعلامية على أبحاث الدكتــور بل زاد الجدل بين الناس عن حقيقة اخــتراع الدكتور محمود، زاد الطلب على الأجهزة المصنعة لدى الدكتور محمود، زاد عدد المرضى داخل مركزه.

تجســس رجال الشركات المنافســة على المركز، أستطاع معرفة كل جديد يقوم به المركز بل بدأ المركز يلفت أنتباه دول أخرى.

أخيراً أصبح الدكتور محمود مشــهورا مثل لاعبي الكرة، الذين تلاحظهم أعين الفرق المنافســة الكبرى، حاولت هــذه الدول في العديد من المرات إقناعه بالعمل معهم، إغراءه بالمغريات المادية والمعنوية، إنسان ملتزم بالقيم والمبادئ، تعلــم من تضحية أخيه الاكبر ناجح بكل حياته له لكى ينجح، تربى على يد والدته التي كانت تحاول ليلا ونهارا أن تجلب لهم ما يساعدهم على الحياة، التــزم بتقاليد مهنته التي يعمل بها، حاول كل منهم بطريقته الخاصة به إن يجذبه إليه، لم ينجذب إليهم لذلك اســتخدموا الطريقة الأخرى بأن يزرعوا أحــدا من رجالهــم في طاقمه.. لكى ينقــل لهم ما يدور في مركــزه يراقب كل أبحاثه، ينقل تجاربه إليهم، حاولوا ولكن باءوا بالفشل لآن الدكتور محمود، يختار من يعمل معه من أصدقائه القدامى أو من تلاميذه الموثق منهم، لا يمكن إن يدخــل من لا يعرفونه بينهم حتى طاقــم العمال، يختارهم ممن يعرفهم،

وجــدوا أن لا مناص إلا من اختيار أحــد العاملين معه ومحاولة جذبه إليهم، اجتمع الجميع فركز شركة ودت، قال نائب رئيس الشركة:

لا بد أن من اختيار أحد العاملين وإرغامه علي العمل معنا.

قال أحد الموجودين:

من ترشح يا دكتور ؟

ــ الدكتور عبد الناصر نعرف كل شــيء عنه، ونســتطيع أن نرغمه علي التعــاون معنا حــتي لو لم نوافق. تم اختيار الدكتور عبد الناصر رئيس قســم الإنتاج في المركز هو المســئول الأولى عــن إنتاج الكميات المطلوبة من الأجهزة، يعلم طرائق تصنيعها وســر تركيبها، لذلك تم اختياره بعناية فائقة، درسوا ظروف حياته ومعيشته حتى مكان نومه.. الدكتور عبد الناصر صغير في السن مجتهد في عمله، يحاول تطوير نفسه باستمرار، يتمتع بالذكاء والطموح.. لكن هناك عيب وحيد في شــخصيته هو ميله الشــديد إلى الجنس الأخر، الاهتمام بالمظهــر بصورة لافتة إلى النظر. اســتغلوا تلك الهفــوة ودخلوا منها إلى حياة الدكتور عبد الناصر، رموا عليه شــباكهم حتى يضموه إلى صفوهم، التقي بها مدير مركز وددت في المطعم المعتاد الذى يتناول فيه طعامه، قال له:

نحن نعرف موهبتك يا دكتور ولا أحد يقدر هذه الموهبة غيرنا.

ــ شكرا.. لكن من انتم. ماذا تريدون ؟

ــ نحن شركة ودت، أعرض عليك العمل معنا.

ــ شكرا ولكني أعمل في مركز الدكتور محمود وشريك له.

ــ يا دكتور عبد الناصر أنت معنا سوف تكون رئيس مركز وددت للأجهزة التعويضية.

ـ وسوف تأخذ أكثر من ما تأخذه مع الدكتور محمود بعشرة مرات وسوف تأخذ ما يساوى نصيبك فيه عند العمل معنا.

أبـى أن يفعـل، ظل ملتزما بحياتـه، بعيوبه الخاصـة.. لكنه لا يخون أصدقـاءه، اسـتخدموا الحيلة، الحيلة الأكثـر تكـرارا في التاريخ.. الحيلة الوحيدة التي تنجح مع كل الناس، عندما يكون الإنسـان ملتزما تأتى الحيلة بنتائج سـريعة وكبيرة.. إنها المرأة.. الجنس الآخر.. درسوا جميع تحركاته وهاتفه علموا متى ينام ؟ ومتى يسـتيقظ ؟ ومتى يذهب إلى العمل ؟ تم اختبار الفتاة بذكاء شوشو ذات الوجه السماوي الفاتح الجذاب الذى يلفت النظر إليه من أول وهلة إنها شوشو ذات العينين الخضراوين، الشعر الأصفر الذى يتبدل مـع لون الوجه ومع الفسـتان الجذاب الذى يظهر من جسـدها اكثر ما يخفى البلوزة الحمراء الجميلة والجونلة الصفراء الذى يصل إلى ما قبل فخذها.

إنها الضوء الكثيف الذى يجذب إليه الحشـرات، يتم جمعها بالمصيدة، إنهـا قطعـة اللحم الطازجة المربوطـة بإحكام في قفص كبـير لصيد الوحوش البريـة هي الحيلة القديمة التي يسـتخدمها الجميـع المتعلم والجاهل الغنى والفقير، عرفوا أين يتناول وجبة العشـاء بعد أن ينتهى من عمله في المستشفى الحكومي، بعد الخـروج مركز الدكتور محمود لتناول الوجبات السـريعة، يتناول فيه وجبته ثم يسـتمر في إداء عمله اليومي، جلسـت شوشـو في مقعد أمام الطاولة التي يتناول عليها الدكتور عبد الناصر طعامه، لفت نظره جمالها الواضح، نظرت إليه فنظر إليها، أطال في النظر إليها، تبادلا النظرات، إشارة إليها بيده، ابتسـمت ابتسـامة خفيفة. حاول أن يكلمها لم تمنحه الفرصة، تعرف ماذا تفعل تماما.

تتلون كالحرباء، تتمايل كالفريسة يظن المفترس إنه يستطيع افتراسها. تنقض عليه بكل قوة ولا تتركه إلا جثة هامدة.

خطفت نظر الدكتور ناصر بجمالها الفاتن، تركت المقعد وغادرت المكان، تتردد على المحل أكثر من مرة حتي يراها، عندما يلاحظها الدكتور عبد الناصر تخطف نظره، كم من مرة، حاول أن يكلمها، لم تمنحه الفرصة، تبتسم إليه ابتسامة، يفهم منها الرضا ثم تخرج مسرعة كل مرة تخرج، تريده أن يخرج خلفها ولكنه لا يفعل، يتمنى من قلبه أن يقابلها مرة واحدة ولو بالمصادفة يرى أن الدنيا بكاملها هي نظرة من عينها أو بسمة من شفتيها، كلمة من فيها.

الحياء الذى يمنعه في كل مرة يقابلها فيها، لا يحاول اللاحاق بها، للمحافظة على مكانته بين الناس، لمدة أسبوع تقريبا من النظرات داخل المحل الصغير، شاهدها عندما دخل المركز هي نفسها في إحدى الحجرات، نظر إليها من باب الحجرة، سأل نفسه:

ـ هل هي أم غيرها؟

سأل نفسه:

ـ ما الذى أتى بها إلى هنا ؟

لم يتلق إجابة لسؤاله حتى تطمئنه نفسه، وتغفو مشاعره، ذهب إلى مكتبه. بعد لحظات خرج إلى حجرة العمليات، ليجري عملية جراحية لأحد المرضى، نظر إلى نفس الحجرة لم يجدها، ذهبت ! إلى أين لا يعلم، غابت عن ناظريه تماما. تبخرت مثل ذرات مياه السماء، عندما تتبخر في أشعة الشمس الحارقة. همس:

هل هي حقيقة أم حلم من خياله؟ هل هي سراب أم واقع يعيشه؟

لم يحدث معه مثل هذا في الماضي. كل مشاعره تحت سيطرته كل ما يحتاجه يأخذه.. لكنها في هذه المرة تختلف فهي صعبة المنال بالنسبة له؟ شغلت باله حتى عندما خرج من غرفة العمليات، لم تغب عن مخيلته، أراد أن يسأل العاملين عنها.. لكن مكانته بينهم منعته من فعل ذلك، في ساعة تفقد أحوال المرضى خرج ليلقى نظرة على كل المرضى والموجودين، وجدها تقف بجوار أحد الأسرة، وجد الإجابة على سؤاله الذى سأله لنفسه، تأتى للمريض داخل المستشفى، دلف سريعا إلى الحجرة، سألها عن المريض:

ـ كيف حال المريض.

ردت بأدب: الحمد لله.

كشف عن أسم المريض، سأل المريض:

ـ كيف حالك عم راغب.

إجابة المريض:

ـ تمام.

أمر الممرضات اللواتي يقفن حوله أن يهتممن بها، سألهن:

هل تتماثل حالته للشفاء ؟

قالت إحدى الممرضات الواقفات أمامه:

يتماثل المريض للشفاء.

نظر إلي دوسيه المريض مع الممرضة، قال:

من الممكن أن يخرج بعد ثلاثة أيام.

التقدم في حالته عن موعد خروجه من المستشفى، حاول أن يلفت

أنتباهها، على مكانته في المستشـفى، خرج سريعا من الغرفة تاركا المريض.. ولكن الممرضات لاحظن اهتمامـه الزائد بالمريض، يعرفن الدكتور عبد الناصر وطبعه، تشدقن بالكلمات فيما بينهن بعد خروجه بالطبع، عرف كل شيء عن المريض قبل خروجه من المستشـفى، عرف أسمه حتى عنوانه وطبيعة مرضه، تلتهب مشـاعره، تعمد الخروج في نفس الوقت الذى يخرج فيه الزائرون من المستشفى حتى يراها بينهم.. لكنه لم يشاهدها في وسطهم، هرع إلى سيارته، دلف إليها وقادها خارجا من جراج المستشـفى، همّ أن ينطلق مسرعا، وجدها أمامه، تبحث عن سـيارة تاكسـي لتنقلها إلى منزل العائلة، حاولت مرارا أن تسـتقل واحدة.. لكن السـيارات تقف ثم تنطلق مسرعة دون أن تركبها. نظر إليها متعجبا سر لهذا الأمر، انطلق إليها مسرعا، وقف إمامها يسألها:

ـــ أين تذهبين ؟

لم تتكلم معه، استطرد:

ـــ أنا الدكتور عبد الناصر ألم تريني؟

نظرت إليه تكلمت في أدب:

ـــ أهلا يا دكتور، أنا أسفة لم أر وجهك جيدا، ظننت أن أحدا.

ثـم صمتت مالت بوجهها ناحيـة الأرض تتظاهر بالخجل، قلت تتظاهر بالبراءة: وجدت حيرتك فتوقفت، ربما أستطيع تقديم المساعدة.

صمت ثم أستطرد:

ـــ لماذا تقفين هكذا، ولا أحد يريد أن يقلك في سيارته.

ردت بأدب: كل من أقوله له إني ذاهبة إلى المرج ينطلق مسرعا ولا يتوقف ولا أعرف السبب، هل نقلوا المرج من جمهورية مصر؟

أبتسم، قال:

ـــ تعالى أنا سوف أوصلك معي إلى منزلك.

قالت متعجبة:

إنه في المرج.. المسافة بعيدة.

ـــ تعالي سأوصلك إلي أي مكان.

قالت له مترفقة:

ـــ يمكنك أن تنقلني إلى أقرب محطة مترو، وأنا سوف أكمل.

قال لها مفسرا الامر:

أنى ذاهب إلى هناك لقضاء أمر ما.

مالـت بوجهها إليه نظرت إليه بجرأة، أحس أن هناك ما يجذبه إليها، نظرت إليـه نظرة فتت الكتل الجليدية التي بينهمـا.. لكنه بعد لحظة أراد أن يتبـادل حديثا مطولا معهـا أحس إنها المرأة التي طالما بحث عنها، توقف بالسيارة سألته:

ـ ماذا حدث ؟

ـــ لابد إنها البطارية لقد توقفت السيارة عن الحركة.

ـــ هل يوجد من يصلح السيارة هنا ؟

الميكانيكي الذى أتعامل معه سوف يأتي مسرعا إلى هنا.

خـرج من السـيارة، وقف أمامها كأنه يستكشـف ما بهـا، فتح الجزء الأمامي منها، ثم أسـتق علي لسـانه، وكز على أسنانه كأنه، في شدة الضيق، هز رأسه، قال لها:

ـ سوف نأخذ فترة من الوقت لنبحث عن مكان قريب نستريح، حتى يأتي الميكانيكي، يصلح العطل.

بحث عن مكان ليجلسا فيه معا، هذا المكان القصي على الطريق الدائري، لا يوجد مكان قريب، انطلقا معا يستكشفان المكان، وجدا مطعماً صغيرا علي مسافة ليست بقليلة حوالى نصف كيلو، جلسا على الكرسي القريب من باب الخروج لكى يراهما الميكانيكي، طلب الطعام، حاولت ان ترفض.. لكنه لم يعطها الفرصة للرفض، وافقت متذمرة، جلسا تبادلا أطراف الحديث معا، حتى أتى الطعام تلاقت النظرات، همت بالنظرات من الخجل، حاولت الهروب من نظراته.. لكنها لم تستطع، استسلمت لنظراته، لم تهرب، تعرف متى تتصنع الخجل، بسطت زراعها إليه، مدت يديها على الطاولة الخشبية، أمسك يديها، حاولت أن تسحب يدها، يفلتها أحس الدفء، تبادل الكلمات المليئة بالعواطف، طلب منها الذهاب إلى منزله، رفضت بشدة، قلبت وجهها، حاول أن يعتذر، ويبن لها أنه لم يقصد، ما تفكر فيه، قال لها متصنعا:

ـ سوف نذهب إلى المنزل لكى تشاهده.

لم توافق خرجا من المطعم الصغير، أتى الميكانيكي، أعطاه مفاتيح السيارة بينما أنتظر هو معها، أمسك بيدها في يده، أحس بانها تميل إليه بشدة، عندما وصل إلى السيارة كان الميكانيكي أنتهى من تصليح السيارة، دلفت إلى السيارة. حاول معها مرة أخرى بأن تذهب إلى منزله لتفقده لم ترضخ لطلبه بعد أن وصلا إلى المكان الذى حددته، خرجت من السيارة أمسكها من يديها قائلا:

ـــ هل نتقابل ثانية.

قالت في دلال:

ـ أتركها الظروف.

صمتت ثم استطردت:

ـ سوف نتقابل قريبا.

الوعـد باللقاء كان آخر الكلمـات، تناوبا على الاتصال بها تكررت اللقاء بينهما لم يستطيع أن يأخذ ما يريده منها، إلا بالزواج استطاعت أن تنصب له الفخ، تزوجته بدون علم أحد

(٣)

هــذه الأرض التي تملؤ بالأســرار تزداد غموضا كل يــوم تحيط بها أغلفة من الغموض الأســود، ويحاك لها خيوط من الغبار الأســود، تلفها بقيود من ســتائر الأوتار، لا يستطيع أن يكتشــفها على الأرض إنسان ولا جان خالصة من العيوب.

هكــذا أخفــى الدكتور عبد الناصر خبر زواجه عــن زوجته الأخرى وعن أصدقائــه عن أقرب الناس لــه، كيف وقع في هذا الفخ الملعــون؟ لا أعلم حتى المركــز الذى يعمل فيه والمستشــفى، لا أحد يعلم بإمــر الزيجة عاملته بلطف المرأة المعهودة حتى تمكنــت منه، وأصبح قطع من المعادن أو من الزجاج الذى يشــكل فوق النار، تستطيع أن تغيره كيفما تشــاء، تقومه، تشكله، ترفعه، تسكته، تنزله، علمت أنه لا يســتطيع الاستغناء عنها، صارحته إنها تعمل في شــركة لتصنيع الأجهزة البديلة، يعلم كل الشركات المنافسة له في السوق، يفكر هل شــركة الوفاء أم شــركة ســيد أم شــركة الجيد، يعلم كل الشركات المنافســة، يعلم معظم من يعملون بها، لم يسمع عن شوشو في أحد المصانع، أو في أحد مراكزها العلاجية، يسأل نفسه:

أين تعمل؟

هو السؤال المحير؟ لم يلق بالا لم تقوله إلا عندما أتت بعد حوالي خمسة أشهر من الزواج وقالت له:

ـ مدير الشـركة التي أعمل فيها يريد مقابلتك في أمر هام، سوف تناقشه معه. سألها بضيق كأنه يغلى من أحد جوانبه:

ـ وكيف عرف العلاقة بيننا.

قالت تحاول أن تهدئه:

ـ وددت أن لم أفصح له عما بيننا لكنه دوام على مغازلتي فصددته، طلب منى الزواج، رفضت، داوم على الغزل، بدأ يتكلم عن أخلاقي، حتى أن بعض أصدقائـي نقلوا كلامه لي، اضطررت أن أقص حكايتي في الشـركة، وصرحت باسمك لهم لما سمع اسمك، أبتعد عنى تماما، وقال لي:

إنه يعرفك شخصيا.

ويود يكلمك، اسـتمع إلى كلامها بإنصات، عقد العزم على مقابلة الرجل الذى يغازل زوجته، يريد أن يتزوجها لو لم تصرح باسمه، لأمرها بالجلوس في المنزل ولكن لن يسـتطيع الآن أن يفعل ذلـك.. لكن الآن لابد أن يذهب إليه لكى لا يتعرض لها بأذى أو يتقول بكلمات لا تليق بسمعته.

النسـاء كالزهور أذا ما قيل في حقهن كلمة تزيل رائحتها الجميلة. حتى يعرف هذا الرجل إنها تزوجت من إنسان يغار عليها ذهب إلى الشركة، قابله يعرفـه تقابـل معه في المحل الموجـود بالقرب من المركـز، في بدية الأمر ظن المقابلة عادية للتعرف بين غريمين على حب أمرأه واحدة، ربما للصداقة بين شخصين يجمعهما عمل واحد، ولكنه قاله له:

ـ أريد سر الخلية المصنعة الجديدة.

عرف الآن لماذا أراد أن يتعرف عليه وما سر إصراره على مقابلته، عرف

إنه مدير شـركة وددت العالمية لتصنيع الأجهزة التعويضية، عرف إن الأمر كبير فهي شركة عالمية هو مدير فرعها في مصر، همس في نفسه:

كل هذا من أجل العمل معكم.

صمت قليلا، هز رأسه،قائلا:

لا أسـتطيع العمل معكم أو حتي أعطيكم سـر الخليـة المصنعة الحديثة، لأنـني لا أملك هذا الحق، الدكتور عبد الناصر مـن اخترعها هذا الحق حقه وحده. رفض طلبه رفضا قاطعا، لم ينتظر حتى يعرض عليه مدى المكاسب التي سـيأخذها لو تعامل معه يعرف أن هناك حقوق لأصدقائه يجب أن يراعيها، ترك المكان مسـرعا.. لكنـه عاد مرة أخرى، ليأخذ زوجته الجميلة شوشـو. حاولـت زوجته أن تثنيـه عن رأيه.. لكنه أصر، نظـرت إلى المدير ثم تركت المكان، غادرت مع زوجها عندما وصلت إلى المنزل ظلت صامتة، لا تتكلم حتى لو كلمها، تريد ان يقبل عرض مديرها، وضح لها أنه لا يريد خيانة أصدقائه، من تربي معهم، وفى أثناء الحديث، رن هاتف تليفونها المحمول، شـاهدت رقم المدير:

ـــ هل أجيب، أنه المدير ؟

أشار إليها بالموافقة، بعدما انتهت قالت:

ـــ أنه يعرض عليك مليار دولار نظير منحهم سر صنعة الخلية المصنعة، واستكمل الدكتور في فرنسا،

لم يرضـخ لإغراءاتهما المتواصلـة.. ولكن زوجته تقف أمام العرض كأنها ترى حلمـاً كانت دائما تحلم به، علموا يرفضه العـرض الاول. عرضوا عليه العرض الثاني، أغروه، عندما قالت له زوجته:

يعرضون خمسين بالمائة من المصنع الذى يقيمونه في مصر، لإنتاج الخلايا المصنعة مع المليار دولار، إذا وافقت على العمل معهم.

أندهش من العرض، راقت له الفكرة، شغلت تفكيره.. لكنه لم يوافق، ليس من أجل عرض آخر..لكن من أجل أصدقائه القدامى.. في هذه اللحظة ظهرت زوجته شوشو بوجهها الحقيقي دون تصنع، أصرت على قبول العرض الأخير من أجل تأمين مستقبلها، مع أصرار زوجته المصطنع الذى لم يجد ما يبرره، أظهرت في هذا الوقت وجهها الحقيقي تغيرت عينيها الزرقاء. تحولت إلى اللون اللبني لونهما الحقيقي الذى يشبه عينا التماسيح العملاقة التي تأكل كل ما يقابلها دون رحمة أو شفقة، هددته حتى يتمالك نفسه، ويغير من أمره قالت له:

ـــ لو لم توافق علي العرض المقدم من الشركة سوف يفضح المدير أمرنا.

ـ ماذا سوف يقول، نحن متزوجان علي سنة الله ورسوله.

ـ يهددني بوالدي فهو يمسك بهم، ولا أعرف ماذا أفعل.

ـ نتصل بالشرطة وهي ستخلصنا منه ومن شره.

ـــ لن يقول أننا متزوجان سيقول إنك خطفتني وأرغمتني علي الزواج منك.

ـ لن استطيع أن أقول غير ذلك، لآنه يهددني بقتل والداي.. ارجوك أن توافق.

أومأ برأسه عدة مرات، أحياء لها بالموافق على العرض، أسلوبها مختلف هذه المرة أنذرته، ستقول إنه خطفها وعذبها أحتجزها في شقته حتى وافقت على الزواج، أحس أنها ليست المرأة البسيطة التي أحبها، عرف إنه وقع في

بئر عميق ليس له قرار، نزل إلى هوة سحيقة دون توقف، خاف على مستقبله ومستقبل أبنائه من بعده وعلى زوجته الأولي عند معرفتها، علم إنه ليس أمامه إلا الموافقة على العرض الثاني، أحس أن أوان الرفض قد ولى.

قابل مدير المركز، قال له:

موافق علي العمل معكم.

ـ ستعمل بنفس الشروط السابقة.

ـ لا هناك شرط آخر، أريد المليار جنيه أولا.

وافق مدير الشركة أنه سوف يمتلك من الأشياء التي تعوضه عن ما فقده، عادت الحياة إلى سابق عهدها مع شوشو، مكثت معه في المنزل لكى تعرف نيته تجاه الشركة حتى تكون عينا عليه، تبلغ رؤساءها بما ينوى فعله فيأخذوا الحيطة والحذر. أكدت له حبها وإنها تريد أن تعيش معه في سلام، تريد أن تعيش في مستوى أفضل من ما تعيش فيه الآن.

تأثر بكلماتها تذكر نشأته الأولى عندما كان يعيش مع والده في شارع مولد ببولاق الدكرور، عندما كان والده يعمل ليلا في مقهى أبو أسماعيل، ويسهر طول الليل، ويكمل العمل في الصباح في مصنع الملابس القريب الذى يعمل فيه عاملا على ماكينة الخياطة، لا يبالى بمدى التعب الذى فيه، يسهر ليلا يعمل في أثناء النهار لا وقت عنده للراحة، الشيء الوحيد الذى يحيا من أجله، كيف يستطيع الإنفاق على أسرته؟ وكيف يضم أولاده ليلا ؟

هو مثل الطيور التي تبحث طول النهار عن الكلأ، تتعب في جمعه حتى يأتي الليل تعود إلى أعشاشها، لتجد أفراخها الصغار يتضورون جوعا، تفرغ

بكل الحب كل ما بحوصلاتها كل ما التقطته طوال النهار إلى إفراخها، لا تدع منه شيئاً حتى ولو كان لإطعام نفسها، حتى الأم تساعد في جلب الطعام.

هكذا كانت أمه تعمل في محل للأزياء قريب من مسكنها، حتى لا تغيب عن أولادها.

هكذا الحياة، لا تعطى كل شيء لكل إنسان، تعطى، وتأخذ كما شاهد والده وهو يعانى من مرارة التعب. يحاول أن يلتقط دقائق معدودة للراحة، لكى يواصل عمله مرة أخرى، هذه المشاهد المؤلمة جعلته يفكر كثيرا، ماذا يفعل رئيس الشركة لو رفض عرضه ؟ هذه الأفكار التي تملأ رأسه تروضه جعلته يقبل الفكرة.

ليس بالصداقة نعيش ولكن بالمال فهو ما يجلب لنا كل فعليات الحياة.

هكذا كانت فكرته قرر أن يجلب لهم الأجهزة الصناعية التي يستخدمها الدكتور محمود في صناعة الخلية الصناعية، مما يعنى منحهم الفكرة الأساسية كما منحهما المادة الأساسية الخلية المصنعة التي أستخرجها الدكتور محمود نتيجة تجاربه وأبحاثه التي قضى فيها سنوات عمره.

أعرف عبد الناصر جيدا، لم يكن أبدا سيئ الطبع.. لكن الظروف اجبرته على الغوص على ما أقدم عليه، خوفه من الحرمان من العيش في مستوى الحياة التي يعيشها، حبه الشديد لهذه الفتاة التي أرتبط بها جعلته يسلك هذا الطريق، أخذوا كل الأفكار منهم، قاموا بتصنيعها داخل الشركة الأم، كما قرروا أن يستمر الدكتور عبد الناصر في العمل في مركز محمود حتى يستطيع أخذ الفكرة كلها، لتنفيذها بعدما يأخذها الدكتور عبد الناصر من مركزه بهدوء، ودون أن يحس الدكتور محمود.

في فـرع شـركة وددت، يريد مدير الإنتاج تصنيع المـادة الجديدة بصورة تجارية لكى يحقق المكسـب الذى اعتقد بسـرعة، بعدما اسـتطاعت الشركة معرفـة النسـب التي تدخل في تصنيـع الخلايا الصناعيـة الصحيحة، قامت الشـركة بتصنيع الخلايا الصناعيـة، ثم الأجهزة الصناعيـة الكاملة، قامت بالإعـلان عن تصنيـع كميات من الأجهـزة الصنعية، وعـن جميع الخدمات داخـل المراكز العلاجية الخاصـة بها، لم توضح الشـركة في الإعلان تركيب المـادة المصنعة الخاصة بها، أعتبره سـراً خاصاً لذلك، لكى لا يعرف الدكتور محمود بالسـر ويرفع قضية عن أحقيته العلمية في الاختراع، وحماية الملكية الفكرية، ولا تحدث عرقلة للمشروع الخاص بها، أقامت الشركة مركز خاص للعلاج، يتناسب مع حجم الشركة الكبير، مما أدى إلى نزوح كثير من المرضى المترددين على مركز الدكتور محمود إلى المنتجع العلاجي الذى أقامته الشركة نظرا للكثافة الإعلامية التي صاحبت تكوين المركز الطبي الضخم، أتجه أغلب المرضى إلى هناك.

يتأثر الناس بالإعلام يميـل الناس للإعلام، يعطى للمنتجع حجم أكبر، ربما أكبر مما يستحق، نزح الكثير من الناس إلى المركز حتى أن بعض الأصحاء ظنوا إنهم يسـتطيعون أن يكونوا أكثر صحة، توجهوا إلى المركز، ألتقي مدير الشركة بالدكتور عبد الناصر وقال له:

ـــ الناس تأتي للمركز لمعرفة ما يحدث داخله.

ـ كل هذا بسبب الإعلام، والحملة الإعلامية التي صنعته.

ـ ما رأيك لو خصص المركز قسـم خاص لكى يكون الإنسـان أكثر شـبابا، لجذب ملايين من الأشخاص لكسب الملايين من الدولارات.

يبــدو أن الريــاح لا تأتى بما تشــتهى الســفن، بائت جميــع العمليات الجراحية التي أجريت للجمال بالفشــل، كانوا يعولون على القســم الكثير، ظنوا أن ذلك القســم الكنز الذى يفتح لهــم كل الأبواب المغلقة، ميل الناس إلى الكمــال في الخلق والمظهر، قرر نائب المركز، وقــف جميع العمليات حتى لا تتأثر سمعة الشــركة الأم بهذه الأخطاء. الدكتــور راجز نائب المدير ورئيس المكتب التنفيذي للشــركة رجل حازم، يتحكم في كل الأمور من داخل مكتبه، لا يــراه الكثيرون ممن يعملون عنده لهيبته الشــديدة وصرامته مع العاملين، عندما ســاءت الأمور، قابل مدير المركز عنفه بشدة، قابل المدير الدكتور عبد الناصر عنفه بشدة قال له:

ـــ ما سبب سوء نتائج العمليات الجراحية التي تجرى في مركزنا؟

ـــ هناك روابط غير معروفة بين الجينات وبعضها.

ـ استعين بالدكتور محمود أن كان يستطيع المساعدة.

ـ الدكتور لن يوافق علي العمل معنا.

أنت لازلت تعمل عنده، أطلب منه بصورة غير مباشــرة، ولا بد للدكتور مــن معرفة الخطأ في العمليات التي أجرينها، لا بد إنه عالج ذلك الخطأ لذلك يجب أن تبحث في أبحاثه الجديد تجلبه لنا.

قال الدكتور عبد الناصر: أصبحت كارتا محروقا بالنسبة للدكتور محمود وكل العاملين في المركز، رآني أحد العاملين في المركز مع السيدة شوشو في أحد المقاهي.

ـــ ماذا في ذلك، لكل إنسان الحق في الجلوس مع من يحب.

ـــــ تحري الدكتور محمود عن الســيدة، عرف كل شــيء عنها يبدو إن

وجهها مألوفا لدي المسئولين، عندما واجهني الدكتور محمود لم أنكر الأمر، اعترفت له أنها زوجتي، وإنني تزوجتها على سنة الله ورسوله.

علم الجميع السر في خروج أبحاث المركز إلى شركة وددت العالمية

صمت الدكتور عبد الناصر قليلا ثم استطرد:

ـــــ المهمة التي كنت مكلفا بها انتهت بعد هذه الحادثة حتى إنها كادت تتلاشى، تكاد تنعدم، ولولا الصداقة القديمة بينه وبين الدكتور محمود لطردني من المركز ومن المستشفى الحكومي الذى يعمل فيه.

ماذا سوف يفعل الدكتور عبد الناصر؟ لا شيء.

(٤)

تعيد الذاكرة الأشياء الحزينة علي أذهاننا وتمر ببطء شديد كأنها سنوات لا تنتهي، وتخفي الأشياء السعيدة وأذ أتت تمر بسرعة كأنها ثوان لا ترى،

قرر مجلس إدارة الشركة أطلاق يدى نائب المدير الدكتور راجز في الأمر، أتخـذ القرار الصائب بعد أيام قليله مـن مقابلة المدير التنفيذي، طلب مقابلة عبد الناصر، لا يعرف الدكتور عبد الناصر ما الأمر أو ما أتخذه مجلس الإدارة أو حتـى إنه لم يتقابل مـع نائب المدير من قبل عندما دخل مكتب نائب مدير الشـركة، وجد لمبة الإنارة خافتة، توشك الإضاءة أن تضمحل، يكاد الناظر أن يرى الأشـياء، ثم اشتدت الإضاءة تدريجيا، حتى رأى الدكتور ناصر المدير.. لكنـه كان يقـف وينظر من النافـذة التي أمامه ولا يـرى الدكتور غير الجزء الخلفي منها، أدار المدير وجه الدكتور عبد الناصر، رآه الدكتور جيدا فوجئ بإمر لم يتوقعه، من يقف أمامه هو عم راجز رئيس قسـم المعامل في المستشفى الجامعـي الذى يعمل فيه هو والدكتور محمود، أعرفه جيدا من سمرة وجهه التي تعني أنه كان يعمل منذ الصغر، من العلامة البارزة في الجانب الأيمن من الوجه، صعق من هول ما رأى، نظر جيدا، سأل نفسه:

هل أنت عم راجز ؟ أم إنه حلم في وضح النهار.

وقف الدكتور عبد الناصر صامتا لا يتكلم، شاخصا بصره، فاغرا فاه، كأن أحـد الحيوانات العمالقة تهجم عليه، وهو يتأهب للهروب، ولكن لا يعرف

كيــف يهرب ؟ يحــاول أن يوجهه.. لكن دون جدوى يستســلم لأمره، يقف مســلوب الإرادة لعله يدرس ماذا يفعل ؟ ولكــن راجز لم يتركه بل وجه إليه الكلام، قائلا:

ـــ أهلا يا دكتور عبدالناصر في مكتبي.

في هذا الوقت أفاق من الدهشة التي أصابته بالسكون أستيقظ قائلا:

ـــ أهلا يا افندي، صمت قليلا ثم أستطرد:

ـ هل ما أراه حقيقة أم خيالا ؟

أجابه راجز:

ـ ما تراه حقيقة يا دكتور، أنا راجز رئيس قســم المعامل، وقف الدكتور عبد الناصر صامتاً.

اختلطت عنده كل المفاهيم الصحيحة بالخاطئة همس بكلمات مسموعة:

ـــ أنت تؤدى كل ما طلب منــك دون تذمر أو حتى دون أن تبين إنك تفهم في كل التجــارب التي يجرونها، دون أن نحس إنك تســتطيع مغادرة العمل، ولو لحظة شك واحدة.. دائما الظن إنك الموظف البسيط الذى يحتاج إلى الوظيفة لكى يلبىّ متطلبات حياته.

أبتسم راجز، فسر له الأمر كأنه يقوم بشرح تجربة علمية معقدة ويحاول تبسيطه إلى طلابه بأسلوب لم يتوقعه الدكتور عبد الناصر:

ـــ إنه عملي الذى أحبه، هو مــا جعلني الآن أقف أمامك وأكلمك، أعرف كل جديد في كل المجالات العلمية، أحاول تنفيذه في ســرعة، وإن لم أســتطع تنفيــذه أجلب من يقوم بالتنفيذ، عملي يجعلــني أطلع علي كل جديد دون أن يشك في أحد، يجعلني أعرف ظروف العلماء واحتياجاتهم المالية وغير المالية

والتعامل مع شـخصية كل واحد فيهم علـى حدى كما يضمن لي معرفة جميع المواد التي بداخل الأجهزة التعويضية، دون أن يكتشـف أحد ما أقوم به، كل من في المعمل يعرف إنني لا أعرف ما يقوم به.

أسـتيقظ الدكتور ناصر على كلمات راجـز كأنه كان نائما فترة من الوقت وأستيقظ فجاءة وجد الدنيا تغيرت من حوله، قال:

ـ نعم أن عملك يسمح لك الاطلاع على كل ما هو جديد في كل المجالات دون أن يشـك فيك أحد، تقديم الخدمات إلى العلماء والمواد الخام لهم يجعلك أكثر قربا منهم. ومن المؤكد إنك تعلمت الكثير بالعمل معهم.

قال راجز مستهزئا بكلماته:

ـــ هذا ما يعتقـد كل العاملين إني بخبرتي في العمل أعرف كل شـيء، ليسـت الخبرة بل العلم، فأنا حاصل على الدكتـوراه في الكيمياء الحيوية من كلية العلوم، وخريج كلية العلوم قسـم الكيمياء من عشرين عاما، وأعمل حتى قبـل أن أتخـرج في المعامل و آري ما يُجرونه العلماء مـن تجارب ما هو مفيد منهـا وما هو غير مفيد، وما يمكن تنفيذه وما لا يمكن تنفيذه، لم يخب ظني إلا في تجارب الدكتور محمود، لم أكن أظن إنها سـوف تنجح على البشر، لم أظن أنها سوف تنجح على الحيوانات.

تعجب الدكتور عبد الناصر من كلماته، قائلا:

ـــ خريج كلية العلـوم وحاصل على الدكتـوراه في الكيمياء، وتعمل أمين معمل في كلية الطب، لماذا لم تعمل مدرسا لمادة الكيمياء؟ لماذا لم تعمل أستاذا في الجامعة أو في المؤسسات أو الشركات الخاصة، فأن بعض مساعدي ممن يعملون

في مركز الدكتور محمود خريجي العلوم قسم الكيمياء، فهذا التخصص نادر. أجابه راجز قائلا:

ـــ أن في ذلك قصة طويلة سوف أقصه عليك.

التحقت بالمدرسة الإلزامية ووالدي مريض مرضا مزمناُ بالقلب، لم يستطيع الإنفاق على في المدرسة وعلي أخواتي الصغار فهم يحتاجون إلى الرعاية، ولم يكن هناك من يساعدني على ظروف الحياة القاسية، حياتي مليئة بالصعوبات التي لا يمكن لأحد أن يتخيلها أراد والدي أن أترك الدراسة والتحق بالعمل لكى أساعده على الحياة والإنفاق على الأسرة الكبيرة، رفضت أن أترك التعليم كنت متفوقاُ جدا في دراستي، أصررت على الالتحاق بالتعليم الثانوي امتنع والدي من الإنفاق علىّ، تدبرت أمرى، العمل المتوافر في قريتي الصغيرة في أقصي محافظة الشرقية هو العمل في الحقول الزراعية في جنى المحصول أو زراعته أو حتى تنقيته. كنت أعمل بجد، لكى أجنى ما يعينني على الدراسة، أحاول استذكار دروسي في فترات الراحة الفترة التي أبعد فيها عن حياتي الخاصة، عندما يأتي موعد الامتحان، أتوقف عن العمل، وأستذكر ما فاتني في دراستي كانت الحياة قاسية ومثل الآلام المبرح التي لا تفارقك أذا أصابك مرض، لكن مع انتهاء المرض يزول الآلام، وتصبح أكثر صحة كنت في أيام، أحاول أن أقلل تناول وجبات الطعام حتى أستطيع الإنفاق على احتياجاتي ولا أعود إلى العمل مرة أخرى حتى، انتهت مرحلة الثانوية،وحصلت على مجموع يؤهلني للالتحاق بكلية الطب.. لآن المصروفات في كلية الطب تزيد على طاقتي ربما المصروفات في كلية العلوم أقل، الدولة تتحمل بعض التكاليف

الدراسية، نسيت أسرتي التي أنتمى إليها، لم يحاول أحد أن يسأل عنى، ولم أسأل عن أحد، احتجت إلى أدوات للدراسة في الكلية ومصروفات دراسية، بحثت عن عمل.. لكن كل الأعمال تحتاج إلى دوام كامل أما الأعمال التي لا تحتاج إلى دوام فهي الأعمال البدنية الصعبة التي تحتاج إلى تكوين جسماني خاصة، وقد حباني الله بذلك، اضطررت إلى العمل في هذه الأعمال كي ألبي متطلبات الدراسة، كنت أعود إلى السكن الجامعي منهكاً، عندما زادت أعباء الحياة على اضطررت إلى العمل في إثناء الدراسة، كنت آخذ كل المحاضرات التي أتغيب فيها من أصدقائي، كان سكنى في المدينة الجامعية أثناء الدراسة بينما السكن في الإجازة في أي مكان كنت أنام، في بعض الأوقات على الرصيف أو في المباني التي أعمل بها إلى أن تأتى فترة الدراسة، أعود إلى السكن الجامعي عملي في الأعمال البدنية يحتاج فترات راحة، تأثرت تقديراتي ولكن ليس كثيرا في أحد الأيام، كنت أعمل في تفريغ أحد الحملات لاحد الشركات الكبرى التي لا أعرف أسمها شاهدني أحد أستاذتي، وأنا أحمل الصندوق الخشبي الضخم، وأرفعه على أحد السيارات، تأمل فيّ ثم ذهب، بعد قليل عاد مرة أخرى، لف حولي عدة مرات، وأنا أقوم بالعمل سألني:

ـ ألم نتقابل من قبل، فوجهك ليس غريبا على.

أجبته بلكنة غريبة عنى متلجلجا في كلماتي:

ـ لا، لا، لم نتقابل قبل ذلك.

حاولت أن أخفى عنه وجهى تماما.. لكى لا يعرفني فنحن في كلية العلوم قليلون وكل دكتور يكاد يعرف جميع الطلاب الذين يدرس لهم، يشك في

كلماتـــي يلاحظ كل تصرفاتي، لم يبعد ناظريه عنـــى، حاولت أن أنهى عملي سريعا حتى أبتعد عنه.. لكنه لاحقني بعد العمل كانت مصادفة. أم لم تكن لا أعرف، رآني وأنا أسير فوق الرصيف، كان يقود سيارته المرسيدس الحمراء، سألني بلطف، يحاول مساعدتي:

ـ هل الطريق إلى منزلك قريب من هنا.

قلت متلعثما ومتسرعاً:

نعم قريبا شكرا يا دكتور.

توقف بسيارته بالقرب منى ثم قال مستفسرا:

ـــ كيف عرفت أنى أعمل دكتور؟

أجبت:

ـــ الناس تناديك يا دكتور رددت كلماتهم.

قال في خبث:

كل النـــاس هنـــا لا تعلم أنى دكتـــور، كل ما يعرفونه أنـــى أقوم بتصنيع الدهانات الخاصـــة بالملابس الجلدية كي تتحمل الحرارة الشـــديدة والبرودة الشديدة،

سألته في خبث أنا أيضا:

هل الجامعة التي تعمل بها تعرف إنك تعمل هنا؟

أجاب مفسرا:

ـ نعم فكلنا في الجامعة نستطيع الالتحاق بعمل آخر طالما إنه لا يؤثر على عملك الأصلي.

سألني:

هل تعمل هذا العمل فقط؟

كدت أن أجيب عليه، لولا أن أحداً من أصدقائي يمشي بجواري: قال لي: ألن تذهب إلى الجامعة اليوم؟

سمع تلك الكلمات لم ينتظر حتى يكمل الرجل الكلمات، سألني:

في أية كلية تدرس؟

اضطررت أن أجيبه بصراحة:

ـ في كلية العلوم، إذا أنت أحد طلابي.

صمت قليلا ثم استطردت دون أن يسمع الإجابة:

ـ لقد كنت مثلك أعمل وأنا أدرس فوالدي اعطاني مائتي جنيه.

وقال لي:

خذها والتحق بالكلية التي تريدها.. لكن لا تملأ كاهلي بطلب المال، ليس معي إلا تلك الأموال فأخذتها، كنت أقتصد منها، أخذتها وزعتها على سنوات دراستي الأربعة، كلما احتجت إلى المال وليس معي ما يكفي، أبحث عن عمل أستطيع الإنفاق منه على معيشتي.

صمت وهز رأسه ثم أستطرد:

ـ تذكرني بنفسي في نفس سنك.

أدار برأسه، تكرني، وذهب، لم يحاول إن يساعدني ماديا كما يفعل البعض.. لكن كلما أتي إلى الشركة التي أعمل بها يأتي إلى ليتبادل الكلمات معي بلطف شديد، بعد عدة أيام من لقائنا، فاجأني بوجه يملأه السعادة ويظهر عليه البشرى وقال لي بلطفه المعتاد وصوته الغض:

وجدت لك عمل في الجامعة.

سألته:

ما هو العمل أنا لم أنه شهادة الجامعية؟

رد على مطمئنا:

ـ هذا العمل بالثانوية العامة أو ما يعادلها من الشهادة الدراسية جهز أوراقك المطلوبة وتقدم لها الآن.

نظرت إلى الأرض أفكر صامتا ثم رفعت رأسي إلى أعلى قائلا:

يا دكتور هذا العمل يحتاج إلى معرفة داخل الكلية، من يزكيني لهيئة التدريس. أبتسم الدكتور مدحت ابتسامة خفيفة أظهرت بعض أسنانه الأمامية، ورد على بهدوء:

ـ جهز أوراقك وتقدم للعمل وعندما تنتهى اتصل بي وخبرني بأنك قدمت أوراقك. بالفعل ذهبت سعيدا إلى المدينة الجامعية. أسرعت في اليوم التالي بتجهيز أوراقي الخاصة بالعمل، صنعت ملفا خاصا بي وقدمته إلى إدارة شئون العاملين في مقر الجامعة وقيل لي المسئول عن العمل:

ـ أنتظر أسبوعين، وأتي لتعرف ما حدث لطلبك.

انتظرت المدة التي حددها المسئول وذهبت إليهم مرة أخرى قال لي نفس الموظف نفس الكلمة السابقة، كأنه لا يعرف غيرها، يقولها إلى كل من يسأل:

ـ لم يأخذوا قراراً إلى الآن انتظر أسبوعين أخرين.

انتظر أسبوعين بعد ذلك حتى علمت أن أحد ما غيرى أخذ الوظيفة، لم أنه نفسى عن الأمل الذى جلبه لي الدكتور مدحت، كأنى في الصحراء القاسية ووجدت الماء لم أتخيل أبدا إنه سراب.

(٥)

لكنـــى حاولت الوصول إليه، ظللت أســأل عن طلبي لعــل ميزان العدالة يتحقق في الدنيا كما صنعه خالق الدنيا. هل توزع الأرزاق بالميزان؟ الذى حدده رب الميزان، ويكون لدى الإنســانية نوعا مــن العدالة التي تؤدى إلى توازن في المجتمع يعيش جميع أفراده في ســلام ووئام، أم هذا الدنيا على حاله منذ أن خلق الإنســان، لا توزع بالتساوي ولكن الحق يغيب بعض الوقت.. لكنه يعود أقوى مما كان ويســود العدالة حتى ولو بيدي الظالم، مع توالى ذهابي إلى مقر شئون العاملين كان المسئول يقول لي:

ــ أنتظر أسبوعين.

حتى بدون أن يقول لي أن المســابقة انتهت وعين أحد آخر فيها، أنتهى كل مــا لــدى من مال عدت إلى العمل الســابق في الشــركة، التي لم أكن أعرف حتى أسمها عامل تشوين متقطع حسب الطلب، في أثناء العمل قابلني الدكتور مدحت مندهشا قال:

ــ ماذا تفعل هنا.

أجبته:

ــ أعمل.

قال لي بصوت شديد اللهجة:

ــ آلم تستلم عملك في الكلية؟

رددت عليه بحزن:

لم أستلم.

سألني مندهشا:

ـ ألم تتقدم بالأوراق المطلوبة ؟

قلت له:

بلى تقدمت بالأوراق المطلوبة.. لكنهم أخذوا واحداً غيرى.

شاهدت نظرة الآلام على وجهه، نظرت إليه مداعبا وقال:

لا تحزن سوف نرى ما حدث.

تركني وذهب لم يتكلم معي كثيرا، دائما ما يطيل الكلام معي نتحاور في التجارب، في سلوك بعض الأساتذة ومدى توصيلهم للمعلومات للطلاب الجامعين.. لكن في هذه المرة أنطلق مسرعا، في الأسبوع الأخر، نظر إلى قال: لا تحزن أذهب إلى الموظف مرة أخرى، أسأله على طلبك.

سمعت كلماته وذهبت إلى الموظف، نظر إلى مداعبا:

ـ ظننتك نسيت هذا الطلب،

لم أنبس بكلمة واحدة، تركته وهممت بالمغادرة، أشار إلى موظف بالقرب منه ثم أشار إلىّ، سمعت من ينادى أستاذ راجز أدرت ظهري، باتجاهه، أشار إلى بيده، وسمعته يقول:

تعالى.

وقفت قليلا، تتبعت إشاراته، ذهبت إلى عنده، قلت له بصوت غض:

ـ نعم .

قال لي بصوت لين:

ـ أذهب وأستلم عملك، وأكمل أوراقك بعد أن تستلم العمل.

سألته في تعجب:

ـ هل أذهب إلى كلية العلوم الآن وأستلم عملي هناك.

رد في لين:

لا ليست كلية العلوم ولكن في كلية الطب، نطقت بكلمات كأنها كانت محشورة في فمي:

لكنى تقدمت للعمل في كلية العلوم.

قال لي في شدة:

ـ هذا العمل التي استعانت بك الكلية فيه، اذهب واستلم العمل، وأن لم توفق هناك، الكثيرون الذين يرغبون في هذا العمل.

تقدمت بالشكر له، تركته، ذهبت كي أقابل الدكتور مدحت في مكتبه قبل أستلام العمل، أوجه له الشكر، دخلت عليه غرفته داخل كلية العلوم، لاحظت المكتبة التي تمتد من الأرض إلى سقف الحجرة المليئة بالكتب، وجدت مكتبه غير كل المكاتب التي شاهدتها لموظفين، حتى أقل منه شأناً عرفت عندها أن قيمة الإنسان ليس في المظهر.. لكن في ما يملكه من علم فهذا المكتب الخشبي الجميل وهذه الأرضية الخالية من السجادة ربما تكون أفضل مكان مليئة بالزخارف التي لا تحصى، المنظر شدني أكثر إليه، دخلت نظرت إليه، أطل إلى الأرض، قلت له:

شكرا يا دكتور على تعبك معي، باليتني أستطيع أن أرد لك هذا الجميل.

قال لي بصوت حاد:

ـ اذهب واستلم عملك الآن، أين تم تعينك.

قلت له بنبرة حزينة:

ـ في كلية الطب.

صمت برهة ثم استطردت:

ـ هل يمكن أن أعمل في كلية العلوم بجانبك.

أجابني بصوت لين:

ـ بذلت مجهوداً كبير لكى يتم تعينك فقد رفعوا أسمك من المعينين، اذهب واستلم عملك، لعل الله يجعل بعد ذلك خيرا.

ظهر على وجهى بعض الحزن، بادرني قائلا:

ـــ ماذا ولو رأوك أصدقاؤك وأنت تعمل في المعمل سوف يقلل من شأنك بينهم، ستحس إنك أقل منهم شأنا.

أراد أن يقلل من حزني ويعطيني، دفعني للعمل، لأتحمل الآلام، أحسست أن هذا العمل أفضل بكثير من عملي في الشحن في الشركة، اعتذرت له، وهممت بالمغادرة حتى لا أطيل الجلوس في مكتبه حتى لا أؤخره عن أعماله اليومية عندما رآني أميل إلى المغادرة قال:

لا تنسى أن تحضر كل دروسك في الكلية، تذاكر جيدا، لو تريد أن تستأذن لحضور أحد المحاضرات فلتستأذن من رئيسك وتعود بعد انتهاء المحاضرة فقد اتفقت مع عميد الكلية على ذلك، أطير من الفرحة لم تمر على لساني غير كلمة واحدة:

ـ شكرا يا دكتور.

قال لي وهو ينظر في أوراقه:

ـ أذا احتجت لي فلتأتي فورا بدون أذن من أحد.

ـ شكرا يا دكتور.

الكلمـــة التي انطلقت بها، أكررها كأنني لا أعرف إلا هي على لســاني، لا أعرف من أتت كل هذه الســعادة التي تغمرني، الســعادة تفيض على الكون الــذى أنا فيه كأنـــه طوفان يغمر الدنيا فلا مكاناً تخلــو منه ولا طريقاً لا تمر فيه، شــققت طريقي إلى كلية الطب، ولا أعرف كيف كأنى أطير من على وجه الأرض، لا أحــس بالزمان ولا المكان، قابلني جميع من في الكلية بالترحيب، شرحوا لي طبيعة العمل الذى أقوم، كان عملا بسيطاً، تنظيم المواد الكيميائية داخل المعمل وعمل التحليل البسيط. وجدت ضالتي في المعمل كل المواد العضوية وغــير العضوية والأحماض والقلويات، حتى جميع الأدوات التي أحتاج إليها في تجاربــي في كلية العلوم جميع الأجهزة والتجــارب حتى فئران التجارب كانــت في المعمل، تعلمت كل متطلبات عملــي في فترة وجيزة، كل العاملين في المعمل يشــككون في ما تعلمته، يختبروني مراراً، أحــدد ما يطلبوه بالضبط، كل العاملين وفروا لــي الوقت لكى أذهب لحضور محاضراتي في كلية العلوم، الأستاذ والمعيدون في كلية الطب كانوا يشرحون ما أستعصى على من محاضرات ومــا فاتني منها، أشــتكى من قلة حضوري للعملــي في الكلية، كنت أقول لم أحضر سكشــن الدكتور كذا، يتصل الدكتور الذى أقــول له ذلك بكلية العلوم بالتليفون، كان يقول جملة لم أصدقه:

زملينا راجز لم يحضر لحضور محاضراتك، أرجو أن تعذره، وتشــرحها له.

هل ذلك بســاطة العلماء، أم العطف على إنســان مســكين، أم وجدوا في أنســان ذي عقل جيدة يســتحق المســاندة، كنت امتحان العملــي في معملي في

الكلية، يأتي إلى المعيدون مـن كلية العلوم، يمتحنونني في كلية الطب، كنت أحصل على الدرجة النهائيـة، أتفوق على بعض المعيدين أحياناً ممن يقومون بامتحاني، كونـت صداقات مع جميع العاملـين في الكلية، حتى أمين معمل الجينات والاجهزة التعويضية الأسـتاذ حامد، حكى لي قصة حياته، أراد أن يكمل دراسـته الجامعية.. لكن ظروفه المادية والعائلية حالت دون الاستمرار في دراسته، لم يمقت الدنيا، رحب بما فيه.

كل العاملين في الكلية يحبونني إلا شـخص واحد فقط، يريد أن يطردني خارج الكلية إنه مخلص الذى يعمل أمين معمل البيولوجي، يزداد غيرة منى كل يوم لم يسـتطع أن يكمل دراسـته الجامعية حتى عندما حاول أن يحسـن درجاتـه في الثانوية، لم يسـتطع أن يحصل على المجموعـة الذى يؤهله إلى الكليـة، ينظر إلى بغيرة، يكاد يهجم علـى عندما يراني كالذئب الذى يهجم علي فريسته عندما يراها تخرج من جحرها، يراقبها لكى ينقض عندما تغفل عن وجوده، أظن إنه ينتظر لحظة، لينقض على عندما يجدني أستذكر دروسي ينظر إلى بعـين الحقد، أحاول أن أتقرب منه، بائت محاولتي كلها بالفشـل قـررت الابتعاد عنـه، لم يبتعد عنى يحـاول دائما أحراجي أمام أسـاتذتي وزملائي، ليثبت إنه الأفضل، حاول عدة مرات طردي من الكلية.

في أحـدى المـرات، أخفـي الخلايـا الجرثوميـة للجينات عـن هرمون البروجستين الذى أكتشفها المعيد هشام في تجاربه على الهندسة الوراثية.

كل الباحثون يستخدمون الأدوات من معملي، يحتفظون بنتائج تجاربهم فيه حتـى الأدوات القديمة مثـل الهرمونات والأنزيمـات القديمة التي كان الباحثين يسـتخدمونه مازالت فيه يحتفظون بها في معملي، أكتشـف المعيد

غياب المادة التي صنعها منذ فترة، يحاول أجراء التجارب عليه.. لكى يطبقها على الإنسان، أتي إلى في المعمل، سألتني: هل رأيت المادة الجرثومية التي كانت في الدرج الخلفي رقم ١٧.

ـ لا لم أر شيئاً.

ـ هل أخذها أحد وأنت هنا.

ـ لم يأخذها أحد.

المادة عبارة عن جين يستخدم بديلا لهرمون البروجستين الذى يقوى الخلايا الجسدية للرجل، يساعد في إنشاء الأعضاء الجسدية لدى المرأة، وبعد محاولات استخلص العميد الجين المسئول عن الهرمون، لتصنيع المزيد من هذا الهرمون، أستخلصه من أحد فئران التجارب، بحث المعيد عن المادة الفاعلة في كل مكان في المعمل، فتش في كل جزء في المعمل كالمجنون، يعبث بكل شيء، لا يستطيع أحد الوقوف في طريقه.

معاملته للناس جعلت الجميع يبتعدون عنه، تجنبوه، الكل يبحث، يحاول أن يبحث معه هذا مجهود سنين عمل، لا يمكن أن يضيع بين ليلة وضحاها، تنبه العميد لوجود لغط في معملي، أتى على الفور يكتشف ما يحدث لعله يستطيع أن يعالج الأمر، رأى العميد حالته المعيد بحث معه، كأنه هو الذى فقد هذا الجين، وقفت متفرجا، لا أعرف ما يبحثون عنه، لم ينظر إلى أحد، لم يحسوا حتى بوجودي، في حالة أرتباك علي كل الباحثين، يبحثون خوفا أن تلصق بأحدهما تهمة السرقة الكل يخاف عقاب العميد، تعب العميد من البحث ذهب إلى مكتبه، سأل:

ـ الجينات في عهدة من.

أجاب رئيس المعامل:

ـ في عهدة راجز المسئول عن المعمل.

طلبني العميد بعد لحظات ليعرف ما حدث، حاول بكل الطرق أن يعرف مـن دخل المعمل.. لكنى لا أعرف من دخل إليـه، لم يفهم من كلامي معلومة تسـاعده على اكتشـاف من دخل إلى المعمـل.. أضطر إلى معاقبـتي.. المكان في عهدتـي، أنا المسـئول الأول عن المعمل بالفعل، أمـر العميد بوقفي عن العمل لحين الانتهاء من التحقيقات، كان التحقيق بتهمة الإهمال الجسيم والإضرار بـأدوات عهدتي حتى إنه لم يتوان عن تقديمي إلى المحاكمة الجنائية، لملمت أغراضـي، وهممت بمغادرة الكلية، أنا في طريقـي إلى الخارج رأيته بوجهه المبتسم الذى يظهر ما يخفى، علمت إنه من دبر ذلك، حركات رأسه وابتسامته الشـامتة، تثير في نفسى الشـكوك، تولد فيه الريبة، قابلني مرة أخرى عند باب الكلية، ابتسامته تكشف عن أسنانه، قال:

ـ تحزن ربما تجد عملا آخر.

قلت في نفسى:

ـ ماذا فعلت لهذا الرجل ليفعل بي ذلك.

ولكن تأتى الرياح بما لا تشـتهى السـفن، و لتزيل من تحت أقدام الظلام سـجادته، يبعد عنه كل معاونيه، انتظرت في السكن الجامعي لمدة يومين فقط بعدها أتصل بي أمين معمل الأجهزة التعويضية حامد قال لي:

ـ اكتشفوا الفاعل الحقيقي، مخلص أمين معمل الجيولوجيا، رآه عم أحمد العامـل المسـئول عن تنظيف المعامـل، يدخل معمل الكيميـاء، لم يولى الأمر اهتمامـا إلا عندمـا علم إنك طردت من الكلية، وعندما سـألني عن السـبب،

قصصت له ما حدث قفز من مكانه، قائلا:

ـــ أعرف من فعل، إنه حامد رأيته، يدخـل معمل الكيمياء، يأخذ منها بعض الأدوات ولم أكن أعلم إنه يدبر السوء لراجز.

واتجـه مسـرعاً إلى العميد في مكتبـه، أخبره بما حدث، أسـرع العميد بتفتيـش معمل الجيولوجيا، لم يجـد الأدوات، ظن أن عم أحمد يهذى.. لكن عم أحمد، ذهب إليه مرة أخرى، قال له:

خبأها في المكتبة.

ذهب العميد مسـرعا إلى المكتبة، فتشـها بتأني، وجد الأدوات مخبأة في أحـد أدراج المكتبة، أكد أمين المكتبة أنه لا يعلم شـيئاً عـن الجينات، تأكد العميد إنه لا يخفى شيئا عنه، سأله العميد:

ـ هل تستطيع أن تقول لي من وضع الجينات في هذا المكان.

أجاب عم أمين:

ـــ أن حامد أمين معمـل الجيولوجيا، كان يقف في هذا المـكان، يريد أن يقتنـى كتابا، يقرأه، يقف في هـذا المكان بالتحديد، وأخـذ كتابا، وأراد أن أسجله.

أشار الرجل إلى توقيع أمين المعمل، رآه العميد، علم أن ما يقوله حقيقة، وجه العميد حامد أنكر في بدية الأمر، أسـتمر العميد في البحث عن الحقيقة حتـى ظهرت واضحة، اعترف حامد بما فعل، عدت إلى عملي رافعا رأسـي، نقـل حامد إلى جامعـة أخرى، بعد تدخل أعضاء هيئـة التدريس كان العميد مصـراً علـى فصله من العمل، رفض أية وسـاطة إلا أذا أعتـذر لي، أنا قبلت اعتذاره، علم حامد. ذهب إلى الدكتور مدحت، قال له الدكتور:

ـ اذهب إلى مدحت.

أتى إلىّ، قبلت عذره.. لكن تم مجازاته بنقله

(٦)

هذه لحظة الانتصار عندما يسجل لاعبا هدفاً في الدقائق الأخيرة في مباراة نهائيــة لكرة القدم، لا تتخيل ما الشــعور الداخلي الذى يفور بداخل مريض يشــفى من المــرض العضال، يفيق علــى ذكر ربه، ووجه والــده الذى يجلس بجانبه.

هذا الإحســاس الذى أحسســت به عندما عدت إلى عملــي في معمل كلية لطــب، أتى الدكتور مدحت هنأني علــى عودتي إلى العمل، طالبني أن أجتهد في العمل، بذلت كل ما أستطيع في الدراسة حتى حصلت على البكالوريوس من كلية العلوم بتقدير عام ممتاز، في هذه اللحظة أحسست أن الحياة تبتسم لي، لتعينني على ما أنا فيه، قدمت كل أوراقي إلى الجامعة لكى أعين معيدا فيها.

لكن الأمور لا تأتى كما تريد دائماً، لا تسير في نفس الطريق الذى نحدده. الدنيــا مثل التفاح على الشــجرة جميلة عندما يأكلها الأنســان أم تكون حلوة الطعم، يتناولها الإنســان ســعيدا، بها وأم تكون عطبة فتفتت في صدره، سوء أكانت عطبة أو حلوة، يأكلها الإنسان.

لم أحــزن لآنــى لم أعين في الجامعــة، اختاروا الذى يلــى في الترتيب، تركوني مع وقوف الدكتور مدحت بجانبي.. لكن هناك مبررات مثل إنه أعلى منك في المادة التي تم اختياره فيها، حاولت العديد من المحاولات.

لكن بائت كلها بالفشل كأنما تريد رفع جبلا من الصخور القديمة العتيدة،

هكذا الحياة في مجتمعنا، كل شـيء يأخذه الصفوة، حتى وأن كان ليس له ما يميزه ويؤهله لكسـبها حتى وإن كان هناك من يقوفه في العلم، يبنى المجتمع على العائلات.. هل هكذا تكون الحياة ؟

لم أفكر في أمر الجامعة كثيرا، لآنى لم أكن أعقد عليها أمالا كثيرة، وعين بها أحد أصدقائي المقربين، أصبح رئيساً للجامعة الآن.

لم أيـأس أو أتهاون في حق نفسـى، حاولت أن أكمـل تعليمي الجامعي، التحقت بدرجة الماجسـتير ليس من أجلى فقط، مـن أجل حلمي الذى أحمله في صدري، وأحتفظ به لنفسـي، حتى صاحبة هذا الحلم لا تعرف عنه شـئيا إنها زميلتي في الكلية هند، في تمام العقل، من ذوات الجمال المتوسـط.. لكن لون عينها البنية وجسـمها المشوق، يثيرني، يجذبني إليها لا أحد ينعتها بالجمال.. لكن عقلها الراسخ يجعلني اتعلق بها أكثر.

تخيلاتهـا تصاحبني في ليلـة مقمرة، تجاورني في سـريري المصنوع من الأريك، هي كل أحلام الجميلة الملاك الذى يرقبني وأراقبه، عشـقتها.. لكن الحلـم الذى طالما حلمت به تبخر كالشـراب، حاولت أن أكـون جديرا بها، لآنهـا تنتمى إلى عائلة مرموقة، حاولت مرة أخـرى الالتحاق بالجامعة بعد أن اخذت درجة الماجسـتير، باء الأمر بالفشـل. تقدم مراد لخطبتها لم أفعل شـئيا لأنني لم أحاول أن أكلمها في الكلية، لم أصرح لها بحبى لم أكلمها مرة واحـدة عـن مدى افتناني بها، صمت أشـاهدها من بعد كالـوردة الجميلة في مزرعة للورود، تشاهدها تشمها ظننتها، لم أعلم إنها إنسانة تتغير وتتبدل، تحـس، وتحـب كان حبى مـن طرف واحد هـو طرفي أنا، لا أعـرف لماذا لم أكلمهـا، لم أصرّح بهذا الحب الكائن في صدري، ذهبت لصديقي، حتى عندما

تزوجت ذهبت إلى فرحها، سلمت عليها وأنا سعيد كل أملى أن أراها سعيدة لم أحاول في يوم من الأيام أن أصارحها بحبى، كتمته في نفسى، لم أبح به لأحد، إلا أنت الآن، لقد أنتهى كل شيء، لم يبق منه إلا الذكرى الجميلة والنظرات البريئة، التي كنت اختلسها من الزمن عندما كنا نجرى التجارب العلمية معا، أغلقت هذه الصفحة من حياتي، أخذت الماجستير في الكيمياء العضوية، في تأثير الهورمونات والأنزيمات على الخلايا الجسدية كيمائيا، وإنتاج هرمونات تستطيع التأثير كيمائيا على جسم الإنسان، بحيث تستطيع تقوية جسم الإنسان.

بدء عملي في هرمون البروجسترجين عند النساء.. بدأت موجة بناء الأجسام لدى الرجال كانت أعمالي على هرمون النمو وهرمون التستوستيرون وتأثيره على الخلايا الجسدية، كان مشروعا، يحتاج إلى الكثير من المال، لتنفيذه حتى عندما قمت بعرضه على الجامعة، لم توافق على التنفيذ، كان مستشاري العلمي الدكتور مدحت يعرف كل خطواتي، أخذ رأيه في كل أمورى الخاصة بي، أراد الدكتور مدحت أن يوجهني من أجل تنفيذ هذا المشروع:

ـ ماذا لو عرضت الأمر علي شركة وددت التي قابلتك فيها.

كانت الشركة في بدء عملها في البلاد، تحاول أن تأخذ كل ما هو جديد في البلاد، الدكتور مدحت يعمل فيها في تنفيذ المشروعات بصورة تجريبيه، بالفعل اتفق، همست له قبل أن نعرض الفكرة على رئيس الشركة:

ـ يا دكتور هل نبيع أفكارنا لمن يدفع.

ـ يا بنى هل هناك حل آخر في بلد لا يقدر الفكر ولو تركت فكرتك سوف

تموت وتندثر معك وقد يستولى عليها أحد آخر غيرك ينفذها دون أن تدرى، نحن نحاول أن نوصل أفكارنا للناس، صمت قليلا ثم استطرد:

ـــ هل عندك حل آخر، أعلم ولو نجحت هذه الفكرة سوف تدر عليك الكثير من المال أنت في حاجة إليه، أعلم نحن في بلد لا تعترف بالعلم ولا بالعلماء. لا يعترف إلا بمن ينبغ في خارجه.

وافقت الشركة علي إنتاج تجربتي، وجدت فيه ربح ما، نفذت الشركة المشروع بصورة تجارية، فتحت مركز للعلاج بالجينات، لم يكن في بالى الربح.. لكن كان أملي تنفيذ مشروعي وظهوره إلى النور، بالفعل اتفق معي رئيس الشركة أن أكون رئيس المركز، أقنعني الدكتور مدخت بأفكاره، عندما عرض فكرتي علي رئيس الشركة، وقابلته، فوجئت أنه يعلم كل شيء عن مشروعي مسبقا، قال:

ـــ يجب أن نعمل في إنتاج الهرمونات الجنسية، هي الأكثر مبيعا في الأسواق.

ـــ هل نبدأ مشروعنا بالعمل في الهورمونات الجنسية.

وافقت على العمل لآنه عرض على مبلغا كبير من المال، انتقل للعمل في الهرمونات وتنمية العضلات الجسدية وإظهارها في أحسن صورة مثل عضلة الصدر، وعضلة الراسخ والفخذ وزيادة النشاط العضلي للرياضيين كان الاعتماد الأول على هرمون النمو ثم هرمون الأندروجين بعد تفكير، حاولت أن أغادر العمل في الشركة، أنهى جميع أعمالي.. لكن الدكتور مدحت تغير عندما علم نيتي في ترك الشركة تحول إلى إنسان لم أكن أعرفه قبل ذلك، صرخ في وجهى:

ـــ أنا صاحب الفضل عليك، لو تركت الشركة، لن تعرفني بعد ذلك،

الزمنـــى بالاســـتمرار في العمل، لأنه أتفق مع رئيس الشـــركة على تنفيذ المشروع، وجلب كل المعدات الخاصة بالتنفيذ، الشركة أنفقت الكثير من أجل إقامة المشـــروع، ولا يمكن الانســـحاب الآن، أرغمت علـــي الموافقة على العمل في الشـــركة، وتنفيذ الفكرة، انتجت الشركة كميات كبيرة من الهورمونات، وطرحتها في الأســـواق، ذاد الطلب علـــى الهرمونات الذكرية بعد معرفة مدى تأثيرها على الناس، زادت تلك المنتجات في اظهار أسم الشركة، أصبح أسمها كالضوء في السماء أصبح الطلب على الهرمونات أكثر من الطلب على الطعام.

فلإنســـان بطبعه شهواني، يميل إلى اشـــباع رغباته الجسدية والجنسية على حساب باقي احتياجات جسده.

كانـــت البداية الأولى لظهور هورمونات النشـــاط العضلي والقوة البدنية، كانت البداية في استخدام الهورمونات في تنمية العضلات وتقويتها وإظهارها بصـــورة مثالية، أعطى هورمـــون النمو والأندروجين للعضلات شـــكلا جميلا وأصبحت المكونات الأساسية للشركة، تطلب في جميع الأندية الرياضية لأنها ليســـت لها آثار جانبية، ولا يتم اكتشافها بســـهولة هكذا كان الاعتقاد ولكن مـــع الاعتماد عليه بصورة أساســـية، بـــدأت في ظهور آثـــار جانبية مع توالي الاستخدام مثل صعق القلب مرض السكر.

كونـــت الشـــركة مصنعاً خاصا لهـــا للإنزيمات والهرمونـــات، مع ظهور الاعراض الجانبية، وتحذير الحكومة المستمر من تناول الهورمون، قل الطلب عليها، حاولت الحكومة غلق المصنع ولكن هناك مافيا وراء المصنع، تسيطر على الاقتصاد، صنعوا حملة مضادة ضد الحملة التي قامت بها الحكومة، أشـــادت الحملة بالمصنـــع والأدوات المصنعة فيه، وأن ما يقال عن الآثار الجانبية ليس

له أساس من الصحة وأن ما يقيل عن الآثار الجانبية تستطيع تجنبه باستخدام الإرشادات الطبية السليمة، وأن ما قيل هو سوء استخدام للهورمونات.

شــرح عدة طرق آمنة لاســتخدام الأدمــي، منها الاســتخدام بعد تناول وجبات الطعام الأساسية، فلا يؤثر على الأعضاء التي تكون هذا الهورمونات، قدمت بعد المبررات التي تؤكد أهمية الهرمونات المصنعة للجيم.

بعد فترة تم اكتشــاف الحقيقة التي أفزعت كل المسئولين، إنه قد يسبب مرض السرطان، سبب من الأسباب المهمة في أنتشار المرض على نطاق واسع.

نشــر معهد بحوث الغذاء تقرير مفصل عن مدى خطورة هذه الهرمونات على جسم الإنسان، أدى إلى الضغط الشديد على الشركة.

اضطرت شــركة وددت العالمية لغلق المصنع فترة من الوقت، ثم اتفقت مع الحكومــة على فتح المصنع للأغراض الدوائية فقط، تخصيص الإنتاج للأغراض العلاجية فقط، ولا تصرف الأدوية إلا بروشــته خاصة من الطبيب المعالج، لن تتعامل الشركة مع الأفراد سوف تتعامل مع الأطباء، لن توزع الهرمونات على الأكشــاك الصغيرة ومحلات بيع المنتجات الغذائية، كما كانت تفعل، بعد أن كانت تجارة الهرمونات تجارة ذات مكاسب كبيرة، بارت التجارة.

(٧)

بحثنـــا عـــن الجديد في الطب كنت أعلم كل ما هو جديد فيه بســـبب عملي في معامل كلية الطب وأيضا، بســـبب اطلاعي الواســـع علـــى المجلات العلمية المتخصصـــة في كل المجالات، كل جديـــدة على الطريق أعرفه حتى قبل أن يتم اختراعه.

لم أبـــذل مجهـــودا لمعرفة الجديـــد في الطب، وأخر التطـــورات في مجال الجينات والهندسة الوراثية، ومعرفة الجينوم الوراثي.

استقدمت الشـــركة بعض علماء الوراثة من داخل البلاد، ومن خارجها، أنفقت تكاليف كبيرة حتى تقيم خط إنتاج للعلاج بالجينات، كلفت الشـــركة مليارات.

لم تعط النتائج التي ترجوها الشركة، كان الأمر مقتصراً على علاج الخلل الجيـــني ومعالجته، قبل أن يصبـــح عيباً خلقياً، وبعـــض الأمراض الحالات التجميلية البسيطة مثل تغير لون العين، التقدم في علاج الأمراض بالجينات، كنت أتابعـــه جيدا في كل الدول، وخصوصا بعدما عينت نائب رئيس شـــركة وددت في مصر والمســـئول الأول عن جميع أعمالها لآن رئيس مجلس الإدارة لا يعرفه أحد إلا أنا ورئيس الشركة.

أراقـــب جيدا كل ما هـــو جديد في العلم من خلال عملي الذى ســـاعدني في مراقبـــة التقدم في كل المجـــالات العلمية، أطلب من كل العاملين في المعامل عن

الأبحاث الجديد في كل المجالات، أسجلها، أحاول تطبيقها داخل الشركة، أنسخ كل الأبحاث، أعرضها على اللجنة، التي أشرف عليها، لتطبيقها أذا كانت تستحق.

لا نظلم أحدا فنحن نقوم بتعويض الباحثين بالمال الازم لاستكمال أبحاثهم، إذا كان البحث يستحق، أما أذا كان لا يستحق يعاد البحث إلي صاحبه وما أكثر الأبحاث التي لا تستحق في مصر.

لا نستولى علي البحث بل نأخذه ونعوض صاحبه، واذا قدم شكوى فأننا نطلبه لنتصالح معه، إذا أستمر في عناده، ولم يقبل التعويض، نتقدم بكل الأدلة بأن هذا البحث يخصنا.

نحن من بدأ في تسجيله أولا، ومع ذلك لا نضيع تعب الباحثين نعطى لهم أجراً بما يساوى تعبهم في إعداد هذه الأبحاث حتى أن لم يرض بالمال، وكسب القضية، نطلب التصالح، تحدد المحكمة مبلغا من المال، نماطل ونستأنف، يخفض الحكم إلى مبلغ لا يذكر من القيمة الضخمة التي كسبت من التسويق في الاختراع، وفى النهاية يظن الباحث إنه لا جدوى من الخلاف معنا فيأتي للعمل معنا أو يتنازل عن القضية، ليربح بعض المال.

العصر الأولى عصر الهرمونات ثم أنتهى عصر الهرمونات، بدأ عصر الجينات والدكتور محمود هو أبرز عالم في الجينات والهندسة الوراثية، أخترق مجال الجينات، وأصبح من أكبر العلماء في هذا المجال، هو مؤسس علم الجينات من أجل الاستخدام، ومعمله ومركزه الذى ينتج فيه الجينات العلاجية يعتبر من أكبر المراكز البحثية في العالم في المجال.

لذلك كان لابد من استقطاب الدكتور محمود إلينا، لآنه الأمل الوحيد

لإخراج الشركة العالمية من الوضع الاقتصادي السيئ الذى وضعت فيه، وكذلك لجـذب المزيد من الأموال للشـركة، وجذب أنظار العلمـاء والناس إليها مرة أخرى.. لكى تنظر إليها المسـتثمر الأول في مجال التطوير العلمي، واسترجاع ثقة المستثمرين الذين يستثمرون ملايين الدولارات في الشركة.

أصبحت أبحاث الدكتور محمود هي الهدف الرئيسـي للشـركة، الكنز المدفون من زمن، أرادت الشـركة أن تسـتخرجه الآن، الوقت المناسـب لكى تستطيع مواجهة الظروف.

السـبب الرئيسـي لمعرفتك هو رفض الدكتور محمود للعمل معنا، عندما عرضوا عليه العرض، قال بابتسامته المعهودة وأسلوبه الهادئ:

ـــ أنه لا يترك الذين بـدأوا العمل معه، الذين كافحـوا من أجل إنجاح المشـروع من أوله، مـن رأوا البذرة وهـى تزرع ثم تروى ثـم تنمو ثم تخرج ثمارا،عندما تطرح الثمار أخذها منهم، كيف أترك المسـتوصف الصغير الذى بدأت فيه حياتي الذى أجريت فيه أول تجربة.. من أجل المال، ليس الطريق الوحيد للسـعادة، فإن السـعادة الحقيقية أنت ترى غيرك سـعيدا، وفى ثقة الناس فيك الإيمان في قدرتك على تحقيق ما هو مفيد للبشرية.

حاولنا بكافة الطرق جذبه إلينا.. لكننا لم نستطع، نرغبه أحيانا ونرهبه أحيانـا.. لكنه آبى أن يعمـل معنا، قدمنا له كل التسـهيلات، عرضنا عليه المسـاعدة المالية في أبحاثـه، عرضنا تقديـم العلاج للمرضـي بالمجان، لكى نستطيع تقديم العلاج لكافة الناس في كل مكان.

نحن شركة عالمية نستطيع نشر الفكرة في كل أنحاء الأرض، بينما أنت في مسـتوصفك الصغير المحدود لا يمكن تقديم العلاج لكل الناس يبدو أن الفكرة

أعجبته، صمت، تركنا، أتى بعد أيام يعتذر عن العمل معا بسبب انشغاله، وبرر موقفه إنه يوجد العديد من بنوك الجينات والمراكز البحثية التي تعمل على تطوير الجينات في البلاد تستطيع العمل مع أي منها.

في هذه اللحظة صرخ راجز، قائلا:

ـــ لا أستطيع تركه، لأن الإدارة في الخارج تريد العمل معه، لآنه يعرف عدد البروتينات داخل كل جين وتأثيره على الصفة، والجينات المرتبطة ببعضها.

صمت قليلا ثم أدار وجهه، ثم استطرد:

ـــ نحن نريد المساعدة يا دكتور ناصر.

أراد الدكتور أن يتدارك الأمر، سأله بخبث:

ـــ ماذا أستفيد من العمل معكم في المركز.

ظن نائب المدير أنه أستمال الدكتور ناصر إليه رد قائلا:

ـــ أطلب ما تريد يا دكتور محمود سوف أنفذه لك.

قبل أن ينهى كلماته قال الدكتور محمود :

ـ ماذا أفعل في أصدقائي الذين أعمل معهم منذ أن كنا طلبة ؟ ماذا أفعل في الناس المنتظرين نتائج أبحاثي ؟

جلس نائب المدير على مكتبه الفضي اللون، قال:

ـ أطلب ما تريد.

حاول الدكتور محمود أن ينهى الكلام معه:

ـــ لي أصدقاء سوف أستشيرهم في الأمر.

انتظرت الدكتور محمود طويلا لم يأت إلينا، حاولنا الاتصال به لم يرد

علينـــا، لذلك لجأنا إليـــك فأنت مدير الإنتاج في المركز الـــذى يمتلكه الدكتور محمود ومن وأصدقائه، تعـــرف كل ذرة داخل المركز، كل تركيبة كيميائية، فكرنا فيك أولا نحن نريد المساعدة في إخراجنا مما نحن فيه.

رد الدكتور ناصر قائلا:

ـ ماذا أستفيد من العمل معكم ؟

رد عليه راجز في ثقة:

ـ أطلب ما تريده سوف ننفذه لك.

قال الدكتور عبد الناصر:

ـ لا أريد أن أخذ أكثر من حقي أريد ٢٥٪ من المكسب.

ـ هذا مبلغ كبير لا أســتطيع أن أرد عليك فيه الآن، ســوف أبلغ مجلس الإدارة وهو من يوافق على طلبك أو يرفضه.

ترك الدكتور عبدالناصر راجز والشــركة، يلوم نفسه، ويتمنى أن يرفض راجز العرض، يؤنبه ضميره على خيانة صديقه القديم. الذى منحه ثقته، لن يقبـــل أن يكون مثل الحيوان الضال الذى يســـرق طعام أخوته من أجل أن يأكل هـــو، لن أكون مثل الذئب الذى يهادن الأغنـــام حتى يغتنم الفرصة، ليفترس أحدها.

هـــل حبه إلى هذه المرأة، ألقى به في هذا الطريق؟ هل الحب يكيف الحياة كما يشـــاء؟ أم الحياة هي التي تكيف الحب ؟ أم غيرته من صديقه الذى أصبح عالمـــا له أسمه المعروف في الحياة العلمية، أم ظروف الحياة جعلته يوافق علي هـــذا العرض، الظروف جعلته فريســـة للخيانة، وافق على العمل مع شـــركة وددت ومع راجز.. لكنه قدم عرض لا يمكن لهذه الشركة الموافقة عليه، كيف

يأخذ ٢٥ ٪ من الأرباح، وماذا سوف تأخذه الشركة نفسها؟

لكنــه فوجئ في اليوم التالي بالتليفــون المحمول يرن، ليجد راجز يؤكد أن الشركة قد قبلت عرضه.. لكنهم طلبوا منه أن يستمر في العمل مع الدكتور محمود حتى يســتطيع جلــب كل ما هو جديد عنده.. لكنه رفض الاســتمرار في العمــل مع الدكتور محمود، أكــد لهم إنه قادر على العمل وحده هو يعرف كل ما هو جديد في الجينات، يســتطيع تحديد الجين المسئول عن الصفة بدقة واســتخلاصه وزراعته داخل المريض، والتغيير فيه أكثر من أي شخص آخر، يســتطع التحكم في الصفة السلوكية أو الصفة الخلقية لآن DNA يحمل الصفة الخلقية والصفة السلوكية، الجينات مصنع ضخم للصفات داخل الكائن الحي، هي تحمل الصفة السلوكية مثل الشجاعة والبخل والكرم التوتر العنف العطف كل الســلوكيات الموجودة داخل الكائن الحي تحملها الجينات بنســب معين، وتحمــل الصفات الأخرى مثل الطــول لون العين لتكون نســق خاص بالكائن الحي، أكد له راجز إنه لا يريد إلا تطوير الشركة وإعادة ثقة الناس فيها.

(٨)

يحــاول الضوء أن يتخلل بين الأجزاء حتي يــرى الثقب الضيق ليمر من خلالــه، ينير البيت المظلــم، ويقبض علي منافذ الأشــياء، يثور علي الأيام، ليجــد الدنيا الجديدة، يبني فيهــا ليصل إلي مداه، ثم يســد الثقب الضيق، يضمحل ويخبو حتي يتلاشى.

فكــر كيف يترك العمل عند الدكتور محمود بدون أن يعرف بانه ســوف يعمــل مع شــركة وددت، التي طالما انتقداها معا، انتقــدا طريقة تعاملها مع الناس، سمها شــركة اســتثمارية، لا يهمهــا إلا الربح، مهمــا كانت حالة الإنســان، تتعامــل في ما يخــص الدواء والعــلاج، لا تراعى حالة الإنســان، تستخدم كل الطرق لتنفيذ ما تريده.

يفكر ما الطريقة التي يخرج بها، أختلق مشكلة بينه وبين أحد مساعديه الدكتــور حليم مــن الاطباء في صناعة وتركيب جــين، أبتكر طريقة جديدة في تركيب الجين، وقف الدكتور عبد الناصر في وسط المعمل وقال:

سوف تنفذ الطريق علي الإنسان.

صرخ الدكتور حليم قائلا:

يا دكتور لا بد أن نجربها أولا علي الحيوان.

ــ كيف تصرخ هكذا، ســوف تجرى علي الإنسان، نحن جربنا كثيرا من الجينات علي الإنسان ثبتت نجاحها ولن ننفذ الجينات.

ـ أنا أسف يا دكتور.. ولكن لا بد أن تنفذ علي الحيوان أولا.

أحتكم الأثنان إلى الدكتور محمود، أيد بدوره رأى الدكتور حليم، آثار غضب الدكتور ناصر، طلب إجازة من العمل لمدة أسبوع لظروفه الصحية، رفض الدكتور محمود طلبه، فتطاول الدكتور عبد الناصر بالكلمات على الدكتور حليم أمام محمود، آثار ذلك غضب محمود، ترك المكان ذهب، بادله حليم بنفس الألفاظ، وتراشقا بالألفاظ كأنهما حيوانان يتصارعان على اغتنام فريسة واحدة، لم يكن يعلم الدكتور الحليم أن الدكتور ناصر يؤدى دورا في مسرحية هزلية هو مؤلفها.. لكى يترك العمل في المركز الطبي لدى الشركة، عاد الدكتور محمود سريعا لكى ينهى الموقف فصاح بأعلى صوته:

ـ نحن في مركز طبى لسنا في سوق لبيع الحيوانات.

فالتزام الأثنان الصمت.. ولكن الدكتور ناصر نظر بعينه إليه، حاول أن يتعدى على الموظف بيده، في هذه اللحظة، تدخل الدكتور محمود محاولا إيقاف الدكتور ناصر صاح:

ـ من فضلك توقف يا دكتور.

أنسحب الدكتور عبد الناصر إلى مكتبه وهو يردد:

ـ تهددني يا دكتور محمود.

خلع قميصه الأبيض ودخل إلى مكتبه مهرولا، ترك باب غرفته مفتوحا لكى يراه الدكتور محمود، أمسك بورقة وقلم، تركه الدكتور محمود يفعل ما يريد ولم يتدخل حتى لا يتطور الأمر، يصبح أكثر تعقيداً.

فضل الدكتور محمود أن ينتظر حتى يهدأ، فأن التسخين يزيد من قدرة

المواد على التفاعل بين المواد في حالتها الطبيعية، تكون أقل ميلاً إلى التفاعل، لم يعتقد أبدا أنه يكتبه استقالته.

بعض دقائق محدودة من دخول مكتبه خرج مسرعا ولوح بيده، أعطى الدكتور محمود ورقة، ظن الدكتور أنها ورقة مكتوب فيه مطالبه من القسم.. كما يفعل دائما لذلك، لم يفتحها، تركه يذهب.

كيف يعترض طريق ثور هاج، لا يعرف ما حوله، يهاجم علي كل من يقابله، أنتظر حتى يذهب، عندما دخل مكتبه فتح الورقة التي أعطاها له، فوجئ أنه يقدم استقالته، يعلم الدكتور محمود بأن الدكتور ناصر ينفعل كثيرا.

لكنه بعد فترة من الوقت، يعود إلى طبيعته الهادئة التي تميزه يعود إلى الصفاء كالمياه، عندما تمر بين الوديان والسهول فأنها تكون مزمجره تجرف كل ما يقابلها من أمامها ثم تهدأ، وتعود إلى صفائها ونعومتها وجريانها الهادئ، كذلك الدكتور عبد الناصر ينفعل ويعود مرة أخرى إلى حالته الطبيعية.

العلاقة بينهما ليس لها حد فاصل، العلاقة علاقة أخوة، علاقة تماسك، مودة، تكامل، علاقة تربطهم معا برابط من الحديد الذى لا يصدأ أبدا.. ولكن دخل بينهما الطمع فمزق العلاقة فيما بينهما.

شهوة السيطرة التي لا يستطيع الإنسان التغلب عليها، شهوة النساء هي الشهوة المطبوعة في جسم الإنسان، تزيده أو تضره، ترك الدكتور عند الناصر المركز الطبي، ولم يعد إليه كما توقع الدكتور محمود.

طلب الدكتور ناصر نقله من عمله إلى مستشفى أخرى، بعيدة عن الدكتور

محمـود، قلقل الدكتور عليه، أحـس أنه يريد أن يختبأ منه لعله يخجل مما فعلـه في المركز الطبي، فبادر بالسـؤال عليه عدة مـرات، أتصل على تليفونه المحول، أتصل بتليفون المنزل.. لكن لا مجيب.

كأن السـماء فتحت وأخذتـه، كرر الدكتور الاتصال عـدة مرات.. لكنه آبى أن يـرد عليه، انتظر الدكتور فترة من الوقت، عاود الاتصال، لعله يعيد بكلمات الاعتذار علاقة الصداقة المقطوعة بينهما، في هذه المرة كان الاتصال من رقم تليفون آخر، أجاب على التليفون هذه المرة.. لكن بأسـلوب حاد، قاطع، أقسم:

ـ لن أعود للعمل مرة أخرى في المركز الطبي.

ـ وإنه التحق بالعمل في شـركة عالميـة كبرى تعمل في كل المجالات ولها خبرة واسـعة في الأدوية والعلاج بالجينات، أباشـر عملـي بها الآن، أنتظر الدكتور محمود لعل الوقت يشـفى الجروح الملتهبة، فكم من الجبال الثلجية التي ذابت بمرور الوقت، وتكسرت إلى مياه، وكم من أحجار صخرية تكسرت إلى أشلاء بسيطة، تناثرت إلي ذرات ترابية صغيرة ثم إلى ذرات غبار وطارت في الهـواء، الوقـت العامـل الأول في العلاقات الإنسـانية، يحـدد معالمها، ومكوناتها، فوجـئ الدكتور محمود بعد فترة بإعلان عن تكوين مركز للعلاج باسـتخدام الجينات، بدأت بالعمليات الصغيرة مثل تغير لون العين بدلا من العدسات اللاصقة، تغير لون البشرة. هذه الجينات مرتبطة بجينات أخرى، عندما تتم عملية الربط، يتم تهيئة الجسـم للعملية، تحويله إلى الحالة التي يتمكن فيها الجين الأصلي من القيام بعمله، حتى وأن كان مرتبط بجين أخرى يتم تهيئة الجينات للعمل بإعداد الهرمونات والأنزيمات المناسبة لهذه الجين

لو كان مرتبطاً بسن معين، يتم تهيئة الجسم وإعداد جميع العمليات الحيوية الـتي كان الجسـم يقوم بها في هذا السـن، يتم إعـداد كل العمليات الحيوية للجين.

عندمـا بدأ العمل في مركز الشـركة الجديد اختـاروا أن تكون العمليات التي تجذب طبقة الأغنياء، وبدأوا بعمليات التجميل مثل عملية تكبير الثدي للسـيدات وتصغيره وعمليات تغير لون البشـرة ونعومة الجلد العمليات التي تجلب الثراء السـريع، هذه الجينات وغيرها تم اكتشاف الشفرة الجينية لها ودراسـتها وإعداد الخريطة الجينية لها والجينـات المرتبطة بكل جين على حدى.

أُجريـت العمليـات الأولى لرجال الاعمـال، لأنهم من يسـتطيعون دفع تكاليـف العـلاج الباهظة الثمن. توافـد على المركز الطـبي العديد من رجال الأعمال من كل مكان على مستوى الكرة الأرضية.

أن العسـل يطير إليه الذباب من كل الأجـواء، انجرفت وراء الإغراءات أكبر ممثلة في الشرق الأوسط وكذلك أكبر مخرج، فالممثلة تعانى من كبر أنفها أكثر من المعتاد كما ترى، المرأة التي يراها الكثيرون مثالا للجمال الدائم الذى لا يموت أبدا. ترى نفسـها قبيحة بهـذا الأنف الكبير، لا ينقص جمالها إلا حجم الأنف الزائد، الذى يضفى على شـكلها بعـض الحزن، أتت إلي المركز قابلت الدكتور عبد الناصر وقف ترحيبا لها،قالت له:

يا دكتور أريد تصغير حجم الأنف.

أجرت العملية الجراحية، في بدء الأمر أظهرت النتائج نجاحاً مبهراً لم

يسبق أن حققته عملية جراحية أخرى من قبل. عدلت جينات حجم الأنف، ثم أعيدت زراعتها مرة أخرى في الخريطة الجينية لجينات المرأة، أخذت أفضل جين لحجم الأنف من بنك الجينات الموجود في المركز الطبي، أخترت الحجم الذى تريده، الذى يظهر جمالها الفائق، أصبحت الممثلة التي تسمى الملكة أكثر جمالاً، بعد أن ظهرت نتيجة العملية، مما ضاعف الطلب على المركز الطبي، الذى تملكه شركة وددت العالمية. زادت ثقة الناس في قدرتهم الفائقة على العلاج بواسطة الجينات، حتى بعض الساسة الكبار تواردت على الشركة.

قدم إلى المركز الأستاذ بهير رئيس حزب البيان والامتحان ومؤسسة الحزب، أكبر حزب معارض في البلاد، يعتبر الحزب الثاني في البلاد الذى تتعلق به أمال الناس في الخروج من الأزمة المالية الطاحنة التي تتعرض لها.

قصر القامة هو المرض الذى يعانى منه رئيس الحزب، ظن أن من الممكن أن يغير من طوله، حتى يكون بلا عيب يستطيع أن ينافس في الانتخابات القادمة، هذا ما تخيله، لم يظن أبدا أن الأفضل له يقدم الحل الأمثل للقضاء على الأزمات، التي يعانى منها الناس على ارتفاع الأسعار وزيادة الديون الخارجية.. لكن كل ما يشغل ذهنه مظهره أمام الناس، أتى إلى المركز قابله الدكتور عبد الناصر ظن أنه أتي ليفقد المكان قال:

ـ أهلا بك يا سيدى في المركز.

ـ جئت لأرى المكان، وأعرف ماذا يمكن أن تفعلوا ؟

ـ تستطيع أن نغير في الجسم.

ـ أريد أن أصبح أطولا قليلا.

ـــ لك ما تريـــد، ولكن أنت رئيس حزب البيـــان والامتحان، كبرت علي ذلك، لماذا تفعل ذلك الآن ؟

ـ يـــا دكتور الناس تضحك علي قصر قامة، لعل أكســـب الأصوات بعد أن أصبح طويل القامة.

ـ العلاج ممكن في مركزنا، ولكن سيكلفك الكثير من المال.

ـــ خذ ما تريد من المال، ولكني أريد أجراء العملية سرا.

ـ العملية غير مضمونة، وتحتاج إلى رعاية لمدة سنتين.

يضطر في المقابلات التليفزيونية إلى الوقوف على حامل خشـــبي، لتعويض فارق الطـــول بينه وبين المذيعة التي تقدم البرنامج، لا يظهر كثيرا واقفا أمام الكامـــيرات.. حتـــى أصدقاءه لا يتصـــور معهم وهم يقفون بالقـــرب منه، بل يتصـــور معهم وهم جلوس، لا يظهر كثيرا إلا وهو جالس خلف مكتبه الضخم في شركته الكبيرة، التي ورثها عن والديه.

عرض نفســـه على العديد من الأطباء وهو صغير.. لكن لم يســـتطع أحد أن يقدم له يد العون. وجد الفرصة المناسبة، عندما شاهد الإعلانات عن العملية، قـــرر أن يتقـــدم للعلاج في المركز ولـــو كلفه الأمر كل ما يملـــك، لأنه لا يمكن التحكم في الجين بعد عملية الاســـتقرار واكتمال عملية النمو، يحتاج الطبيب إلى إجراءات خاصة لتهيئة الجسم لإعادة عمل الجين مرة أخرى.

جين الطول يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمر، الطول يســـتقر عند عمر معين.. لكى يســـتعيد الجين نشاطه، لا بد إلى تهيئة الجســـم للحال التي يعمل فيها الجين، ولا بد من فحص شـــامل للجسم يحتاج الجسم إلى استعداد كامل لتقبل

الجين الجديد، ويستعيد الجسم حالته التي كان عليها عند وقت عمل الجين. ويتم فرز جميع الأنزيمات الخاصة التي تساعد الجين على العمل.

أتم الدكتـــور عبد الناصر الإعداد للعملية، أعـــد حجرة العمليات لإجراء العملية، اصطحب معه طاقم الأطباء المســـاعدين له، خدر الأستاذ بهير رئيس الحزب لكي يُجري العملية، أتى متخفياً، لم يُطلع أحداً على ســـره إلا صديقه الشـــخصية الذى كان حلقة الوصل بينه وبين الشركة، الدكتور ساهر ومؤسس الحزب، قال له الدكتور عبد الناصر:

ـــ العملية تحتاج علاج ومتابعة لمدة سنتين بعد أجراء العملية.

يحتاج الجسم إلى فترة حتى يتأثر الجسم بالتغير الجيني، يحدث التغير الجسمي المناســـب وتتأثر بقية أعضاء الجسم بهذا التغير، والوقت هو العامل الأساســـي في ظهور نتائج هذه العمليـــة، دخل الدكتور عبد الناصر وطاقمه إلى حجرة العمليات، أجري العملية إلى المريض بعد أن هيأ الجســـم لها، أســـتمر الأســـتاذ بهير تحت الرعاية الخاص في المركـــز الطبي لمعرفة جميع التغيرات الـــتي تحدث في الجســـم، أكد الأطباء أنه يجـــب أن ينتظر تحت الملاحظة لمدة ســـنتين، التزم الجميع بسرية العملية، كان كل ما يقال إلى الأعلام أن الاستاذ مريـــض بمرض خاص، يحتـــاج إلى الراحة التامة، اســـتمر العـــلاج فترة من الوقـــت، بدأ بهير في التعـــافي، ظهر في الإعلام.. لكنه اســـتمر في الذهاب إلى المركـــز في مواعيد ثابتة محـــددة، لم تأت النتائج المرجوة ســـريعاً لآن الجين يحتـــاج إلى الوقت، انشـــغل في عمله، انقطع عن الذهـــاب إلى المركز، ذهب إلى المركز منفعلا، قال يلوم ناصر:

ـــ مضي سنة ولم تظهر نتائج العملية.

ـ العملية تحتاج فترة من الوقت لكي تظهر نتائجها.

ـ لم تقل لي هذا قبل ذلك.

ـ نبهتك إلى ذلك عندما أجريت لك العملية.

ـ هل فشلت العملية.

ـ لا، لكن لا بد أن تداوم على العلاج لمدة سنتين، حتي تظهر النتائج.

ـ لا بد أن انتظر لمدة سنتين.

الشاب يحتاج إلى خمس عشرة عاما حتى يستقر في الطول. بينما نحن نقوم بالعملية، تظهر النتائج بعد حوالى سـنتين، إذا أردت أن تتأكد من النتائج، انتظر. بعد فترة أجريت العملية لشـاب صغـير، يعانى من قصر القامة. قال لها الدكتور ناصر:

ـ انتظر حتي تظهر نتائج العملية التي أجريت للشاب.

يمكـن أن تنتظر حتى تظهر النتائج،أنتظر الأسـتاذ بهير حتى يرى ما يحدث للشـاب. بعد سـنة من أجراء العملية ظهرت النتائج المبهرة للشاب، أصبح أكثر طولا بحوالي أكثر من ٢٥ سم، استمر في العلاج، بدأ المركز يعطيه العـلاج لكـى يتم التوازن بين طولـه ووزنه، لكى يصبح أكثـر حيوية عندما علم الاسـتاذ بهير، قرر أن يعيد إجراء العملية، أستعد لذلك، قرر أن يترك الحـزب إلى نائبه، يتوارى عن الأنظار حتى يجرى العملية، وتظهر نتائجها الإيجابية. ظل صديقه الوحيد الدكتور سـاهر حلقة الوصل بينه وبين عمله، ينقل أوامره إلى أعضاء حزبه وإلى جميع العاملين في شركته، يحفظ سره، يبعد الإعلام عنه.

يستمر هو في علاجه، أستمر في المواظبة على الحضور والمداومة على العلاج

لمدة سنتين، يختفى عن أعين الصحاف والصحفيين وعن كاميرات التلفاز التي تراوده، يختفى عن أعين الناس جميعا، لم يذهب إلى الحزب الذى يترأسه، بعد استقرار حالته النفسية والصحية، تواصل مع اعضاء الحزب،

ظهر بعد حوالي سنتين تقرب منهم واحدا تلو الآخر، عندما شاهدوه، وجدوه بصورة أخرى أكثر طولا وأكثر فخامة وأكثر جمالا في الوهلة الاولى.

حين بدا، ظن الجميع أنه ليس هو، أصابهم الفزع والخوف بعض الوقت حتى أطمأن الجميع، حكى صديقه للجميع أنه أجرى عملية بالجينات لكى يصبح أكثر طولا، رجع الجميع إلى شخصية الرجل قبل أن يخضع إلى العملية، أسترجع الجميع صفاته التي كان يتحلى بها، وتم معالجتها في ذاكرتهم الخاصة، وجدوها مطابقة لصفات هذا الرجل، البسمة البسيطة، الكلام باتزان، الشخصية الصارمة، هذه صفات الرجل، الكل يسأل:

ـ ماذا حدث له؟

بدأوا يتهامسون مع بعضهم:

ـ خضع إلى عملية باستخدام الجينات في مشفى وددت العالمية.

فوجئ الجميع بالفكرة الجديدة، السؤال الذى يتهامس به الجميع في الأذهان:

ـ كيف يستطيع الإنسان التغير في خصائص الأنسان ؟

وبعد أن شاهدوا الأستاذ بهير، صدق الجميع بتغير الصفات الموجودة في الأنسان حتى أعضاء الحزب، عقدوا جمعية عمومية لاختيار رئيس للحزب، جلس الأعضاء يتهامسون يتشاورون معا في أمر الرئيس الجديد ويتسألون:

من سوف يرشح نفسه للرئيس ؟

وقــف بينهم مؤيدو الأســتاذ بهــير، يذكرون الجميع بأعماله الســابقة وأفضاله على الحزب، كيف أســتطاع أن يجعله من حزب صغير إلى ثاني أكبر حزب في البلاد؟

فتح باب الترشــيح لرئاسة الحزب، في خطوات واثقة وقف بهير بينهم، يقدم نفسه للترشيح للرئاســة ومن خلفه مؤيدوه، وقف أمام الجميع، يعرف كيف يؤثر علي كل الأعضــاء ومعه مفاتيح كل عضو منهم، يعرف كيف يفتح كل الأبــواب وكيــف يغلق هذه الأبــواب، معه مفاتيــح كل الأبواب، مارس السياسة منذ الصغر، عرف كل الخفايا الخاصة بها.

في هذه المرة لم يستطع أحدا أن يتغامز عليه أو ينم، أصبح مهاب الجانب واثقا من نفسه، أستطاع أن يجذب جميع الأعضاء إليه، أصبح مثل الأسد الذى يخشاه الجميع.. لكن كلماته المؤثرة ونبراته القوية جعلته الزعيم القوي الذى يســتطيع قيادة الحــزب ويجعله الأقوى في البلاد تم اختياره رئيســا للحزب بالإجمــاع بدون اعتراض، عاد رجــل الحزب الأول.. لكن بعــد التغيير، لم يصــدق الكثيرون أنه نفس الرجل القديــم القصير القامة، إلا بعد أن ذيع خبر خضوعــه إلى عمليــة تجميلية باســتخدام الجينات، أعجــب البعض بالفكرة وعــارض البعض الفكــرة، اعتبروها تدخل في خلق الإنســان الــذى خلقه الله وكرمه، زات من شهرة المركز الخاص بالجينات في شركة وددت العالمية.

(٩)

الــوردة إن ذبلت لابد تزهو وتزدهر، تعــود إلى زينتها وألونها المتفتحة الزاهية بعد فترة من الوقت، تزيد من نقاء الجو الذى تعيش فيه، تســاهم في طمأنت الناس علي حياتهم، تساهم في السعادة.

تأثــر مركز الدكتور محمود، لغياب الدكتــور عبد الناصر رئيس الإنتاج والرجل الثاني في المركز، المنفذ الأول لكل الأفكار الخاصة، ظن الدكتور محمود أن النجوم ســوف تعود للظهور بعد أن تخفيهــا النجوم، تخفيها الغيوم، لو حجب نورها شــهوراً، أشــتهر مركز وددت للجينات، توارى مركز محمود قليلا، تحول الناس إلى مركز الشــركة، فقــد مركز الدكتور محمود كثيرا من المترددييــن عليه، أنتقل الكثير من العاملين في مركز الدكتور محمود إلى العمل لدى شركة وددت العالمية، لم يتبق في المركز إلا أصدقاء الدكتور وبعض محبيه من العاملين، لم يســتطع أن يمنحهــم رواتبهم، أجتمع الدكتور محمود وقف بينهم، يقول:

ــ لن أستطيع، أن أدفع لكم نفس الرواتب التي كنتم تأخذونها.

صاح الجميع ردا على كلماته:

ــ نحن سنعمل معك بدون راتب.

ــ سوف تتعبون معي كثيراً، لآنى سوف أحول نشاطي.

ــ نحن معك يا دكتور تحت كل الظروف.

أصــروا إلى العمل في مركز الشــركة العالمية أو التوقــف عن العمل، حول الدكتــور محمود نشــاط مركزه، بدأ في تجربــة أخرى، حــاول أن يقوم بها منذ ســنوات.. الأعضاء البديلة من خلايا صناعيــة، فكرته الأولى التي حاول أن ينفذها، استنســاخ أعضــاء مماثلة للأعضاء الحية مــن خلايا صناعية غير حية، بدأت الفكرة باســتخدام خلية صناعية يتم فيها زراعة جينات الخلية الحيــة، تزرع الخريطــة الجينة التي تحمل جميع الصفــات الوراثية للعضو المراد صناعته داخل الخلية الصناعية، تهيئة جميع الظروف لتكاثرها تجمع الخلايا معا حتى تحول إلي نســيج، تحول إلى عضــو، تزرع في أي كائن حي يحتاج إلى العضو، تســتخدم هذه التقنية الجديــدة في صناعة الأعضاء البديلة للأعضــاء المفقودة نتيجــة حادثة ما أو الأعضاء المبتــورة نتيجة مرض معين، تنجح الأعضاء المزروعة، اشــتهر مركــز الدكتور محمود مرة أخرى، تناقلت وســائل الإعلام قدرة الدكتور على علاج الأعضاء المفقودة واستعادتها، بإجراء عملية جراحية بســيطة وكذلك علاج الأعضاء غير مكتملة النمو، عادت شهرة مركــز محمود.. لكن راجز لم يترك الدكتــور محمود، اجتمع مع عبد ناصر، قال له:

ــ اقمنا الشركة لكي ننفذ جميع التجارب علي الجينات ؟ كيف لمركز آخر السبق في تجاربنا،

ــ يا دكتور نحن نقوم بما نستطيع فعله.

ــ كنت المساعد الرئيسي للدكتور محمود، تعرف كل تجاربه.

ــ نعم أعرف كل ما يفعله.

ــ يجب أن تنقل كل تقنيته يقوم بها إلي مركزنا،

لم يكــن من الصعب عليه صناعة أعضاء بديلة من خلية حية فقام بصناعة الأعضاء البديلة من الخلية الحية. فكر الدكتور ناصر قليلا ثم قال:

يا دكتور علم الجينات واسع، يوجد حوالى ٣ مليار جين في الخلية الحية ويحمل كل جين صفة معينة، قد تكون هذه الصفة صفة جسدية أو صفة خلقية الدكتــور محمود يعلم الصفة التي يحملها كل جين مــن هذه الجينات.. لآنه تخصــص في علم الجينات، يعلــم الجين الذى يحمل صفة جســدية مثل صفة الطول ولون العينين ولون البشرة، والجين الذى يحمل صفة خلقية مثل الكرم والشجاعة الحب والكره، درسها جيدا، عرف جميع الروابط التي بينها وعلم أن هناك تناسق تام بين تلك الجينات.

تعجب راجز من كلمات الدكتور ناصر قائلا:

ــ هل تقصد يا دكتور أن الطول يرتبط بالكرم.

فسر الدكتور ناصر له، قائلا:

ــ ترتبط الجنيــات بعضها البعض بروابط كيمائيــة وروابط فيزيائية أو روابط جينية أو روابط معنوية، يحددها تركيب كل جين وأخر، الروابط بين الجينات، تحدد درجة الصفة في الإنسان. بعض الصفات تؤثر في بعضها، مثل لون العين ولون البشرة.

قال راجز:

هل الصفات الخلقية تتأثر ببعضها ببعض؟

ــ يا دكتور الصفات الخلقيــة تتأثر بمجموعة من الجينات بحيث تقل أو تزداد، مثل حــرارة الجو تزداد بزيادة الرطوبة، وتقــل بقلة الرطوبة كذلك

صفــة الكرم لدى الإنســان تزداد مــرة وتفتر مرة أخرى تصــل إلى القمة تارة وتهوى إلى القاع تارة أخرى، هناك درجات في الصفة الخلقية، يأخذ كل إنسان درجة من هذه الدرجات.

(١٠)

الحــب يتأثر بالهمــوم، يضيع الحــب أذا زادت الهمــوم، يعود الحب إلى الحيــاة أذا قلــت الهموم، جــين الحب يتأثر ويؤثــر في الجينات المعنوية الاخــرى، تتأثر الجينات ببعضهــا لحدوث تكامل وينتــج كائن حي مكتمل الصفات الوراثية وهذه الصفــات مرتبطة معا بروابط، يظهر في الحياة نتيجة الروابط بين تلك الجينات، زراعة جين النمو في جســم إنســان، تظهر الصفة النهائية الناتجة من الروابط بين الجينات.

أتي رئيس الحزب إلى المركز مرة أخرى، صمم علي إعادة أجراء العملية، قابل الدكتور عبد الناصر، يقول:

سوف أفعل ما أريد.

ــ يجب أن نزرع الجين لك مرة أخرى.

ــ هل العملية ليس لها تأثيرات جانبية؟.

ــ العملية بسيطة، لكن يجب تهيئة الجسم لعمل جين النمو، وإعادة عمل الجينات المرتبطة مع جين النمو مرة أخرى.

ــ هل ستستغرق وقتا كبيرا.

ــــ لن تأخذ وقتا كبيرا.

أجــرى العملية، ظهــرت النتائج المبهــرة التي لم يكــن يتوقعها جميع العلماء، اســتقرت حالة رئيس الحزب الجديد المنتخب إلا أن بعض الجينات

المرتبطة بجين النمو تأثرت بتأثيرات بالغة، تغير لون وجهه، تغير حجمه.

خرج الاستاذ نير من المركز الطبي بعد أربع أشهر، قال له الدكتور ناصر:

ـــ نجحت العملية نجاحا باهراً، لم أكن أتوقعه.

ـ شكرا يا دكتور.

وقف الأستاذ، وجد نفسه أكثر طولا. هز رأسه، ابتسم وهز رأسه للدكتور عبد الناصر، استطرد:

لم أكن أتوقع أن أصبح بهذا الطول.. لكن التغيرات التي حدثت بجسمي ماذا أفعل بها؟

ـــ هذه التغيرات سوف تزول بالعلاج.

أزداد حجم الأستاذ بهير بدرجة كبيرة وتغير شكل الأنف، كثافة الشعر.. لآن هناك جينات ترتبط بعمر معين، وعند إعادة الجسم إلى الحالة التي يعمل فيها جين النمو، عادت باقي الجينات العمل تلقائيا، دون تدخل من الدكتور عبد الناصر، تغير لون العين إلى اللون الأخضر، أصبح مثل ثمرة البلح، تتحول إلى اللون الأصفر عند بدء النضج، تتحول بعد ذلك إلى اللون البنى أو الأسود عند النضج، مثل مراحل نمو الثمار كذلك ساق النبات، توجد له مراحل للنمو، جسم الأنسان له مراحل نمو مختلفة، تتأثر كل منها بالعمر، تحوّل رئيس الحزب إلى مسخ، زاد حجمه تغير لون العين. عاد الاستاذ بهير إلى المركز مرة أخرى بعد تغير في صفاته، يصرخ داخل المركز:

ـ يا دكتور عبد الناصر، ما هذا.

ـــ لا تخف يا أستاذ بهير، سوف تزول كل التغيرات بالعلاج.

يستطع الدكتور عبد الناصر أن يقاوم التغير في جسم الأستاذ نير،

جمع الأطباء المتخصصين في الجينات لدارسات حالة بهير، حاول الجميع مد يد العون إلى الدكتور عبد الناصر، ولكن عجز الجميع من تغيير حالة الاستاذ بهير، أو اكتشاف الخلل الذى حدث في الحالة، ليتمكن الآخرين من معالجتها حتى لأطباء الذين قدموا معه من مركز الدكتور محمود لم يكتشفوا الأمر، قال له الأطباء:

ـــ لا بد أن تعرض الأمر علي الدكتور محمود هو الوحيد الذى يعرف الخرائط الجينية للجينات.

بعد فترة من تدهور حالة الأستاذ نير، ظهرت بعض التغيرات على الممثلة المشهورة التي أجرت عملية تصغير الأنف، أتت إلى المركز بعد تحول الأنف إلى حبة صغيرة مثل فص الذرة الصغير الموجود في القولحة، أصبح أقل كثيراً مما تريده، زاد حجم العين، وقل حجم الحاجبين تغيرت بعض الجينات التي لم يكن الدكتور عبد الناصر يعلم بها أو مساعده، أصبح شكل الوجه مثل ثمرة الفاكهة الكبيرة لها جزء صغير مدبب الشكل بارز من الأمام، دلفت إلى مركز وددت الطبي، تشكو، لا تعرف ما السبب، دخلت المكتب على الدكتور عبد الناصر لم يصدق ما يحدث أمامه، وقف من على كرسيه، يسألها متعجبا:

ـــ ماذا حدث؟

رددت عليه باستنكار تلومه:

ـ تسألني.

ـــ هل أنا الذى أجريت العملية أم أنت يا دكتور ؟

لم يحاول أي يجادلها، تقدم إليها ليتفحص وجهها المنتفخ.. لكى يهدأ

من حالة التوتر النفسية التي أصابتها والهلع من شكلها المخزي أشار إليها متعجلا:

ـ تعالى.

سألته في دهشة:

ـ إلى أين يا دكتور؟

إلى غرفة العمليات يا سيدتي، لنري ماذا يحدث.

حاول أن يهدئ من توتر الممثلة، زادت من أضرابها بعد أن جلست لمدة حوالى ساعتين في غرفة العمليات، ينظر إليها، لا يستطيع أحد أن يقدم لها المساعدة، استسلمت إلى حالها، نصحها الدكتور عبد الناصر أن تجلس في المركز، ليجدوا حلا في مشكلتها، لتعود إلى حالتها الطبيعية، هدأ من روعها، وجدت الأستاذ بهير يجلس على أحد الأسر، ينتظر العلاج هو معتادا على الظروف القاسية، يبدوا متماسكا.. لكنه مثل الإناء الذى يغلى على الوقود مع تأخر العلاج. تأخر حالته، زاد توتره أجتمع الأثنان في غرفة واحدة، كان قرار خاطئ، تشاورا فيما يفعلاه، نصحت الممثلة بهير، قائلة:

نقيم دعوى قضائية ضد المركز الطبي. سوف أجعل مساعدي أسر يقيم الدعوة.

ـ متي سوف تفعل ذلك.

ـ يوم أو يومان وأقيم الدعوي.

ـ أجعل الأمر سرا، حتي يستمروا في العلاج.

ـ لن يكتشفوا الأمر إلى بعد إقامة الدعوي، سوف يعالجون مرغمين.

أُعلن المركز بالدعوة القضائية، يتردد اسم المركز كثيراً في وسائل الإعلام،

صنعــوا حلقات كاملة عن مدى جــدوي العلاج بالجينات، توقف المركز الطبي عن العمــل، وزادت المطالبة بإغلاقــه نهائياً، أدرك الدكتــور راجز أن عليه التصالح مع الممثلة والأســتاذ بهير، أخذ موقف اللين، أطمع الأثنان في العلاج السريع حثهم على الصبر قليلاً، ووافق على شروطهم للتصالح، قدم إليهم كل التنازلات الممكنة، فاقت رغبتهم في العلاج، رغبتهم في الانتقام، قررا الصبر على الشــركة حتى يعودا إلى ما كان عليه، حاول الدكتور عبد الناصر الوصول سبب التغيرات، أجرى بعض التجارب مع معاونيه في المركز.. لكن بلا جدوى فالصفات الوراثية تغيرت كلها:

كيف يعيدها إلى حالتها الأولى ؟

سأل نفسه هذا السؤال.

(١١)

عليــه اللجوء إلى الدكتور محمود، ليعــرف ما يحدث من تغيرات داخل الجينــات، الوحيد الــذى يملك الخريطة الجينية لــكل الجينات الموجودة في جســم الكائن الحي، يعرفها جميعاً حتــى دون خريطة جينية.. كأنه الدليل الوحيــد في صحراء بــدون زرع او ماء، كل الدلائل تشــير إلى الدكتور محمود طريق النجاة، يستطيع تحديد معالم الجينات من صفاتها، تأثيرها على جسم الإنسان.

أصــر الدكتور عبــد الناصر الرجــوع إلى محمود، لملم نفســه، تخلى عن كبريائــه المعهود به، اتصل بالدكتور محمود علــى تليفونه المحمول، وجده مشــغولا، بعث له برسالة، اتصل به في المكتب، لم يرد عليه، أغلقت الأبواب في وجهــه، بعث أحد أصدقائه من العلمــاء إليه، لم يجد بدا من الوصول إليه إلا بالطريقــة القديمة، يعلم اين يجده، ذهب إلى معمل كلية الطب، يعلم إنه يتردد علي المعمل، يقضى فيه كل ساعات عمله بالكلية تقريباً، دلف إلى داخل المعمــل، نظر الدكتور عبد الناصر إلى الدكتور محمود نظرة اســتعطاف، كأنه يقول له:

ــ سامحني يا صديقي.

لكنــه لم يتفوه بكلمة واحدة، أشــاح الدكتور محمود بوجهه عنه، تركه داخــل المعمل، خرج إلى مكتبــه، يعلم الدكتور ناصر أن الدكتور محمود طيب

القلب رقيق المشاعر، طرق باب مكتبه، طرقات يعلمها محمود، أمره بالدخول بعد لحظات وقـف الدكتور محمود، تقدم إليه، أخـذه في حضنه، لم يحاول أن ينتهز الفرصة، يفرض عليه رأيه، لم يطلب منه أن يتأسـف على أفعاله، حاول الدكتور عبد ناصر أن يتأسف، أشار إليه بالصمت، قائلا:

ـــ نحـن أصدقاء يا دكتور من الصغر، وحدث خلاف بيننا، لكننا لا زلنا أصدقاءا ردد عبد الناصر:

لم أجد أكرم منك يا دكتور.

أمسك به الدكتور محمود، جلسا على الكرسي القريب منه، قال له:

هل أكررها لك مرة أخرى.

قال عبد الناصر وهو يتلعثم:

ـــ جئت إليك لأخذ رأيك، وقع خطأ في العمليـة التي أجريتها للممثلة، ورئيس الحزب، ولا أعرف ماذا أفعل ؟ وأريد منك المساعدة.

قال له الدكتور مطمئنا:

ـ لا تخف يا دكتور عبد الناصر، نحن أصدقاء وما تريده سوف أعمله.

قال الدكتور عبد الناصر متعجبا:

ـ ظننت أنك لن توافق.

يا دكتور عبد الناصر الله هو من صنع الجينات، وحدد مقدار كل كائن حي من الجينات، ويتحكم فيها.

حاول عبد الناصر أن يبرر موقفه، قائلا:

ـ يا دكتـور الله حثنا على العلم، حدد لنا مناهج البحث فيه، نحن نريد

أن نتعلم، لنساعد البشر على الحياة على الأرض، لا نريد تغيير ما صنع الله، مستقبلي المهني يتوقف على ذلك.

أراد الدكتور محمود مساعدة الدكتور ناصر، أحس أنه صادق في كلماته التي قالها:

ـ ماذا تريدني أن أفعل يا دكتور.

أمال عبد الناصر رأسه إلى أسفل وقال بصوت خفيض:

ـ يا دكتور أريد الخريطة الجينية الكاملة لجين النمو والجينات المرتبطة بهذا الجين، وكيفية التحكم فيها؟.

طمأنه الدكتور محمود قائلا:

ـــ أنت صديقي منذ كنا صغارا، يا دكتور لو طلبت أن أقدم لك روحي أقدمها لك. أخذ كشكولا كبيرا من فوق مكتبه، وبدأ يكتب بيده، قائلا:

ـــ يا دكتور عبد الناصر هذه كل الخريطة الجينية لجين النمو، وكل الجينات المرتبطة به ولو جئت لي قبل ذلك، وعرض على الأمر، لمنحتك ما تطلبه، حق الصديق على الصديق واجبات منه معاونته، وقت الحاجة، أمسك بدفتر صغير بيده موجودا في مكتبته الصغيرة في مكتبه، ناوله إلى الدكتور ناصر، قال له:

ـــ يا دكتور هذا آخر ما وصلت إليه في مجال الجينات المرتبطة بجين النمو وجين حجم الأنف، أعددته عندما سمعت بخبر الممثلة المشهورة، كنت أريد أن أعطيه لك.. لكنى لم أجد الفرصة، لتوصيله إليك، خذه. أصنع به ما تشاء.

طأطأ الدكتور عبد الناصر رأسه إلى أسفل، أحس بوخز الضمير، أحس

كأنه يمشـى حافي القدمين، المسامير تملأ الأرض من حوله، يمشى عليها، ولا يستطيع تجنبها، قال:

ـ لا أعرف ما أقوله لك.. لكنى لا أستطيع التعبير عن شعوري.

لا تقـل شـيئا يا صديقي.. لكـن يجب أن تنجـح في عملياتك لآنها تعني الكثير لمشـروعنا في مجال الجينات، ومدى ما حققنها من نجاح في تجاربنا، وما قدمناه في حياتنا العملية.

تلجلج تحشرج الكلام في فيه سبقه، قال :

ـ شكرا، يا دكتور.

ـ أخرج الآن لا تقل شـيئا، اذهب لتُجري العملية، وتُنقذ مشروعنا الذى بذلنا فيه حياتنا.

خـرج من مكتب الدكتـور محمود، مرت عليه حياته معه كأنها شـريط فيديو، أو فيلم سـينمائي طويـل، يتذكر كل صغيرة وكبيرة فيه، أسـتوعب الدرس جيدا، لم يكن غريبا على الدكتور فعل ذلك، انطلق إلى مركز الشـركة الذى يديره، أدرك كل كبيرة وصغيرة عن الجينات المرتبطة بجين النمو، أعاد إجـراء العملية الجراحية إلى الممثلـة ورئيس الحزب.. لكن الدكتور راجز لم يعجبه الأمر، صمم في نفسـه، أن يجرى الدكتور محمود العملية، بعث إليه الدكتور عبد الناصر مرة أخرى، لم يسـتطع ناصـر أن يحدثه في الأمر.. لآنه يعرف رأيه مسـبقا، عاد إلى راجز يعلنه برفـض الدكتور محمود، اتصل به بنفسـه مهددا، لم يلق الدكتور محمودا بالا بتهديداته، وظنها مجرد كلمات يقولهـا رجل عن الغضب، لم يعيره انتباهاً، بعث راجز إليه برسـالة تهديد مع أحد العاملين في الكلية، لم تفتت تلك الكلمات من عزيمة الدكتور محمود،

زادته اصراراً على موقفــه، تحدى ما يفعله راجز، ذهب إلى الكلية كعادته، تفانى في أداء عمله اليومي في الكلية، أتخذ راجز الطريقة الأخرى انهال عليه بالإغراءات المادية التي يسيل لها لعاب الكثيرين، لم ينجر الدكتور إلى سطوة المال، تغاضى عن إســاءة الناس، حبه الناس زاده قوة، ذهبوا إلى أخيه الأكبر في عمله، عرضوا عليه المال، يعرفون جيدا أنه يســتطيع التأثير على محمود.. لكن الأخ الأكبر قال كلمة لا تزال تتردد في أذني:

ــ ما دام محمود لم يوافق على العمل معكم، فأن رأيي مثل رأيه.

الأخ الأكــبر هو من علم محمود الإباء، الشــجاعة، يتمســك برأيه مادام صحيحــاً، ذهب إلى محمود، يقدم له العون، يســانده على موقفه كان بمثابة حائط الصد للدكتور محمود ضد الأخطار التي توجهه، قال له:

ــ أفعل ما يمليه عليك ضميرك. أنت مسئول أمام الله على سلامة الناس.

أتخذ محمود موقف أخيه.. جســرا قويا يستند عليه ضد الإغراءات التي يتعرض لها من شركة وددت. ليس كل الناس مثل أخيه الأكبر، تتغير النفوس حسب ميولها الداخلية، أعادوا الكرة.. لكن هذه المرة مع أخيه الأصغر شاكر، لم يقاوم كعادته، وقع فريسة سهلة لراجز وشركاه، لم يحاول أن يغير النظرة التي ينظر بها محمود وأخوه الأكبر إليه، ذهب إلي محمود، يطالبه أن يعمل مع شركة وددت، صاح في وسط شقة أخيه:

ــ لا بد أن تعمل مع شــركة وددت، حتى نســتطيع أن نعيش كما يعيش غيرنا من الناس.

لم يدخــل محمود أو أخوه الأكبر في حوار مع شــاكر، تــركاه، يعرفانه جيدا، أخوه الأكبر لم يحاول نصيحته كما يفعل دائما، صمت، أشاح بوجهه

عنه، على العكس تماما، ابتسم، نظر إليه محمود. ابتسم هو الأخر، أحس شاكر بالغيظ ترك الشقة، خرج بعد حوالى يومين تقريباً، أتى شاكر إلى مكتب محمود.. لكن في هذه المرة، لم يكن وحيداً، كان معه راجز دخل عليه المكتب، تحدث راجز قائلاً:

ـ أريد أن أساعد الناس، أظهر اختراعك إلى النور، إن مصيره ملقي بين الأدراج، لا يعرفه أحد، أرجو أن تتعاون معنا.

نظر شاكر إلى محمود:

ـ فرصة كبيرة يا أخي لكى تظهر للناس.

قال محمود في تواضع:

ـ ماذا أقول لربى حين يحاسبني، أنني اتخذت المنحة التي أعطاها لي، لأكسب بعض المال، أترك باقي الناس بدون علاج، حاول أخوه أن يثنيه عن رأيه.. لكنه لم يستطع.

اتخذت الشركة الخطة البديلة المعدة من قبل إلى محمود. جذبت كل من حول الدكتور محمود، لم يترك راجز الدكتور محمود أو احداً ممن معه، أغراهم بكل الطرق جذبهم إلى صفوفه، بالإغراءات المادية، بدأت المحاولات بتشويه صورة الدكتور محمود الأخلاقية، تعميق الخلافات مع أصدقائه، اغراق المجتمع بالشائعات حول أخلاق الدكتور التالفة، شخصه المتعجرفة، أسلوبه المتكبر، لصق الصفات القبيحة إلى شخصية. الأسلوب المشين تمكنوا من إفساد العلاقة بين محمود وبعض الناس الذين لا يعرفونه، أخذوا منه العاملين عنده، لم يتبق لدى الدكتور محمود إلا القليل من العاملين، لم يتأثر كثيرا بالحملة الصحفية عليه وعلى مركزه الطبي، ابتعد عن الناس

بفكره، حاول أن يصنع ما يفيد البشـرية، أستخدم الجينات في صناعة أعضاء جديدة تشبه الأعضاء الحية، تؤدي نفس وظائف الأعضاء الحية، لكن الحملة توحشـت أصبحت مثـل الحيوان المفترس الهائج الذى يـأكل كل ما في طريقه ليشـبع رغباته، اسـتخدموا التلفاز لمهاجمة مركز الدكتور محمود، يصفونه بـأنه يغير في صفات الإنسـان، ومخالفة مـا يقوم به إلى الأخلاق والأعراف، التي تتميز بها طبيعة الشخصية المصرية، عقدوا برنامجا خاصا لبعض الأطباء الممولين، هاجم الجميع بمركز محمود.

نفس بلا هواء
زفير من الأحزان

(١)

هناك مــن وراء الدعاية، التي هاجت حول الدكتــور كالنيران التي تمور وتفور حول المكان عند اندلاع حريق، شخص أكبر من راجز، يستطيع تحريك هؤلاء الناس وهو في مكانه، دونما يدرى الكل من هو شخص له مكانة أكبر في الجامعة، يتلاعب بكل الأوراق وهو في مكانه.

أضطــر الدكتور محمود إلى توقف جميع أبحاثه داخل الكلية وخارجها، حذر جميع نشاطاته، زادت حدة الانتقادات للدكتور حتى نالت من شخصيته وتجاربه الجديدة، اتهمه الإعلام بالإلحاد ومحاولة تغيير صفات خلقها الله، ما يحدث إلى الدكتور محمود أكبر من راجز ومن معه.

لم يتأثــر بالألاعيب التي حيكــت لكى ترهبه، أنتقل المنفذ إلى المســتوى الأدنــى، توقفــت الحملــة الإعلانية يريــدون الإبقــاء على بعض الســمات الشخصية، يدبرون من خلف الستائر، يعملون بجد، دفعوا بإحدى الطالبات تعمل في الشركة في طريق الدكتور محمود، سألته في المحاضرة:

ــ مما تتكون الأجسام المضادة؟

أجابهــا ولكنها ذهبــت إليه بعد المحاضرة بحجة إنهــا لم تفهم بعض الأشياء في المحاضرة، تسأل في سيكولوجيا الجين:

ــ الجين يأخذ ســلوكا آخر، إذا وجد جينا آخر غير الجين المرتبط معه..

لآن الجين يأخذ سلوكا ما، يتأثر بالجينات المختلفة التي حوله ربما يختلف تأثيره بتأثير الجينات الأخرى الذى يتأثر بها.

كعادة الدكتور محمود أجتهد في الشرح لها، حاول تبسيط المعلومة لكنها تريد أن تنصب الشباك حول الدكتور، لا تريد فهم المعلومة، تريد تنفيذ الخطة الموضوعة بدقة من قبل راجز وأعوانه، الدكتور محمود لا يقع في هذه الأخطاء.. لكن حبه للناس جعله يبذل ما في ما جهده لكى يساعدهم، لا يتردد في مساعدة الناس، اللقاء بينهما سريعاً متحفظاً، لا تفعل ما يثير الشك لدى الدكتور محمود، تنظر أسفل منها، سألت على ما تريده، انصرفت.. لكن في المرة الثانية أتت تسأل:

عن الأجسام المضادة.

ألم تفهمي في المحاضرة.

ظهر على وجهها الخجل:

ـ عندما شرحت هذه الفقرة، كان الطلاب يتهامسون فيما بينهم، ينظر بعضهم إلى بعض، لم أفهم كلمة واحدة.

نظر إليها ظن إنها صادقة في كلماتها، أشار إليها، لتجلس جلست على الكرسي المقابل له، بدأ يشرح طبيعة الأجسام المضادة:

ـ تستطيع الأجسام التمييز بين خلايا الجسم السليمة، وخلايا الأجسام الملتهبة تقوم بتحديد الخلايا المصابة بالفيروس أو البكتريا، ترسل الخلايا السليمة شفرة خاصة، تفهمها الأجسام المضادة بينما الخلايا المصابة لا تنتج شفرة لا تفهمها الأجسام المضادة، تلتهمها الأجسام المضادة، تختلف الشفرة

الــتي تبعثها الخلايا المصابة، تنتج الأجســام المضــادة نوعا خاصا من الخلايا الخاصة، بالتهام الخلايا المصابة.

تعــددت اللقــاءات بينهما شــاهدها تــتردد على مكتبــه، تلبس أجمل الملابس، تتحلى بأفضل الحلى، تحضر جميع المحاضرات لو كانت المحاضرة في قســم أخرى غير قسمها، في أحد المحاضرات دعته إلى الخروج.. لكنه آبى أن يفعل، تركها، هز رأســه، انتظم في مشيته، دخل مكتبه لاحقته، دخلت إلى مكتبــه، جلس على مكتبــه، صارحته أنها تتعلق بــه، لم يلق لها بالاً، تجاوزت في كلامها لكى يقع في الفخ، تركز على جمالها المفرط، عينها الزرقاء أثارت في نفســه الشغف، تم اختيارها بدقة، دارت حول مكتبه، أمالت عليه وهو جالس على كرسي مكتبه، امسكت بيده، امسك يدها..

لكــن في هذه اللحظة، فكر في زوجتــه وأيامه الجميلة التي قضاياها معا، أحســت أنهــا تحولت من ثمــرة جميلة ناضجــة إلى ثمرة معطوبة، تماســك محمود، ســحب يده، سحبت يديها من علي المكتب.. لكن الشركة لا تريد أن تنسحب اجبرت علي الذهاب مرة أخرى، تودد إليها مرة أخرى.

الحرباء تتلون لتصطاد فرائســها، تتغير بألوان مختلفة. دلفت إلى المكتب مرة أخرى معتادة على دخول مكتبه، جلســت أمامه ونظرت إليه، لم يلتفت إليها، وقفت، دارت حول مكتبه حاولت الالتصاق به تملص منها بعد لحظات هــم بها.. لكنه رجع مرة أخرى إلى عقلــه، حدث إنها، أخفقت في محاولتها لإغرائه، لم تكن تريد إلا التأثير عليه حاولت مرة أخرى، هرب منها، قالت له:

أحبك.

علمت أن هذه اللحظة المناسبة لتبعث الرسالة دون أن يشعر الدكتور محمود، ضغطت على تليفونها المحمول المخفي في سروالها، أرسلت الرسالة التي تؤكد أن الوقت قد حان، دفع راجز الباب ومعه عميد الكلية واثنان من أعضاء هيئة التدريس، فتح الباب على مصراعيه، شاهد الجميع البنت وهي بجوار الدكتور، تسند على كتفيه صدرها، تظاهرت البنت بالارتباك، تركت محمود، همت بالانصراف، لم تستطع، تحركت إلى الكرسي المجاور للمكتب، رسمت على وجهها ملامح الخجل، تتصنع الخوف، تعرف ما يحدث، فزع الدكتور محمود عندما وجد العميد زميله القديم أمامه، الصدمة الجمت لسانه لم يتكلم على الأطلاق، وقف بجانب كرسيه، يقول:

ـ ماذا يحدث ؟

تحدث العميد بصرامة وحدة:

ـ انت من تسأل أم نحن ؟

صمت قليلاً ثم أستطرد:

ـ لم أتوقع منك ذلك يا دكتور.

لم يدافع عن نفسه، وقف صامتاً. أحس بالندم ولكن شخصية محمود المتزن، لم توحى بأن يفعل ذلك، تحرك لسانه بالكلمات.. لكن فمه لم يطاوعه. الخجل يكاد يقتله، صرخت نهى الجميلة بين الحاضرين:

ـ لم يحدث شيئاً.

ابتسم العميد ابتسامة توحى بالسخرية منه، توحى بأنها أمرأه لعوبة، صرخت:

ـ لم أكن أرافقه، جئت لكى يفسر لي بعض الأجزاء الصعبة في المنهج،

راودني عن نفسي، جذبني إليه بقوة، لم أتوقع منه، تخلصت منه سريعاً، جلست على الكرسي، لم يدافع الدكتور محمود عن نفسه، وقف صامتاً، ينظر إلى الأرض، انتهزت نهي الفرصة، خرجت سريعاً من المكتب إلى الردهة الواسعة، تتظاهر بالخجل الشديد، قال العميد:

ـ إلى هذا الحد.

وصل الأمر يا دكتور، لم ينبس بكلمة، تركوه جميعا، خرجوا من المكان، انتظر العميد عدة أيام دون أن يتكلم في الموضوع، تناثر الخبر في أجواء الجامعة والكلية الكل يتحدث عنه، لم يستطع العميد أن يغض الطرف عنه، قرر أن يبدأ التحقيق في الموضوع، عقد جلسة طارئة إلى مجلس الكلية، ليرى ماذا يصنع مع الدكتور محمود ؟ انقسم أعضاء المجلس إلى قسم ضد الدكتور، محمود وقسم معه، يتزعم الجبهة التي ضد الدكتور محمود العدو اللدود للدكتور محمود الدكتور مدحت، يكن مشاعر الغيرة للدكتور محمود من تفوقه العلمي، وحب زملائه له، وقف بالمرصاد لمن ينادى بعدم معاقبة محمود عقوبة قاسية، يميلون لمعاقبته بخصم عدة أيام من راتبه، لكن مدحت وقف بين الأعضاء، صرخ:

يجب معاقبة الدكتور محمود بأقصى، يجب فصله من الكلية وتقديمه للنيابة الإدارية.

علت الأصوات داخل الاجتماع، مدحت يريد أن يلصق تهمة القيام بعمل فاضح للدكتور محمود، انتشر الضجيج، أضطر العميد لإنهاء الاجتماع والانصياع وراء طلبات الرافضين لقرار منح العفو عن محمود، أتخذ إجراءات صارمة ضده، أوقفه عن العمل، قدمه للمحكمة.. لكن صداقته للدكتور

محمود، جعلتــه يتوجه إليه، هم بالخروج من مكتبــه والذهاب إلى منزله، نصحه، قائلا:

ـــ يا دكتور أرجــوك أن تفكر في عرض الدكتور راجز، فأنا لا اســتطيع أن أقــف في وجه هــذا التيار الجارف مــن الانتقــادات، إلا أن كان معي فأن الوقــوف معك يعنى الوقوف أمام ســيل جارف، يدمر مــا أمامه، يبتلع ما في طريقه المنازل، الأشجار المصانع لو وقفت أمامها من الممكن أن أخسر مكاني في الجامعة، ليس منصب العميد.

اندهــش الدكتور من كلماته الــتي قالها، يفكر كيف عرف بالاتفاق الذى بيــني وبين راجز لا بد أن الكلية بها عيون إلى الشــركة في كل مكان لم يتكلم كثيرا، قال:

ـ سوف أفكر يا دكتور.

حــزم حقائبه، انطلق خارج المكتب، يفكر في العلاقة التي لا يعلمها بين أعضاء التدريس وشركة وددت، يتذكر بعض الأمور التي ربطها معا شغل ذلك تفكيره كله، وجد أن ما حدث له، يشــبه الفيلم الســينمائي المكتوب بحرفية او مثل مشــهد من مسرحية تراجيدية بطلتها نهى الجميلة ومخرجها راجز ورجاله الممثلين، أمعن التفكر في ما تحدث، وقال:

ماذا لو علمت زوجتي ما حدث.

أزعــن أخيرا إلى كلمات عقله الباطن الــذى يلح عليه. بقبول عرض راجز وشــركته، قبول العرض ينهى الموقف المؤلمة، تعنته يزيد ويعقد الأمور وربما يضطر إلى ترك وظيفته في الجامعة، فكر ماذا يحدث للبشــر من استخدام جين النمو.

(٢)

من الناس من يشبه الثعبان، عندما يكمن إلى الفريسة ينتظر، وينتظر حتي الوقت المناسب، يثب عليها، يداهنها، يساومها، يراقبها بحذر إلى أن يأتي الوقت يهجم عليها، كأنه عاصفة ثلجية موحشة يجرها أمامه دون رحمة، يأكل الأخضر واليابس، ويأخذ الفريسة ويبتلعها في جوفه، بعد أن يعضها العضة المميتة، بعد أيام بسيطة من لقائها.

مكث الدكتور محمود عدة أيام في المنزل.. لكن الاستسلام ليس من شيمته، آبي الجلوس في المنزل وعاوده الحنين إلى العمل في مركزه، ذهب إلى هناك يقضي معظم الوقت، لعله يعوضه عن عمله الجامعي، زاد ذلك من غيرة راجز وجن جنونه، بدأ حرب دعائية على مركزه، استأجر بعض الناس وحثهما على العلاج لدى الدكتور محمود، أمره أن يتقدموا بشكوي لدى وزارة الصحة، يقولون أنهم تناولوا علاج لدى مركز الدكتور محمود، ضاعف العلاج مرضهم، كما أن العلاج بالجينات له بعض الأثار الجانبية، لم يقف ذلك عائقا في طريق محمود، زاده إصرارا، لا يخالف الطرق الشرعية في عمله، استمرت الحرب الدعائية على الدكتور محمود، زرعوا مرضا من إنتاجهم، صنعوه عن طريق فيروس اكتشفوه في مركزهم، حقن به أحد المرضى بمركز الدكتور محمود، دون أن يدرى العاملون في المركز، ذيع الخبر وقيل أن مركز الدكتور به فيروس جديد، لم يكتشفه بعد.. لكى يمنع المرضى من الاقتراب من المركز، يريد

أن يعتمد على المركز أذا فقد وظيفته في الكلية.. لكن الفيروس المخلق الذى زرعوه في المركز، لم يجد له علاجاً، حاول ولكن الفيروسات المخلقة أقوى من الفيروسات الطبيعية لآن الفيروس مكون من خلية واحدة ترتبط بخلايا الجسم، تحول الخلايا الطبيعية إلى خلايا فيروسية.. لكن الفيروسات المصنعة ليس لها طرق معينة في عملها.

أنتشر خبر وجود فيروس قوى داخل مركز الدكتور محمود، كالنار في الهشيم أكد الجميع أن الفيروس يدخل العضو، يلتهمه في أيام، لقى الخبر صدى واسع لدى الناس والمجتمع الطبي، تدخلت الحكومة لمعرفة الحقيقة، أرسلت لجنة لتقصى الحقائق، لم ينكر محمود وجود الفيروس، أكد أن خطره محدود وأن المصاب به يتلقى العناية الكاملة إلى أن يتم معالجته. ذكرت اللجنة أن الخبر شائعات، وأنه مريض حالته نادرة، يحتاج إلى عناية خاصة، تنتشر الشائعات كانتشار الدخان في الهواء، تزداد، تنمو، سادت كل الأوساط، مما أدى إلى عودة اللجنة مرة أخرى، قبل أن تأتى اللجنة.

استعد راجز ورجاله، زرعوا مريضاً آخر، دخل المركز قبل أن تأتى اللجنة، بعثوا أحد رجالهم بزيارة هذا المريض.. كأنه قريب له، استغل الزائر انشغال العاملين بالزيارة، حقن المريض بالفيروس المعد خصيصا.

أتت اللجنة، شاهدت المريض الجديد، قررت إغلاق المركز لآنه يهدد حياة المرضى. وجدت الشركة العالمية ضالتها في هذا الأمر. وجه اللوم على الدكتور محمود وتجاربه، أصيب محمود بالاكتئاب الشديد، أصبح جسده لا يكاد يقوى على السير من حزنه وخوفه على أسرته، كيف ينفق على أولاده؟ ويكسب قوت يومه؟ لم يعد له موردا للرزق، هل يترك زوجته تنفق عليه ؟

الأفكار تراوده ليلاً ونهاراً في المنام واليقظة، كأنها مسامير حادة تدخل داخل جسده النحيل، لا تخرج مرة أخرى، يثبتها شخص آخر من الخارج، يطرق عليها بقوة.. كلما توقف عن الطرق أعاد الطرق مرة أخرى بقوة أكبر.

أحرقت الشائعات المركز الطبي، أغلق بأمر التفتيش الصحي، أين يعمل؟ يحس بمرارة الأيام عليه، هل يضطر إلى العمل لدى راجز؟ وقبول العرض، هل يترك مركزه في ضياع؟ من أجل أشياء غير حقيقية، لا يريد راجز وشركته غير المال، يسلك الطرق الصحيحة والطرق غير الصحيحة من أجله، استمر الخناق حتى أصبح الدكتور محمود وحيدا. الحرب منظمة بإحكام عليه مع ضيق العيش، الحاجة إلى المال، استمراره بعيداً عن عمله الذى يحبه، وجدته زوجته منطويا وحيدا، نصحته قائلة:

ـ لا بد أن تقبل عرض راجز من أجل ولدينا. حتي تعود إلى عملك.

أضطر بقبول العرض بعد الحاح زوجته الشديد له، وضع راجز شروطاً قاسية لعمل محمود معه. لا يجرب أي علاج خاص بالجينات في مركز آخر، لا يجرب أي علاج جديد إلا بموافقة شركة وددت.

قبل بشروط راجز، بدأ بالعمل معه وأجرى العملية الجراحية للمثلة، ورئيس الحزب، نجحت العملية وعادت المثلة إلى طبيعتها، بل أكثر، أراد راجز تحسين صورة الدكتور محمود الذى يعمل معه، تدخل في الجامعة، اتصل بالعميد، عاد الدكتور محمود إلى الكلية مرة أخرى بعد أن اعترفت نهى أن الدكتور كان يقوم بشرح معلومة لم تفهمها. أعادته لجنة التحقيق إلى العمل في الكلية كما كان، ظهرت براءة الدكتور محمود أمام الجميع، تحولت الحملة الدعائية الموجهة لإضعافه، إلى حملة إعلامية عن أهمية العلاج بالجينات،

ومدى الاستفادة من هذه التقنية الحديثة التي سوف تساعد البشرية على اكتشاف حقيقتها، تمكن الإنسان من استرداد واستعادة هيمنته على الأرض، كشفت على أهمية العلاج بالجينات، لتعويض الأعضاء المفقودة والتالفة، تساعد الأنسان على الحياة مدة أطول على سطح الأرض.

لم يستطع محمود التملص من راجز ومركزه بل جذبه إليه بالدعاية التي صنعها له، بعد أن عاد الأستاذ بهير رئيس الحزب إلى طبيعته، أصبحت شهرة المركز والدكتور محمود كبيرة، زادت شهرة الشركة عالميا لدرجة كبيرة جدا، حتى أن المرضي كانت تأتيه من كل مكان في العالم، لتعالج فيها، بدأت فكرة إنتاج اعضاء مشابهة للأعضاء الحية، تماما بالجينات، بأخذ الخريطة الجينية لشخص ما وزراعتها في خلية وتقوم الجينات بعمل نفس العضو بل أن العضو المستنسخ أكثر كفاءة على القيام بوظائفه من العضو الأصلي.

نُفذت عدة عمليات في المركز الطبي، وبدأت الناس تتكلم عن الخلايا المستنسخة، لم يكن فكرة الدكتور محمود في الخلايا المستنسخة، بل في الخلايا الصناعية المشابهة للخلايا الحية، تحمل كل الصفات الخاصة بالخلية الحية من خلال زرع الخريطة الجينية الموجودة في الخلية الحية في الخلية الصناعية، تنشأ خلية صناعية تحمل كل صفات الخلية الحية.

بدأ إنتاج خلية صناعية وإكسابها نفس خصائص الخلية الجسدية، طورت، أصبحت أكثر قدرة على اكتساب صفات الخلية الحية، وملائمة لجسم الإنسان، إتقان صفات وظائف كل خلية، بدأت الخلية الصناعية في مضاهاة الخلية الحية، تفوقت عليها الكثير من الأحيان، نفذت بعض العمليات الجراحية باستخدام الخلية الصناعية، زادت شهرة المركز الخاص بشركة

وددت، أصبحت الخلية الصناعية تفوق الخلية الحية في عملها، بفضلها الناس، فكر الدكتور راجز في عملية، تساهم في شهرة الشركة عالميا، يصل بالشركة إلى التصنيف الأولى في العالم، كلف الدكتور محمود بأمر لم يتوقعه هو محاولة تكوين أنسان كامل باستخدام الخلية الحية أو الخلية الصناعية، الفكرة جالت في رأسه، همس:

ربما جاءت الفرصة، لتنفيذ ما أصبو إليه منذ الصغر، صناعة إنسان يشبه الإنسان الحي في جميع صفاته.

الفكرة تدور في رأس محمود منذ زمن، حاول تنفيذها، بائت محاولته بالنجاح بعد فشل عدة مرات، ظهرت النتائج المبهرة بعد استمراره في العمل الدؤوب شهورا بعد أن ظن أن الفكرة لن يستطيع تنفيذها، أحس كأنه في ممر ضيق لا يتسع إلا لشخص واحد بالمرور خلاله، الهواء داخل الممر قليلا، لا يكاد الشخص التنفس إلا بصعوبة، كلما كاد أن يغمى عليه، أفاق وجاهد في محاولات عبوره للممر حتى خرج منه، مع فرحه الشديد بالنجاح، أحس أن الاكتشاف الحبل الضيق، الذى يربطه حول عنقه ليخنقه، سمع رجال الأعمال، أتوا للمساهمة فيه، لكسب المال والشهرة، تكون هذه الوسيلة للسيطرة على من حولهم فمعظم رجال الأعمال، يحبون السيطرة على من حولهم ومعظم مجلس الإدارة من رجال الأعمال، من بينهم نائل رجل الأعمال الذى يمتلك النصيب الأكبر من رأس مال الشركة، المعروف بأعماله المشبوهة في تجارة السلاح والمخدرات، لما سمع خبر التوصل إلى الاكتشاف الجديد، أراد أن يكون جزءاً من المشروع تحين الفرصة لمقابلة محمود، قال له:

ـ أنا مستعد للإنفاق علي مشروع الإنسان المستنسخ، سوف يأخذ أول الأفراد المصنعة.

ـ نحتاج إلى متطوعين لكي نأخذ منهم الشفرة الجينية، ونأخذ منهم خلايا حية.

ـ المتطوعون جاهزون يا دكتور، سيكونون معك عندما تبدأ.

ـ من هؤلاء المتطوعين.

ـ حراسي، سمعوا عنك، ويريدون أن يكونوا جزءا من مشروعك العلمي.

فكر في السيطرة على السوق بكل ما فيه، إخضاع جميع منافسيه إلى سيطرته، حاول التقرب إلى الدكتور محمود بكل الطرق المكنة، استمالته إليه.. يعلم أنه المسئول عن الفكرة، يستطيع تنفيذها، قدم له كل ما يريد من معاونات مادية. لفكرة تعبث بعقله المريض، حاول التقرب، قدم أفراد الأمن عنده كفئران للتجارب على أبحاثه، أغراهم بالمال والمنصب الكبير في شركاته وشركة ودت.. المال يستطيع السيطرة على عقول الناس، العامل الأساسي في تحريك قلوب البشر، أستمال نائل عماله بالمبالغ المادية التي قدمها إليهم،أنفاق مائة الألف.. لكى يرضى العمال، يرضوا بإجراء التجارب، اقنع الدكتور محمود بأن العمال يطلبون منه بإرادتهم إجراء التجارب عليهم، ظن محمود، شهرته وصلت إلى العمال، يريدون حبا فيه وإيماناً به، لم يدرى بما فعله نائل من خلف ظهره، أقتنع بكلماته المزيفة، أطمئن إلى سلامة مقصده، بعد أيام معدودة من التأكد من انتهاء التجارب بنجاح، ظهر في الأفق حادث لم يكن الدكتور محمود يتوقعه، أطلق النار أحد حراس الشركة المترددين على المركز، بعد إيقافه محاولة فاشلة لمجرم علي الشركة المكلف بحراستها

أثنـــاء نوبته الليليـــة، رأى اللصوص، طاردهم، أطلقـــوا النار عليه، فروا، لم يتعرف أحد على اللصوص، لم يتركوا أثراً يرشد الشرطة عليهم، استغل نائل الفرصة، ذهب إلي الدكتور محمود، قال له:

ـ يا دكتور مات سامي أحد حراسي، عندما كان يدافع عن شركتي .

ـــ الله يرحمه.

ـــ كيف ستتحمل أسرته وفاته، عنده ثلاثة أبناء، من يتحمل مسئولياتهم؟

ـ اتحمل نفقاتهم ومصروفاتهم الدراسية.

ـ أنا ســأتحمل كل نفقاتهم، ماذا لو استنســخنا نســخة منه؟ توجد كل صفاته الوراثية في بنك الجينات، وتوجد كل خلاياه.

ـ لكني لا استطيع ذلك، لا أخلق إنسان.

ـ سوف تفعل ذلك من أجل أولاده، من أجل الأبحاث العلمية.

عرض نائل علي الدكتور محمود أن يعيده إلى الحياة بصناعة خلايا صناعية تعويضيـــة بدلا من التي تهتكت وبـــترت، لم يتردد الدكتور محمود لحظة في المحاولة، يحاول إنقاذ صديقه، لم يضيع وقتا لكى يصل إلى مبتغاه.. لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك، الأرواح من أمر الله، هو القادر على منحها الحياة وعلى سلبها الحياة، طلب منه باســتعطاف صناعة أجزاء صناعية مشابهة لخلاياه الصناعية، نفذ الدكتور، نجحت الفكرة فترة من الوقت.

(٣)

الحارس تعرض لنكسة صحية، تأثرت الأعضاء الأخرى نتيجة عدم القدرة على مسايرة الأعضاء المزروعة، لم تدم الأعضاء الحية، تهتكت وأصبحت غير قادرة على العمل جسده أصبح مثل المصنع الذى يوجد به كل الآلات قديمة، تعمل ببطء، أذ جلب صاحب المصنع آلة جديدة تعمل بكفاءة، لا تستطيع باقي الآلات أن تؤدى عملها كالآلة الحديثة. حمّل صاحب رجل الأعمال نائل العبء على الدكتور محمود، قابله في المركز، قائلا:

الخطأ خطأك يا دكتور، أنت من قتل الحارس،

ـ لا لم يكن خطأ كانت أحوال أن أعالجه.. لكنه كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

ـ أفعل ما تشاء، لتعيده إلى الحياة مرة أخرى.

ـ لا أستطيع، العمر بيد الله وحده.

ـ أصنع حارسا مشابه له بخلايا صناعية كاملة، رفض الدكتور محمود الفكرة. وقال لنائل:

أن الحياة والموت بإمر الله، لا يستطيع تصنيع البشر.

لم يرضخ الدكتور محمود لرأيه، وحاول أن يثنى نائل عن رأيه.. لكنه آبي، توجه نائل إلى مجلس الإدارة، قابل راجز، ذهب راجز إلى الدكتور محمود وقال له:

ينص العقد الذى بيني وبينك، أن تنفذ كل ما يطلب منك.

ـ لكن ما تطلبه أكبر من طاقتي.

ـ استطيع أن أثبت أن السبب في وفاته.. الخلايا الصناعية التي زرعها في جسد الحارس. يمكن إحياء الموضوع الذى مات من سنين في كلية الطب، وتستمر حملة التشهير مرة أخرى.

نظر الدكتور محمود في اتجاه وقال على مضض:

سوف أفعل.. ولكن التجارب علي الإنسان الصناعي لم تنته، لم تأخذ حيز التنفيذ.

الطمع وحب السيطرة أعمى عيونهم، حاول الدكتور أن يأخذ عامل الوقت، لتهدئة المجلس. الزمان كفيل بنسيان المشكلات.. لكنه لم يستطع أن يتملص من الأمر، حثه المجلس على التنفيذ. أعطوه مهلة ست أشهر، ليتم الأمر لم يجد الدكتور محمود بدا من التنفيذ.

استخدم الجينات البشرية المأخوذة من الحارس وزرعها في خلايا حية منه، تتحول الخلية إلي خلية تشبه خلايا الحارس.

أخذ الدكتور محمود حوالى سنة لم يعجز نائل ورجاله على إخفاء أمر الحارس، أكد لذويه أنه بعثه للعمل في شركته في الولايات المتحدة، ستستغرق رحلته حوالى ثلاث سنوات أو أكثر. بعد مرور عاما وشهر تقريبا، طلبوا من محمود نتائج أعماله، حاول أن يتريث بعض الوقت، لعله يجد مخرجا من الأمر.. لكنهم هددوه، أضطر لإعلان نتائج أبحاثه، شاهدوا بأعينهم نفس الحارس الذى توفي نفس الشكل نفس طريقة الحركة ونفس طريقة الكلام، قال أحدهم:

ـ هذا شـيء لا يصدق. لا يسـتطيع أحـد أن يفرق بين الحـارس الأصلي والحارس الصناعي.

أكـد لهم الدكتور محمود أنـه مثل الأطفال، لا يعرف عن الدنيا شـيئا، يستطيعوا أن يشـكلوه كما يشاءون فهو يحتاج إلى تدريب خاص، لكى يتمكن مـن القيام بمهامه التي كلف بها، أخفى رجل الأعمال أمر الحارس الصناعي عن الجميع، دربه على جميع المهارات الخاصة مثل السـلاح ومهارات القتال ورياضيات الدفاع عن النفـس، وجلب له المدربين حتى تمكن من إتقان جميع المهـارات الخـاص بالقتال، أعد له برنامجا خاصا عـن أهله، لكى يتمكن من التعامل مع ذويه، لا يعرف أحدا عنه شـيئا، لصق به أسـم الحارس السابق، أخذ مكان الحارس الأصلي.

بعد حوالي سنتين الغياب، أمره بالذهاب إلى المنزل الذى ظن أنه منزله، وإلى الناس التي ظن أنهم أهله. عاش بينهم، أحسـوا بالتغير في شـخصيته، برروا هذا بسبب المدة التي قضاها الحارس بعيدا عن أهله، سيرجع إلي عهده الأصلي مع العشرة بين أهله، سوف يرجع إلى طبيعته.

اُستخدام الحارس استخداماً أخر، ظهرت قدرته الفذة في معركة أفتعلها نائل مع بعض حراس رجل الأعمال الأخرى، المنافس الرئيسـي لحارسه هو حـارس رجل الأعمال ذكي،يخاف الناس منه لقوته الجسـمية التي لا مثيل لهـا، تفـوق حارس نائل، علـم الجميع قوته. أسـتخدمه في تهديد غيره من رجال الأعمال المنافسين، عرف الجميع مدى قوة الحارس ومهاراته القتالية، استخدمه نائل في تحويل الصفقات الكبرى إلى حسابه.

أتفق رجـال الأعمال علـى التخلص من الحارس وصديقـه الذى يلازمه

باستمرار، نصبوا لهما كمينا واستدرجوهما إليه، زعموا أن حراس نائل يتعاركون مع حراس رجل الأعمال ذكي في القاهرة الجديدة قرب الصحراء، انطلق الحارسان إلى الموقع الموصوف، وعندما وصلا، انهالوا عليهم بالرصاص حتى مزقت أجسادهم إلى أجزاء، علم نائل، حاول أن يأخذ باقي رجاله ويتجه إلى الموقع، لكن عندما وصل، وجد جسد رجلاه ملقى على الأرض، صرخ بغضب:

ـ لا بد أن أخذ حقهما.

أصر على الانتقام، رجع إلى الدكتور محمود، يجر أذيل الخيبة، حاول أن يقنعه بالتنكيل الذى تعرض له الحارسان، وصف له كيف مُثل بحسديهما، قائلا:

لم نستطع تفريق جسدهما عن الأرض، حتى أصبح كل جزء من جسدهما في ناحية.

ـ ماذا حدث لهما.

ـ حاولا أن يحلا خلافا بين بعض رجال الأعمال الفاسدين ورجل أعمال صالح، تعصبوا إلى رجل الأعمال الصالح، بدون تحذير قام رجال الأعمال بالتنكيل بهما حتى يكونا عبرة لغيرهم.

استطاع نائل أن يخلط الأمور، يخلط السليم بالفاسد يخلط القول الصدق بالكذب في سلة واحدة، لكى يصدقه الدكتور محمود، ويوافق على رأيه، انخدع الدكتور بكلماته، انخدع بمظهره الحزين ووجهه الملوء بالندم، استعطف نائل محمود بكل ما أوتى من قوة، حاول نائل أن يجذب إليه الدكتور محمود، أستعطفه، بقوله:

أصدقـاء الحارس يصـرون على الأخـذ بالثأر، سـوف يتعرضون جميعا للإبادة،

ـ ماذا أفعل لكي أوقف ذلك ؟

ـ نصنع حراسا آليين مثلهم، لو وقع أحدهم في المعركة، لن تكون الخسارة كبيرة، ولو تعرض الجميع للقتل، سوف نخفى الأمر عن الناس، يظل الحراس الأصليين أحياء.

وافـق الدكتور محمـود على صنع حراس مشـابهين للحراس الأصليين، للشـركة وحارسـين أخريين مثل اللذان قتلا في المعركة السـابقة، وعده نائل بالتخلص لأشـباه الحراس بعد أن يسوى الأمر، لن يبقى منهم إلا الحارسان، أقتنـع الدكتور محمود بكلماته.. لم يأخـذ وقتا كبيرة في صنعة الحراس لآنه يمتلـك الجينات الوراثيـة لجميع الحراس داخل معمله في مخزن الشـركة، يسـتطيع التحكم في جميع الخصائص الوراثية، فوجئ نائل بعد مرور حوالى ثلاثة أشـهر بنسخ من الحراس مشابهة تماما للأصليين، سعد بشدة، يعرف ماذا يفعل بالضبط في سـرية تامة، درب الحراس على القتال بعد حوالى سـنة كاملة، ظهر الحارسين مرة أخرى أمام الناس. فوجئ رجال الأعمال بهما!.

اتفقوا على القضاء عليهم مرة أخرى، أصطاد نائل رجل الأعمال ذكى وهو بين رجاله، حاصره في اجتماع معهم، يرسـم خطة القضاء علي الحارسـين، فاجأه نائل، استسلم ذكى عندما شهد الحارسين وقفين أمامه، صرخ بقوة:

شاهدتهما مقتولين، كل جزء من جسديهما في مكان.

لا استطيع أن أحارب حراس من العالم الأخر، ارجو أن تقبل الصلح.

ـ أريد عشرة مليون جنيه.

لم يحاول التملص منه، أعطاه شـيكا دون تردد، خرج سـريعا، طلب من رجال أن يفصل حراسه. أستغل نائل الحراس في سيطرته على السوق، استفاد منها في تحديد الاسـعار في السوق، لجميع السـلع، أثار ذلك غيره من رجال الأعمـال، تعجب الجميع من ظهور الحارسـين، أزيل العجـب عندما علموا العلاقة بشركة وددت ومركز العلاج بالجينات.

(٤)

لكــن أحد رجال الأعمــال الدكتور رائد يعمل في تصنيــع الدواء، تصنيع الأجهــزة التعويضية، يعرف تماما أن من يســتطيع القيــام بذلك هو الدكتور محمــود الــذى قدم له العــون عندمــا كان في الجامعة، اســتوعب تجاربه في مركــزه الطبي، يعرفه الدكتور رائد جيــدا، توجه إلى مكتب الدكتور محمود في الجامعة، تقابلا قبل ذلك هناك، تســلل إلى داخــل المكتب مختفيا، رجال راجــز ونائــل يحيطون بالدكتور محمــود من كل الاتجاهــات، يتحققون من كل شــخص، يحاول التقرب منه، دلف إلى مكتبه يملآ وجهه الحســر وقف الدكتور محمود، ليصافحه نظر إلى وجه الشــاحب، أخذه بالأحضان، أجلسه بجواره، رأى وجهه:

ــ ما يحزنك يا صديقي.

قال له:

ــ لقد وضعت ثقتك في رجل لا يوثق به.

رد محمود:

ــ ماذا تقصد يا صديقي.

قال له موضحا: نائل.

ــ ليس صديقي هو عضو مجلس إدارة شــركات وددت العالمية التي أعمل بها ولدلك أضطر للتعامل معه.

صمت قليلا ثم استطرد:

ـ لماذا تقول هذا ؟

لا بد أن تعرف أنه ليس من ذوى الثقة.

ـ لماذا تقول هذا يا دكتور.

ـ أنت تعرف يا صديقي أنى بعد تخرجي من الكلية، بدأت عملي الخاص وممارسته، وثابرت عليه، مررت بكثير من الإخفاقات والنجاحات الكثير من الأعمال، قمت بها حتى كبرت شـركاتي، أصبحت أخذ الكثير من المناقصات الخاصة بمجال الدواء وفى مجال توريد الأجهزة العلاجية. في إحدى المرات، كسـبت العطاء الخاص بإحدى المستشـفيات الكبرى، بعد أيام قليلة، أتى إلى مقر شـركة نائل يريد أن يشاركني في العطاء مناصفة، رفضت في بداية الأمر، استعمل أسلوب التهديد والوعيد والترغيب والترهيب، استمررت في رفضي، انتقل إلى المرحلة الثانية، خطف ابنى من أمام مدرسـته الابتدائية، احتجزه لمدة أسبوع لم يتفوه بكلمة واحدة، بحثت عنه في كل مكان حتى مللت، أبلغت الشـرطة عن اختفائه، اتهمت نائل أتهاما صريحا، بخطف ابنى، واخفائه.. لكن الشـرطة، لم تسـتطع أن تكشـف دليلا واحدا على تورطه في الأمر. بعد أسـبوع واحـد، أتى إلى يتباهى، يتمختر، يتفاخر بمـا فعله، أكد لم أوفق في طلبي بالمشاركة في المشروع سوف أقتله، وأدفنه في الصحراء أبلغت الشرطة مرة أخرى بما قاله لي، وبعد يوم جاء الضابط إلى شركتي وقال:

ـ من الأفضل أن تتفق معه، وتعطيه ما طلبه.

اضطررت للموافقة على مشاركته هادنته فترة من الوقت، شاركته لأعرف مصـادر قوته، ولمـاذا يظهر كطائر الرخ العجيب الـذى يختلف عن الجميع،

عرفت أن حرسه مصدر قوته، حاولت أن أقاومه، حاولت الالتفاف حوله، للقضاء على حراسه بدون أن يشعر بذلك، صنعت لحراسه فخا، حاولت أجذبهم إليه، للقضاء عليهم، حاولنا الالتفاف حولهم، فشلنا في محاولتنا، يتقنون في التصويب على أهدافهم حتى في محاولة المعارك الجسدية، أكثر قوة جسدية، أكثر تدريبا ومعرفة بفنون القتال بنيتهم الجسدية والمتقنة، تساعدهم على الانتصار في معاركهم بعد هزيمتنا في المعركة، أصبح نائل الأسد المسيطر على السوق، فرض سيطرته على الكل، استسلمت، وجلست فترة داخل المنزل، علم نائل بما فعلت، حاول القضاء على، علم أني اقتصرت على مصنع الأدوية، جاء إلي المنزل، استفزني، وهددني وقال:

هل لك شركاء في المصنع يا دكتور.

ـ لا ليس لي شريك.

ـ خذني شريك لك في مصنعك.

لم أستطع رفض طلبه، قلت له:

ادفع مالا بما يساوى الشركة.

ـ يكفى أن أحميك فقط.

لم أتمكن من رفض طلبه أرغمني على مشاركته، حتى عندما عاد ابنى إلى المنزل، رجعت إلى الشرطة، جعلت ابنى يصف شكل خاطفه، شكله مطابقا تماما لأحد رجال نائل.. لكن الشرطة لم تستطع أن تثبت عليه شيئا، سألوه:

أين كنت يوم الخميس الساعة الثانية والنصف.

ـ في البيت مع زوجتي وأولادي، هذا اليوم يوم إجازتي الأسبوعية.

فسرت الشرطة ربما يكون شخصا مشابها له، راقبت الشرطة الحارس

مراقبــة خاصة.. لكن بعد يومين وجدوا الحارس ملقي في أحد جوانب الطريق الدائــري، مقتولا، أختفــى الدليل الوحيــد الذى يربط نائــل بالأمر، أكدت الشــرطة أن ســبب الوفاة نتيجة اصطدام ســيارته بســيارة أخرى، تحطمت سيارة الحارس وفر السائق الآخر بعد الحادث بسيارته، ولم تستطع الشرطة تحديــد هويتــه، قيد الحادث ضد مجهول، لم يســتدل أحد بتــورط نائل في القصية، توجه التهمة إليه بعد أن توفى حارســه، الدليل الوحيد على إدانته في القضية.. أقام دعوى قضائية، اتهمني فيها بالســب والقذف، تشويه سمعة شــخصية عامة، طالبني بالتعويض، لم يكتف بذلك، زاد تعديه وتحديه لي، تعدي على موظفي، أغراهم بالعمل، جذبهم بالمرتب الكبير والحوافز الكثيرة في شــركات الأدوية الخاصة بشركة وددت، أستطاع تفريق رجالي عني، حتي باقي رجالي الذين بقوا معي بعد ثلاثة أسابيع من محاربة نائل لي في السوق، قابلوني في المصنع، وقالوا:

نحن لا نستطيع مقاومة إغراءات نائل وتهديده، سنذهب للعمل عنده.

ــ لم اجبرهم علي البقاء في مصنعي.

أخذوا يتلمسون الطريق إلى شركاته الواحدة تلو الأخرى.

تباعد الناس عني، كما تتباعد الأوراق عن الأشجار بعد أن قطفت ثمارها عند هبوب الرياح عليها، تواري عني. بعد اسبوعين ظهر، يطالبني بشراكته مرة أخرى، قررت مشــاركته، وجدت أن شــراكته، تعيد إلى مصنعي المكانة التي كان فيها، وافقت على الشراكة وطلبت منه:

ــ أن تكون مناصفة في الأرباح.

ــ لك ما تريد.

وبدئت شـراكتي به، اسـتغل اسـم الشـركة في السـوق، تضاعفت أرباح الشركة بسبب الرشـاوى والعمولات، ليكسـب المناقصات والمراهنات، أن لم يحدث اسـتخدم الطريقة الأخرى التهديد والوعيد للموظفين الشـرفاء الذين يرفضـون اغراءاته، ليس بسـبب الاجتهاد والعمل الجاد، لا يسـتطيع أحد الوقوف ضده، وضد حراسـه الذين ينفذون جميع أوامره بلا تفكير، اسـتغل اسم الشـركة ليكسب المراهنات، المراهنة علي دواء البروجستين الذى تنتجه وزارة الصحة، بعد يوم واحد من كسـب المراهنة، قرر رئيس الشركة العامة للأدويـة أعادة المناقصـة.. لآنها لم تبلغ الحد الأدنى للسـعر المحدد للدواء. اشـتكي أعضاء اللجنة بوجود تلاعب في النتائـج، لم يتقدم أحد للمزايد على السـعر بعد تقدم نائل بسـعره، أعيدت المناقصة مرة أخرى، بالكاد لم يتغير السـعر. بعد مسلسـل أخرجه نائل ورجاله، تعجب رئيس الشـركة من عدم تغير سعر المناقصة، سأل:

من الشخص الذى رسيت عليه المناقصة.

ـــ رجل الأعمال نائل.

سمع المدير أسمه، أصر على أعادة المناقصة مرة ثالثة، أتصل نائل به وقال له: اطلب ما تريد يا باشا، كل ما تطلبه سينفذ.

ـ ماذا تقول، هل شاهدتني قبل أخذ رشوة.

اسـتخدم الطريقة الثاني، خطـف أبنته مثل ما فعـل معي حجزها لمدة أسبوع، في إحدى فيلاته القديمة، لم تستطع البنت الصبر علي الحبس، اعتلت صحتها، وافق رئيس مجلس الإدارة على المناقصة، لم تصمد البنت طويلا على الحجـز، لاقت حتفها، ذبلت مثل الوردة الجميلـة التي تذبل، وتموت بعد

انقطاع المياه عنها، علم رجز بوفاة البنت، لم يندم، لم تدمع عيناه، ألقى بها في مكان قريب من المدينة في الصحراء الشرقية على مسافة قريبة من الطريق السريع، ألقى مع البنت أحد الحراس، أبلغ الشرطة عنهما، فتشت الشرطة أحد جيوب القتيل القابع على الأرض، وجدت عنوانا مكتوبا عليه اسم رجل بالقلم الأحمر ومكتوبا بجانب الاسم:

ـ أقتلها، وتعالى إلى فيلا المقطم.

استطاعت الشرطة أن تحدد مكان الفيلا نصبت الشرطة كمينا، داهمت الفيلة برجالها، لم يستسلم الخاطفون، بدأوا بإطلاق النار، أطلقت الشرطة عليهم النار أبادوهم جميعا.

علم الأب بوفاة ابنته، أصيب بحالة هستيريا، استقال من عمله، اختفى عن الناس، لم تستطع الشرطة إدانة نائل أو رجالاه، لأن جميع الموتى من الخاطفين، ليس لهما علاقة بنائل أو حراسه، بعد هذا توارى نائل عن الأنظار كعادته القديمة، يرتكب جرائمه، ويختفى لكى ينسى الناس ما فعل، الوقت هو القادر الوحيد على النسيان.. لكنه يدير الأمور من خلف الستائر باستخدام أوراقه الخاصة رجال الأعمال التابعين له، يأمرهم، يطيعوه كل ما يفعله هو متابعة وأمره، يكفى لرجال الأعمال التابعين لنائل ذكر اسمه عند بدء المناقصة، يترك الجميع المناقصة باقل سعر، لم يقتصر نائل على المرهنات والمشاركة في الشركات الناجحة، تعدى الأمر ذلك، أمر حارسه مداهمة الملاهي الليلية، أخذ منها مبالغ مالية، لم يقول أتاوة كما السابق.. لكن اسمها هدية، لحمايتها من المتطفلين ومن الزبائن، استخدام حارسه الأقوياء في اقناع الجميع، استثمر حراسه في حماية الشخصيات العامة حتى

الشـخصيات الرياضية، أخذ منها مبالـغ مالية للحماية، وصل الأمر معي إلى الحد الذى لا يسـتطيع الرجوع معه، بلغـت حدة النقاش إلى ذروته، وجهته بصراحة، وقفت في وجهه، صرخت:

ـ انتهت علاقتنا معا منذ الآن.

تركتـه في مكتبـه، وخرجت، لم يتفوه بكلمة واحـدة، هل وافق على ما قلته؟ أم أنه لم يصدق؟ ما فعلت أما أنه واثق من نفسـه، يعرف أنى سـأعود إليه، صدقت نفسي، دخلت أحد المناقصات باسم الشركة، رست المناقصة على بعدها باقل من ساعة واحدة، اتصل بي يحذرني ويقول بصوته، الخافت:

ـ أن لم أكن شريكا لك في المناقصة سأفعل ما فعلته من قبل.

أغلـق الخـط وتركني لا أعرف ماذا أفعل؟ اتصلت بالشـرطة، علم رئيس الشرطة مني من هو، قال في خوف:

ـ من الأفضل أن تتصالح معه وتنقذ ما طلبه منك، لا أحد يستطيع الوقوف في وجهه هذه الأيام، حتي نحن، يوجد خلفه من يسهل له الأمور.

تعجبـت مما قالـه لي رئيس الشـرطة.. لكنى عرفت إنـه لا مناص من مهادنته حتي ينتهي صيته وتزول شوكته.

الحيوانـات البريـة عندما تعجـز عن التخلص منـه، تتركه حتي يأتي حيوان أخر أقوي منه يقضي عليه.

طلبـت مقابلته محاولا التصالح معه.. لكنـه أخذ يتملص مني، يضمر في نفسـه أمرا، انتظرت ثلاثة أيام بعده، اتصل بي، وافق على الشـراك.. لكنى وجدت مصنعي محترقا على أخره، واجهته، لم ينكر الأمر، قال لي بأعصاب باردة:

أنه حرق المصنع حتى أكون عظة لكل رجال الاعمال الأخرين.

صمت قليلا ثم استطرد:

ـ اما مصنعك أو تخسر ابنتك إلى الأبد.

الأفكار تراودني، هل أبلغ الشـرطة أم لا؟ في النهاية لم أسـتطع الإبلاغ، أتت الشرطة لتعرف سبب الحادثة، لم اتفوه بكلمة واحدة حتى ضابط المباحث الذى يحقق في الحادثة، يعرف جيدا. من تسبب في الحريق.. لكنه لا يستطيع توجيه التهمة إليه، لا يقدر على أتهمها، حتى يحتفظ بمكانه في عمله حتى يستطيع الأنفاق على أسرته، يحافظ عليها. قيد الحريق ضد مجهول، سألته:

ـ لماذا فعل ذلك ؟

إجاب على:

ـ هذا لصالحك؟

أحسسـت بالعجـز، الدموع تسـقط من عيني كما تسـقط الميـاه من أعلى الشـلالات العمالقة، الصرخات المكتومة داخلي، تمـزق أطرافي الداخلية، لا أسـتطيع أن أخرجها خوفا من الموجودين بجانبي، الحزن داخلي مثل القنابل الذرية التي أن انفجرت تزيل كل جزء من جسدي، لكى لا أستطيع إخراجها. أصبحت الحياة حولي مغلقة، كأنها دائرة مفرغة ليس لها بداية ولا نهاية.

ظننت أن الحياة أولهـا وأخرها نائل، عزفت عن الحياة، التزمت المنزل أصبحت هائما، في الكون بلا هدف حقيقي، تركت الشركة، أعادها كما كانت اصبحت حبرا على ورق ليس لي رأى، لا أمتلك شركتي التي أسستها وبنيتها بمجهـودي ومجهود من معي، أذهب إلى الشـركة مطأطأ الرأس، لا أرى، لا أتكلم مع الموظفين، ينظرون إلى بنظرة الضعيف الذى لم يستطع أن يحافظ على

شــركته، التزمت الصمت، ملازي المســجد الذى أقمتــه بالقرب من مصنعي، يقابلني فيه أصدقائي، لا أذهب إلى منزلي كثيرا، حتى قدم إلى في المسجد أحد أصدقائي، قال:

ــ أن ســبب قوة نائل حراسه المصممون باستخدام الجينات، ليسوا حراسا عاديين، الدكتور محمود هو من صنعهم.

(٥)

أنت المسئول عن القوة غير العادية، ظهرت على حراسه. عالجتهم جينيا ليكونــوا بالقوة التي هما فيها، أنت الوحيد القــادر على إيقاف هذا الرجل، أن كان الاختراع ليس لك، تســتطيع أن تخترع لنا مضادة للجينات المستخدمة للحارس، وأن كان الاختراع اختراعك، يجب أن توقف العمل فيه، وتســاعد النــاس في القضاء على مــا فعلت، وقف الدكتور مذهــولا، لا يعرف ما يقوله إلى صديقــه القديم، أتى إليه يجــر أذيال الخيبة والندم، تقدم بخطوات قليلة ناحيته، لا يعرف ماذا يقول له يتفحصه بعينين زائغتين، سأل بتعجب:

ــ يا صديقي، هل ما تقوله صحيح، تستطيع أن تثبت ما تزعمه.

أجاب:

ــ تعالي معي إلي الســوق، ارجــو أن نكون متخفين حتي لا تلمحك عيون نائل المنتشــرة في الأســواق التي ترصدك في مكان، تذهــب إليه لا بد أن تغير ملابسك، وشكلك، وبعض تقسيمات وجهك.

سمــع الدكتور كلماته غير تقســيمات وجهه، لبس الجلباب الطويل لكى يظن الجميع أنه معلم من معلمي الخضر والفاكهة.

حدد يوم الخميس الســوق الأسبوعي، خرج من السلالم الخلفية للعمارة، فعــل رائد مثل فعــل الدكتور محمود تقابلا في ســوق الفاكهة، أظهر الدكتور المــال، ليطمئن التجــار إلى جانبهما، ويحكون له ما يدور في الســوق، أطمأن

التجـــار لهما، حذره من الحـــراس، وحددوا له المبلغ الـــذى يأخذه الحراس من التجار، ليحموهم بالســـوق، ونصحه أن يدفع لنائل وحراسه لكى يتجنب شـــره، وقص عليه قصة ذاكـــر كبير معلمي الفاكهة الـــذى وقف في وجه نائل ورجاله، أشـــترى وباع بالســـعر الذى حدده، ليس بالســـعر الذى حدده نائل لم يســـتمر طويلا في الســـوق، بعد يومين وجدوه ملقى بأحد الخرابات القديمة بجوار الســـوق مبتور الساقين والدماء، ســـالت بجانبه حتي غطت على سطح الأرض، ادخلوه المستشـــفى القريب وبعد شهر، خرج مبتور الساقين يتحرك على كرســـي كهربي، لا يستطيع أن يفتح محله، باعه إلى نائل، بعد الحادثة يتحكم في الأســـعار، لا يســـتطيع احد أن يقف في وجهه، حاول أن يدخل أحد المناقصات الصغيرة لكمية قليلة من الفاكهة.. لكنه، وجد رجال نائل بالمرصاد له، وجد أحد التجار ينصحه دون أن يعرفه، يأمره، قائلا:

ـ ادفع لنائل بدلا من أن يحدث لك مثل ما حدث لتاجر الفاكهة،

لم يرضـــخ الدكتـــور لكلمات الحارس دخل المناقصـــة، قابل أحد التجار، أمره قائلا:

خذ الأذن من نائل،لآن نائل لا يملك صفة من صفات الإنسانية. قضى على أحد أصدقائـــه، الحاج فتيحي الصائغ، كان من الأصدقـــاء المقربين له، يحبه نائل يتقرب منه باســـتمرار، قبل أن يقلب عليه في يوم ويسرق جميع أمواله، في مساء يوم، وجد الحاج فتيحي جميع محلات الذهب الخاص به خالية تماما مـــن الذهب في يوم واحد، اختفـــى الذهب من المحلات، لا يعلم من الذى فعل به، لم يتخيل أن يكون الفاعل صديقه القديم نائل الصديق الوحيد له في الدنيا.

لم يتخيـــل أبدا الدكتور محمـــود، أن يتبدل حال الحـــراس، زرع فيهم

كل الصفـات الخاصة بالعطف والكرم والأمانة والإقـدام، كيف تتبدل صفات الحـراس؟ التي صنعها؟ لم يتخيل أن يسـتطيع نائل تبديل في صفات الحرس الخلقية، لآن الخريطة الجينية معه وحده،

ـ هل يتأثر سـلوك الأنسان حسـب المجتمع الذى يعيش فيه؟ هل تتغير الصفات الإنسانية على حسب صفات المجتمع الذى يعيش فيه الفرد؟

هذا الأسئلة وردت على بال الدكتور محمود، الكائنات الأبرياء لا تتملك التحكم في نفسـها، بها جميع الخصائص البيولوجية للإنسـان العادية ولكن ينقصها شـيئا هاما التحكم في جميع الصفات، وتميزها، منحها الله للإنسـان لذلك تحتاج الإنسـان ليتحكـم فيها، لا تعرف الأخـلاق النبيلة، لا تعرف الكرم والشجاعة، التحكم في صفات الإنسان، تتم عن طريق المجتمع، تكتسب الأخـلاق من المجتمع الذى يعيش، تقنن الصفات الحميدة والسـيئة حسـب المجتمع.

الحـب جريمة في مجتمع ما وفى بعض المجتمعات الاخرى، يعتبر عدم الحب المبكر من الصفات التي يجب أن يكتسـبها الإنسـان. قص عليه صديقه رائد قصة أحد الأصدقاء، الذى خطف، وحقن في شـركة وددت بعقار جعله لا يستطيع التحكم في عقله.

قـرر الدكتور محمود أن يأخذ طريـق النصح، الطريق الذى يعرفه، لعله يتوقف عن القيام بإعماله وإلا كما صنع حراسـا له، يستطيع أن يصنع حراسا آخرين أشـد من حراسـه قوة، أو يفتتهم إلى خلايا صناعية، يسـتطيع بمادة صناعية، تحويلها إلى خلايا أخرى، يسـتطيع تغير صفاته بالإشـعاع، لتغير

صفاته الوراثية. ذهب إلى مكتبه في الشركة. دلف إلى داخلها، رآه نائل وقف مرحبا قائلا:

ـ أهلا يا دكتور.

تحرك الدكتور يمينا ويسارا: قال:

ماذا حدث بينك وبين رائد.

لم يفزع نائل من كلمات محمود قال في صوت هادئ:

ـ تنافس بين شركتين في صناعة الدواء، كل منا يملك مصنعا لصناعة الدواء، يدخل نفس المناقصات لتوريد الأدوية للقطاع العام، المنافسة مشروعة بين الجميع.

سأله الدكتور باستنكار:

ـ هل المعلم ذاكر من المنافسين لك في سوق الدواء.

رد نائل بغضب:

ـ من هو ذاكر ؟

أجابه الدكتور محمود:

ـ تاجر فاكهة بسيطة، يكسب بالكاد قوت يومه. هل صديقك الحاج فتيحي ايضا بينك وبينه منافسة شريفة؟ هل كان بينك وبينه مبدأ المكاسب والخسائر.

اندهش نائل لمعرفة محمود بكل الأمور صمت قليلا ثم قال:

ـ إنها التجارة، تفعل ما هو ضروري، لتكسب حتى تنفذ المتطلبات التي عليك نحن شركة، تعداد الموظفين بها يتعدى المليون، كيف نستطيع أن نؤمن المرتبات الشهرية لهذا العدد من العمال؟

صرخ الدكتور محمود في غضب:

ـ هل تسـرق من أجل تسـديد رواتب العاملين عندك، هل السرقة ترتبط بالتجارة المهنة التي عمل به أشرف الناس الأوائل من الصحابة، ونبيهم.

صمت قليلا ثم استطرد:

ـ هل احتكار السـوق، وفرض هيمنتك عليه، وإرهاب الأبرياء من الناس حتي يتركوا لك السـوق، لتفرض سيطرتك عليها، تجارة، ليست التجارة في استغلال الناس، لتفرض سيطرتك عليهم.

طأطـأ الدكتور محمود رأسـه إلى الأرض، انكمشـت ملامـح وجهه، بدا الحزن عليه وقال:

ـــ العيب ليس عيبك وإنما العيب في أنا، صنعت لك القوة التي تسـتطيع بهـا أن تملك الأرض، علمتك كيف تتحكم فيهـم، اتبعهم كالميكانيكي الذى يتبع السـيارة يكشـف على العطـل الخارجي الظاهر، أو العطـل الباطن، لا يكشف عليه يتركوه.

صمت ثم همس في ندم،الحسرة تأكل وجهه:

ـــ كيف أقابـل أصدقائي، صدقنك لما قلت لي، أنـك تريد تحقيق التوازن في المجتمـع، تريد أن تأخذ من الغني لكـى تعطي للضعيف، تريد أن تنتصر للضعيف من القوي، ليس أنت من تفعل ذلك، نسـيت ما فعلته بي أنا نفسـي صمـت الدكتور محمود نظر بوجهه المقضب وعيناه الممتلئان بالحسـرة والندم وجبينه الذى يزرف العرق، نظر إلى عينا نائل متسمرا، نظر إليه نائل بهدوء قائلا:

ـ يا دكتور إنه السوق، من يشترى لا بد أن يبيع، ومن لم يكن أسدا أكلته

الذئاب، من لم يستطع اخضاع الناس خضع إليهم واستكان.

صاح الدكتور محمود في غضب:

ـ يجب أن تتنازل عن حراسك أنا من صنعهم ومن يستطيع توجههم، هم مسئولين مني.

نظر نائل إلى الدكتور محمود بتجهم وقال في هدوئه المعتاد:

كيف أترك حراسي، من جعلوني ما أنا فيه، لا أظلم أحدا يا دكتور.. لكن الناس تطمع، تريد أن تأخذ بلا حدود، تريد أن تأخذ ولا تعمل.

نظر الدكتور محمود له باقتضاب وقال:

ـ لو استمررت في فعلك، سوف أمتنع عن الكشف الدوري الأسبوعي علي الحراس، خلاياهم تحتاج للتجديد، إعادة نشاط.

نظر إليه بابتسامة خفيفة وقال:

ـ يا دكتور نحن نعرف، صنع راجز والدكتور ناصر جهازا لتجديد خلايا الحراس، في مركز شركة وددت، منذ شهرين لم تأت إليك، أنت لا تتذكر أمر بسيط وطبيعي.

(٦)

نظر إليه الدكتور محمود باقتضاب وحسرة، تركه، نزل من مكتبه، أحس بالندم لا يدرى ماذا يفعل ؟ لا يحس بخطواته التي يمشيها، لا يحس بحركة ساقه، تائها عن الدنيا، هل يترك نائل ينجو بما فعل؟ إحساسه بالندم يجعله كالشجرة التي تتساقط أوراقها من قوة الرياح، لا تستطيع أن تفعل شيئا، أتته الفكرة سريعا، يستطيع أن يصنع حراسا أقوى من هؤلاء الحراس، ويوجههم لنصرة المظلوم، وخدمة الوطن.. لكن من يكون مسئولا عنهم، إنه صديقه الدكتور رائد، أحس بالظلم والمهنة، يحتاج إلي صفات وراثية جديدة غير تلك الموجودة عند حراس نائل، لا تظهر العيوب الموجودة في هؤلاء الحراس، ستحقن الخلية الحية الأولى بالصفات الوراثية من بنك الجينات في مركز محمود، تتكاثر الخلية طبقا، للخصائص الوراثية المكونة لها حتى تكون عضوا كاملا عن طريق الصفات الوراثية الموجود في الخلية، تكون باقي الأعضاء تحت تأثيرات خاصة، يتحكم فيها الدكتور محمود يوجه الخلية لتكوين العضو الذى يريده. ذهب رائد إلى مركز الدكتور محمود اقترح عليه قائلا:

ـ يا دكتور سنأخذ الصفات الوراثية من حرسي.

ـ نعم سوف أخذ الصفات الوراثية من حراسك الذين أختارهم أنا، وسوف أضيف صفات وراثية خاصة من عندي.

ـ أفعل ما تريد يا دكتور.

اختار الحراس، وجعله أمرا سريا، قال للجميع:

ـ أنه يقوم بكشف دوري على الحراس، ليتأكد من قدرتهم على تحمل أعباء العمل اليومي، أخذت الجينات والوراثية الخاص بهم بدلا من الجينات الوراثية الموجودة في بنك الجينات.

أسرع الدكتور محمود بعملية التكاثر في الخلايا حتي تتم العملية سريعا، وتوارى عن أعين نائل ورجاله الذين يلحقونه كل دقيقة، يحسبون عليه الأنفاس التي ينفسها، يعرف جيدا أن الخطر الوحيد عليه الآن هو محمود، بعلمه أخلاقه المثلية التي نسيها المجتمع، زاد عليه الحراس، يتوخى الحذر في عمله والحيطة، يعلم ما يخبأه له نائل لذلك سابق الزمن في إتمام العملية بعد ثلاثة أشهر تقريبا، فوجئ نائل بالدكتور رائد، يفتح مصنعا ويبيع الأدوية في الأسواق بأسعار مناسبة لدخل الأسر التي بالكاد تكسب قوة يومها، بالكاد تستطيع أن توفر نفقات الحياة، لم يسعد نائل بذلك، هرع إلى مصنع الأدوية مثل الطائر الجارح عندما ينقض على فريسته، فوجئ الدكتور رائد به أمامه في المصنع، سأله رائد:

ـ ماذا تريد مني؟

أجابه بهدوئه المعتادة:

ـ أريد نصيبي.

ـ ليس لك عندي شيئا، افعل ما تريد.

رد عليه نائل بصوته الهادئ:

ـ سوف تندم على ما تقوله.

صرخ رائد بصوت حاد:

ـــ افعل ما تريد.

لم يتخيل نائل أن يكون الدكتور رائد مستعدا له حتي ولو ساعده الدكتور محمود، لآن صناعة إنسان بديل، يحتاج على الأقل سنتين.. لكن الأمر كله في يدى محمود، يعرف كل شيء عن الموضوع، الفكرة فكرته، يعرف كيف يطورها، ظن أن رائد لن يستطيع مقاومته، انتهز الفرصة ليقضي عليه، ذهب إلى مصنعه وبرفقته حراسه، وقف بينهم اصطنع مشادة كلامية بينه وبين نائل، وقف بعض الحراس حائلا بينهما، أشار نائل إلى حراسه ببدء العراك.

بدئت معركة حامية الوطيس، لم يعلم نائل بما يخبؤوه له القدر، يريد أن تظل الدنيا كما هي يحكم بقبضته الحديدية على الأسواق. القوة تميل إليه، معه حراسه المدربين المدججين بالأسلحة. بدأت المناوشات والمشاحنات، أنقض أحد حراس نائل على أحد حراس رائد، أوقعه أرضا توقع رائد ذلك، أظهر حراسه العاديين في المقدمة، وأخفى حراسه الأخرين في الخلف نشبت المعركة بين الحراس، هم حراس رائد لمساعدة أصدقائهم على الوقوف في وجهه، تكاثر عليهم حراس نائل تصارعا، الغلبة لحراس نائل إلي أن ظهر حراس رائد المستنسخين من الحجرات الجانبية للمصنع، انتقضوا علي رجال نائل، حراس أخرون أشد منهم قوة وبطشا.. استطاعوا أن يقلبوا الأمر إليهم تقهقر حراس نائل للخلف حتي وصلوا إليه، صاح نائل بصوت أجش:

ـــ تقدموا لا تتقهقروا للخلف.

قتل الكثير من حراس نائل في وطأة المعرك القاسية، نتيجة لصياح نائل القوي تقدم حراسه بلا تفكير إلى المعارك، اصطادهم حراس رائد الواحد تلو الآخر حتى تتناثر اجزاء حراسه صرعي على باب المصنع، كأنها قطع من

لحــوم البقر المعدة للتقطيع والبيع، تتناثر أشــلاء جنوده، أحس بأن هزيمته قريبة، توارى عن الأنظار خلف أحد الأعمدة الإسمنتية القريبة، اختفى حتي شاهد أخر جندي من جنوده، يقتل أمامه، فر هاربا يجر أذيال الخيبة خلفه ويعود أدراجه إلى منزله، لا يصدق ما حدث أمامه، يسأل نفسه:

ماذا حدث لجنودي الأقوياء ؟

اختفي نائل عن الســوق كما يختفى الغبار بين الرياح، تتطاير بعيدا إلى مكان لم يعرفه أحد، أخفه صديقه العزيز راجز.

تبخر كما تتبخر قطرات المياه الصغيرة من الإناء عند غليها فيه، لا أحد يعرف أين تذهب؟

ظــن الناس أن أحوال الســوق، تغيرت، انقضت حقبــة نائل ومن معه، انطفأت نيرانهم التي كانت تلتهم الجميع.. لكن تأتي الرياح بما لا تشــتهي الســفن بعــد، ظــن الدكتور محمــود أنه انتصــر.. ولكن نائل تخفــى ليكون أقــوي.. بعد أســبوع زال الصفاء، ظهــرت عصابة نائل في المــكان القديم أمام باب المصنع، جلب معه باقي الحراس الذين لم يشــتركوا في المعركة السابقة، يدخــر بعض الحراس في مصنعه، لم يدخلوا المعركة الســابقة، باغت حراس رائــد على غرة هذه المرة التف حولهم قضي على كل حراس رائد المستنســخة والحــراس الطبيعيــين، لم يتبق منهم أحد.. لكن قتــل في المعركة كل حراس نائل المستنســخين، لم يتبق منهم إلا أثنين مصابين على شفا حفرة من الموت، يســتطيع نائل أن يعيدهم مرة أخرى، توارى رائد في شقة قريبة من مصنعه، انتظر الدكتور محمود لمدة ثلاثة أيام في مركزه القديم، ليختفي عن أعين راجز ونائل، يعمل متخفيا دون أن يعلم به أحد،

لكنــه صمم على صناعة حــراس أخرين، يســتطيعون القضاء على رجال معتوق بســرعة، رجع إلى فكرته القديمة تصنيــع الخلايا من خلية صناعية، يصنــع الجين ويصنع البروتين والروابط بين الجينات، شــرع في صناعة خلية تســتطيع صناعة خلايا مماثلة، الخلايا تكون عضو له نفس خصائص مشابهة للبشر.

صنع الدكتور أول إنسان من خلايا صناعية، بجميع وظائف الكائن الحي الخلقية والبيولوجية، اســتطاع الإســراع في عملية النمو والتكاثر كل ما يملآ مخيلتــه هو القصاء على نائل ورجاله وســيطرته على الأســواق، يحس بأنه المســئول الأول عــن أفعال نائل وحراســه، لم يكن يتخيلهــا نائل أو من معه الحراس المصنعة، تشبه الحرس الســابقين لا أحد يستطيع أن يفرق بينهما، الانسجة الصناعية تستطيع التمدد والاستبدال بسهولة.

اســتطاع نائل علاج الحارســان، وإعادة كل صفاتهم المختلفة، نصب رائد كمينا لهما جعل حارسان يقفان في المكان الذي كانا يقفان فيه قبل المعركة على باب المصنع، علم نائل بالحارسين المتواجدين على باب المصنع، وقفا الحارسان لمدة ساعات على باب المصنع دون حراك، بعث نائل من يستكشف الخبر، ظن أنهما حارســان بقيا من المعركة السابقة، يجب القضاء عليهما سريعا، قبل أن يتمكن الدكتور محمود من عمل آخري مثلهم، ايقن أن الدكتور لا يســتطيع أن يقوم بصناعة آخرين في هذا الوقت القليلة، أسرع نائل إلى المصنع، فوجئ بأمر لم يمكن أن يتوقعه، إنهما نفس الحارســين القديمين المشابهين تماما، حاول أن يتغلب عليهما بالحيلة، لا يستطيع التفريط في حارسيه المتبقيين، استخدم الأســلحة الناريــة، بدأ في التصويــب إليهما بالفعل، دخلــت الرصاصات إلى

أجسادهم.. لكنهما لم يتحركا بعد لحظات صغيرة، انطلق إلى الحرسين فوجئ نائل ورجاله بكل الحراس السابقين، يأتون من خلف الأبواب، ينقضون على رجال نائل إلى أن قضوا علي الحرسين المتبقيين لديه، اختفى نائل خلف الستائر ثم توارى على الأنظار، أتت الشرطة، أعد الدكتور محمود كل شيء برر الواقعة التي حدثت بين حراسه وحراس نائل، قائلا:

الحراس كانوا يؤدون واجبهم، فجأة أنقض عليهم حراس نائل بالنيران، اختفوا خلف الجدران حتي جاءت اللحظة المناسبة انقض الحارسان على حراس نائل، معهم باقي الحراس. اوقعوهم أرضا لم يقصد قتلهما.

اقتنعت النيابة ببراءة الحراس، اخلت سبيلهم بعد ما أكد لهم الدكتور أن الحارسين المقتولين حارسان صناعيان مصنوعان بالجينات، اغلقت القضية، جاهد الدكتور محمود في إخفاء سره عن الجميع بما فيهم وسائل الأعلام حتى عن المحيطين به من الأصدقاء حتي عن الجامعة التي يعمل بها، بعد انتهاء كل الحراس إلى الشركة.

استطاع الدكتور محمود أن يبرمج الحراس على العيش كآدميين، يؤدون الصفات البيولوجية التي يقوم بها الإنسان العادي، أكسبهم نفس الصفات الجسمية التي كان الحراس الطبيعيين يتمتعون بها بعد التدريب المستمر على القيام بكل الصفات التي كان الحارس يقوم بها سابقا، أمرهم الدكتور محمود بممارسة حياتهم التي ينتمون لها والعودة إلى منزلهم التي رسمها لهم بدقة،

(٧)

هناك أشياء لم يتعلموها، المعاملات الإنسانية بينهم بين عائلاتهم، العلاقات الجنسية بينهم وبين زوجاتهم، تختلف فن التعامل بين الحرس وعائلاته، السلوك يختلف من شخص إلى أخرى.. لكن بعد شهر اشتكت أحدى الزوجات أن الرجل الذى يسكن معها في نفس الشقة، قالت:

ـ ليس زوجها.

قبلها توجهت إلى الشركة التي يعمل فيها، وقالت للمسئولين:

ـــ أن الرجل الذى عاد ويعمل عندهم ليس زوجها، تبدلت عاداته وسلوكياته.

لم تجد الإجابة على أسئلتها، ينكرون ما تقوله لم تستطع الحياة مع زوجها، طلبت الطلاق، لم يوافق الزوج،لا يعرف غير إنه الشخص يحمل صفاته الوراثية، عندما لم تجد قبول منه، قدمت طلب من المحكمة بالطلاق من زوجها، لأنه اصبح أكثر عصبية، تغيرت معاملاته مع أولاده، تغيرت العلاقة الجنسية التي كان يداوم عليها، أكدت للقاضي، استحالة العشرة بينهما.

قدم الرجل مبرراته للمحكمة بأنه يتعرض لمشاكل في عمله بسبب الشد العصبي الذى عنده، لا يريد الانفصال عن أسرته. كادت المحكمة تحكم للرجل، لولا أن المرأة صرخت:

– هـذا الرجل ليس زوجـي، زوجي توفي، لا أعرف كيف أعيد إلى الحياة مرة أخرى؟

ظن القاضي أن المرأة مجنونة، وبصرامة قال: ما هو دليلك أن الرجل ليس زوجك.

ألزمها بتقديم الدليل على صحة كلامها، وإلا تعرضت إلى للعقاب، قصت علـى القاضي حكايتها، غاب زوجها هو وزملاؤه في العمل لمدة ثلاثة أسـابيع عن منزلهـم، ولم يتقدم بعذر ما، ذهبت وجميع الزوجات إلى الشـركة التي يعملوا بها، قالوا لهم:

أزواجكن يعملن في مهمة خارج البلاد، لن يعودوا إلا بعد سـتة أشـهر أو سـنة، ذهبن كل الزوجات إلى بيوتهن، جلسـت أنا أنتظر لم أصدق ما قالوه، ترددت على الذهاب إلى الشركة، سمعت نفس الكلمات ولكن في أحدى المرات، انتظرت خلف الباب، تواريت عن الأنظار سمعت همسات الحراس، انتظرت ساعة بل ساعات، لا يراني أحد بعد الانتظار.

وجـدت حراك في المصنع لم أتعـود عليه بعض الرجال يدخلون إلى المصنع مهرولـين وآخريـن يخرجون منـه مهرولين. سمعت صـوت الرصاص يطلق بغزارة. وبعد لحظات وصلت مجموعة من سـيارات المصنـع، توقفت امامه، نزل منها بعض الرجال معهم بعض النقلات، اسرعوا بدخول إلى دخل المصنع سـريعا، وبعـد لحظات قليلة، خـرج الرجال من المصنع مـرة أخرى ومعهم النقـالات، يحملون فوقها أشـياء مغطاة بالمـلاءات البيضـاء تغطيها من كل الأطراف، ظننت أنها المواد التي تصنع داخل المصنع، انكشف الغطاء الابيض عن أحدها فظهر الوجه الذى يوجد أسفله.

رأيت الوجــه عرفت أنه وجهه صديق قديم لزوجــي، الدماء تغطيه فاقد الحركة، نظر إلى أحدى الحراس ووارى الجثمان، صرخت بأعلى صوت:

– يا رائد بيه أين زوجي ؟ أين زوجي؟

لم يلبّى أحد النداء، تركوني،ذهب الكل ينطلقون خارج المصنع مسرعين، توقف أحد الحارس أمامي تماما صرخت فيه:

– أعرف هذا الرجل ماذا حدث له ؟

أشــاح وجهه عني. هرولت خلفه أحثه على الكلام، أتوسل إليه أن يقول لي ولو كلمة واحدة بعد فترة قال:

– الأعمار بيد الله صمت سالته: زوجي بالداخل هل حدث له مكروه.

قــال بعد نظر إلى الأرض: البقــاء لله كل الموجودين من الحراس في الداخل ماتوا صرخت بأعلى صوت لي:

– زوجي، زوجي.

لم يــرد على أحد حــتي الحارس، وضــع النقالة داخل الســيارة، انطلق ســريعا، لا أعلم أين ذهب، تســمرت في مكاني، التصقت ساقي بالأرض، كما تربط الجذور بالنباتات، عجزت عــن الكلام وبعد لحظات، ظهرت مجموعة أخرى من الحراس والســيارات، اطلقت الصرخات من فمي دون توقف، وقف أحد الحرس، أشار إلى الحارس الأخرين بالتوقف، أتي، قال:

– ماذا تريدين؟

رددت عليه قائلة:

– أريد أن آري زوجي.

نظر إلى بتعجب وعطف وقال:

ـ ومن هو زوجك؟

زوجي هو محمد ربيع.

تعجب من كلماتي وقال لي:

ـ لا أعرف أحدا بهذا الاسم.

صرخت بشدة:

ـ يعمل منذ فترة في الشركة، لم يأت إلى المنزل منذ ثلاث أسابيع، تقدم أحد الحراس الآخرين، سمع بكائي وعويلي، يبد أنه أصابته نوبة من الحنان والعطف وقال:

ـ تعالي معي إلى الداخل.

انطلقت معه نظرت بعيني وجدت مجموعة من الأسر المتنقلة علي عجلات وتعلوها ملاءات بيضاء، يوجد أسفل انتفاخ يشبه شكل الإنسان بوضوح أشار إلى، قال:

ـ أكشفي الأغطية لتتعرفي على زوجك، كل الحراس موجودون على هذه الآسرة كشفت الغطاء على وجه الأول، شاهدته أغمضت عيني من منظرها المدرج بالدماء، قال:

ـ أسرعي حتى لا يأتي أحد ويرانا.

كشف الأغطية عن وجهه كل جسد منهم الوحد تلو الأخر، حتي كشفت الغطاء عن وجه زوجي، عندما رأيته، صرخت بصوت عال:

ـ زوجي أبو مازن.

تساقطت الدموع من عيني، حاول أن يخفف عني.. لكنه لم يستطع. الحزن كأنه بركان وانفجر بالمواد البركانية اللفا، هل تصلح الماء لكي تطفئ

البركان؟ الذى انفجر داخل جسدي النحيل؟ أشار بيده إلى وطلب مني، قائلا:

لا تصرخي حتى لا يسمعنا أحد، هيا نذهب بسرعة لكى لا يرانا أحد هنا. قالت بصوت عال:

ـ لن أذهب وأترك زوجي، خاف الحارس أن يكشفه رئيس الشركة.

قال:

ـ هيا نذهب لنجلب سيارة ونأخذه معنا.

قلت في بلاهة:

ـ ليس معي سيارة،

بحث الحارس داخل جيب الجاكت، اخرج مفاتيح من جيبه، انطلق إلى الخارج، أدار السيارة أوقفها دائرة أمام الحجرة، قال:

تعالي معي.

جذب السرير الملقي عليه جسد زوجي، أخرجه خارج الحجرة، جذبني من يدي، اخرجني للخارج، دلفت داخل السيارة، ألقي بجسد زوجي في حقيبة السيارة، دلف بداخلها وانطلق بنا سريعا، طار كما يطير الطائر الخائف من حيوان جارح، أشار إلى بدفنه سريعا في مقابر الاسرة قبل أن يعلم باختفائه رئيس المصنع، أمرني، قائلا:

ـــ لا تتكلمي في الأمر، واجعليه سرا، لا تبوحي به لأهالي الحراس الأخرين، حتي لا يعلم رئيس الشركة، يطردني من العمل.

رجعت إلى منزلي، أجر أذيال الحسرة والخيبة، لم أتفوه بكلمة واحدة لأزواج الحراس الأخرين، حتي لا أثير القلق بين صاحب المصنع وصديق زوجي الذى أرشدني إليه، حتي لا أتسبب في غلق المصنع الذى يعمل فيه

ألاف الموظفين، بعد أن واريت زوجي في قبره ظل صاحب المصنع، يرسل إلى مرتبه، لم ينقص منه مليما واحدا، زاد عن المبلغ الذى كنت أخذه كل شهر من زوجي، يحاول أن يعوضني، لا يعرف أني علمت بسره، أغلقت فمي لم أقل كلمة واحدة، المبلغ الذى أخذه منهم أخر كل شهر، انفق منه على ولدي وعلىّ.. فجأة! بعد مرور حولي ثلاثة أشهر، وجدت من يطرق الباب علي بشدة، فتحت الباب وجدته، لم أصدق ما يحدث أمامي، نظرت إليه بشدة لا أعلم ما أفعل، أهمس في نفسي:

هل هذا الرجل الذى أمامي زوجي أم لا؟ هل خرج من القبر؟ هل عاد إلى الحياة ؟

أخذتني المفاجأة بعد أن ناداني باسمي، جلست على الكرسي القريب حتي خرج الأولاد من الحجرة، تصافح معهم، وقفت في مكان قلت:

ـ من أنت؟

قال في دهشة:

ـ أنا ابو صالح.

لكنى دفنت ابو صالح من ثلاثة اشهر تقريبا في مقابر العائلة.

رد على في ثقة كأنه كان يعرف ما فعلت بالضبط:

ـ من دفنته في مدافن العائلة رجلا آخر غيرى، يشبهني من صنع الدكتور محمود، فعل ذلك حتي نختفى عن أعين نائل ورجاله، حتي لا يرانا فيقتلني ويقتل باقي الحراس الآخرين،

قرر الدكتور رائد أن نختفي جميعا، حتي نثب عليهم فجأة، لنقضي عليهم، انتظرنا حتى ظنوا أنهم قضوا علينا، فاجأناهم، قضينا عليهم، لم

نترك منهم أحد بعد هـدء الحال. جئت إليك ثانية. اطمأننت إلى كلماته بعد أن أكد لي إنه زوجي وابو أولادي.. لكن بعد أيام، لحظت تغيرات عليه كثيرة في سلوكه في أخلاقه في أفعاله، السبب الأول الذى جعلني أشك فيه، ابو صالح كان يعرف كل شـيء عن أولاده، هواياتهم، شخصياتهم، الطريق التي يدخل عليهم بها لكى يسعدهم، لينفذوا ما يقوله بدون تزمر، معاملته معي تغيرت حتي طريقة ممارسة الجنس، تغيرت، تبدلت، يعرف كيف يرضيني، كيف أحـس بالمتعـة، تبدلت الأمور، لم يعـد نفس الرجل الـذى تزوجته، أصبح مختلفا.

تأكـدت أنه ليس أبـو صالح زوجي ابـو أولادي، واجهته بالأمر. حاول أن يثبـت بالبراهين أنه ابو أولادي. لم أصدقـه، تاهت كل أفكاري. أصبحت كالنبات الأخضر في وسـط صحراء جرداء لا استطيع ان أصدق ما يحدث طلبت منه الطلاق عدة مرات، ولكنه آبى أن يطلقني، اسـتمر في عناده معي، حاول ان يبتزني عدة مرات، يسـاومني على الطلاق ليست أخلاق زوجي الذى عشت معـه، وانجبت منه اولادي، اضطـررت أن أت إلى المحكمة، واطلب الطلاق، صاح القاضي:

ـ هل ما تقولينه صحيح،

ـ اقسم بالله ؟

اقسـمت المرأة على صحـة كلامها، طلب منها أن تدلـه على المكان الذى دفنت فيه زوجها، صرخت المرأة وقالت:

سوف أدلك على قبره، لعل رفاته هي الدليل والوحيد على صدقي.

أخذ ضابط الشـرطة معه الطبيب، لكى يأخذ عينة من الجثة، ليتأكد أنها

جثة ابو صالح، أخذ الطبيب عينة منها، دفن الجثة مرة أخرى.

وفـى اليوم التالي ذهب ليطمئن عليهـا.. لكنه لم يجدها في مكانها، اكد الطبيـب أن العينة التي أخذها من الجثة لأبـو صالح، أكدت جميع الجينات الـتي أخذت مـن العينة أنها مطابقـة لجينات ابو صالح، بعثـت النتائج إلى القاضي، شك القاضي أن الرجل منتحلا شخصية زوجها، واجه القاضي الرجل بالنتائج.

أقسم الرجل أنه ابو صالح ولا يعرف له أسما غير ذلك، أمر القاضي أن يحلل الرجل التحليل الجيني مطابقة التحاليل باستخدام سجلات أبو صالح، فصيلة الـدم ثم المطابقة الجينية بينه وبين أولاده، أخذ الطبيب جميع الفحوص، أتم الطبيـب الشـرعي فحصه للرجل، أكد أن الرجل نسـخ مطابقة من ابو صالح، لا يختلـف عنه غير تركيب الخلايا ربما بها بعـض التغيرات الطفيفة، أكد الطبيب أن الجينات الموجودة في الرجل والموجودة في الجثة متشـابهة تماما، يعتبر نسخة طبق الأصل لم يستطع القاضي أن يثبت كذب الرجل الذى أمامه، أمر بإطلاق سراح الرجل.. لكنه سأل الطبيب: كيف حدث ذلك؟

قال الطبيب:

ـ هذا شـيء نادر جـدا، من الممكن أن يكون الرجـل والجثة توأمان، يا سيدي التحليل والوحيد للتشبه في الصفات الجينية، لم يقتنع القاضي بكلمات الطبيب ليستفسـر عن الأمر، وعندما أتي صاحب الشركة الدكتور رائد، أراد أن يخفى الموضوع عن الإعلام، قال:

ـ أن هذا الحارس هو ابو صالح، لا يعرف أحدا غيره.

(٨)

شـك الضابط في الأمر وأن الدكتور رائد يخفـى أمرا ما ؟ تخفي الضابط في صـورة رجل يحتاج إلى عمل، تقدم للعمـل في مصنع الأدوية الخاص بالدكتور رائد، قبل طلبه بعد أن زكاة أحد العاملين السابقين، تحتاج الشركة إلى عمال للأمن، أسـتمر في العمل في المصنع لمدة سـتة أشـهر، تعود على وجوده جميع العاملـين، أصبح غير محل شـك مـن الجميع، أثناء العمل لاحـظ أمرا مريبا ومحـيرا بعض من عمال الأمـن، يذهبون إلى مركز الدكتـور محمود بانتظام اسبوعيا، يـتأخرون لمدة خمس ساعات تقريبا عن العمل، سألهم:

ـ أين كنتم ؟

نقوم بكشف دوري أسبوعي عند الدكتور محمود.

شككت في الأمر سألت عن الأمر:

ـ ماذا تفعلون في الكشف الطبي.

هذا كشـف دوري اسـبوعي يقوم به الحراس اللذين اشـتركوا في المعارك ضـد جنود نائل حتي يتمكن الدكتور محمـود ملاحظة التغيرات في حالتهم، ومعالجة الخلل لو حدث الخلل ما.

زاد الشـك لدى الضابط، حاول أن يعرف ما يحدث داخل المركز بالضبط، رافق أحـد أصدقائه من الحراس عند الذهاب إلى المستشـفى بحجة الاطمئنان على صحته، دلف إلى المستشـفى، فوجئ بشيء لم يكن يتوقعه، وجد صديقه

يجلس على جهاز مقلوبا تماما، ويقوم الدكتور محمود بمعالجة جميع خلاياه إخـراج جميع الأجزاء الداخلية للتأكد من سـلامتها، حتي الدم الموجود فيه يقوم الدكتور محمود بتقديره، سأل نفسه:

ـ ماذا يحدث بالضبط، لا بد أن هناك أمرا غير عادي.

اكتشف بالصدفة من حديث إحدى الممرضات مع الأخرى وهى تقول كيف لهذه المخلوقات أن تكون مثل الإنسـان؟ كيف تصبح سلوك هذه المخلوقات مثل سلوك الأنسان؟ لم يفطن الضابط لكلمات الممرضات.. لكن حدث ما لم يتوقعه، حدثت مشـادة بين حارسين، ضرب أحدهما الأخر بآلة حادة، ووقع الحارس علـى الأرض، شـاهد الضابط ذلك بعينه، نقل الحارس إلى المستشـفى، رافقه الضابـط، وجد ما لم يتوقعه، شـاهد الحارس يدخل علـى جهاز كبير معد، لأعـادت الخلايا التالفـة، تقلب عدد مرات بطريقة سـريعة بعد لحظات من التقليب المسـتمر، توقـف الجهاز فوجده مجموعة من الخلايـا المتناثرة، لم يتبق منه شيئا، أخذته الممرضات ثم وضعته في أكياس، وضعتها في المعمل بعد لحظات قصيرة، سمع صوت الحارس خلفه، يقول:

ـ هيا يا صديقي نذهب.

وجدتـه خارجا من حجرة بجانبي، توقفت مذهولا، رتبت كل شـيئا في ذاكراتي، قلت للحارس:

ـ ماذا حدث يا صديقي ؟

قال الحارس في بلاهة كأن لم يحدث شيئا:

ـ كشـف الدكتور محمود الكشـف الدوري الأسبوعي، شـاهد الضابط ما يحدث، تغير وجهه سريعا، شاهد الحارس وجه صديقه، قال:

ـ هيا نذهب من المصنع، نمارس عملنا.

ذهبت سريعا إلى اللواء ياسر رئيس المباحث، سمع ما حدث، توجه معي إلى رائد، قابلنا بالترحاب، سأل:

ماذا يحدث بالضبط؟

تلجلج في الكلمات، توقفت الكلمات على لسانه، قال:

أسأل الدكتور محمود، يعرف كل ما يحدث.

سألته بدهشة:

ـ الدكتور محمود عالم الجينات المعروف.

أومأ برأسه بالموافقة انطلقنا سريعا إلى مركز الدكتور محمود.. مركز مشهور، قابلنا الدكتور بابتسامة، لم يحاول الدكتور محمود الأنكار لكى يخفي الامر، صارحنا بكل ما عنده، أفضي في الحديث عن نائل، ما فعله وعلاقته بصديقه رائد، وما حدث بينهما، قص عليهم كيف ساعد صديقه رائد، ليخلصه من ظلم نائل. دهش اللواء أسر من كلمات الدكتور محمود.. لكن لم يجد بد من عرض الأمر على القاضي لكي يقضي بحكمه في القضية. كرر الدكتور محمود نفس الكلام أمام القاضي.

احتار القاضي في هذه القضية، هل يعتبر ما صنعه الدكتور محمود أشياء، يحكم عليها بالفناء، أم يعتبرها كائنات، يحكم عليها بالبقاء، هل هي كائنات حية لها أرواح ؟ بماذا يحكم على الدكتور محمود؟ هل يطلق صراحه على أنه عالم من أعظم العلماء؟ أم يسجنه لآنه صنع كائنات؟ ربما تؤدى إلى هلاك البشرية؟ هل كان الدكتور محمود يعالج الإنسان؟ ليجعله قادرا على

مسـايرة الحضارة التي يعيش فيه، لكى يتمكن الإنسـان من الحياة، هل كان الدكتور محمود يحاول أن يغير في البشرية؟

أمر القاضي بالقبض على نائل، وإيداعه السـجن، وغلق شـركته كما أمر بالقضاء على الحراس التي صنعها الدكتور محمود، دفنها في التراب، لم يأمر القاضي، بغلق مركز الدكتور محمود، لآنه يقدم فكر جديد للإنسانية، ويطور من البشـرية إلى الأفضل حتي حراسـه الذين صنعهم، ربما لو صادفوا طريقا أخر، لتغير سـلوكهم، وتعدل إلى الأفضل هم، لا يستطيعون أن يسيطروا على أنفسـهم، فهم كأطفـال، لا يدركون ما يفعلون، لا يقدرون مسـئولية الخطوة التي هم فيها، حتي الأشياء الخطيرة التي لا يستطيعون تقدير مدى خطورتها عليهم، صنع أحدهم بعض المعلومـات والبيانات وضعها داخل عقولهم، لكي يستطيعون السيطرة عليهم وتوجيههم إلى ما يريدونه.

الإنسـان هو الكائن الوحيد الذى يحب السيطرة والهيمنة على الأخرين، يريد كل ما مع الآخرين، نفذ الدكتور ما أمر به القاضي، يراقب الضابط واللواء ياسـر خطوات التنفيـذ، أودع الدكتور محمود كل الحـراس داخل الجهاز، شاهده الضابط وهو يفتت أعضائهم إلى خلايا أولية، ترك الخلايا تتناثر في كل الاتجاهـات، وارى الخلايا التراب.. لكن بعـض الحراس الآخرين، لم يعثر عليهم الدكتور محمود، اختفوا عن الأنظار، بحث عنهم كثيرا حتي ينهي ما صنعوه ولكنه لم يجدهم، أخبر الدكتور الضابط واللواء ياسر بما حدث، عرض عليهم الموضوع، ليعرفا ماذا يمكن أن يفعل؟ ذهب الضابط إلى نائل في السجن، لعل الإجابة، تأتي منه، الإجابة لم تتغير:

ـــ لم أر شيئا؟ ولم أشهد شئيا؟

استخدم الضابط كل الطرق المكنة في استجواب نائل والدكتور رائد.. لكنه لم يصل إلى ما يريد، كانت الإجابة السابقة، الكل يقسم أنه لا يوجد حراس آخرين على قيد الحياة، كل الحراس تم القضاء عليهم، اطمئن الدكتور محمود، ظن أنه قضي على جميع الحراس، الذين صنعهم، انتهي مما يؤرقه.

لكن كتب أحد الصحفيين مقالا مطولا، هل يعيش معنا بشرا آليين؟ لا نعلم عنهم شيئا؟ وجاء في المقال أنه صنع بشرا من خلية صناعية تشبه الخلية الحية تماما، لا يختلف هؤلاء البشر عن البشر العاديين، يفعلوا كما نفعل.. ربما أكثر ذكاء من البشر الأصليين.. ربما يكون هؤلاء التطور الطبيعي للجنس البشرى، الذى ربما يؤدى التصحر والجفاف إلى انقراضه؟ ربما الحرب العالمية الثالثة سوف تؤدى إلى زواله من فوق سطح الأرض، الإنسان المستنسخ الجديد، هو الوسيلة الوحيدة لاستمرار البشرية.

ذيع الخبر بين الناس، أصبح كالنار في الهشيم، كتب الصحفي سلسلة من المقالات عن هذا الموضوع إلى أن تدخلت الحكومة، لوقف النشر في الموضوع لكى لا تثير الفزع بين الناس.

وصل الخبر إلى رئيس الجمهورية ومستشاريه، اجتمعوا، قرروا عقد اجتماع عاجل مع الدكتور محمود، اقترح الجميع التعتيم على الموضوع، نشر تكذيب للخبر في الصحف الرسمية، أمر الرئيس الدكتور محمود بغلق البحث في الموضوع، اقسم الدكتور أمام الجميع بأنه لن يعمل في هذا الموضوع، ونشر في وسائل الاتصال الاجتماعي أن الموضوع مثل كذبة أبريل التي تطلقها الحكومة كل سنة، لكى تخفى اخفاقاتها في المجال الاقتصادي والسياسي والمالي، والتعثر في تحسين الاحوال الاجتماعية التي يعيش فيها المواطنين، وزيادة

الديــون الخارجيــة والداخلية إلى الحد الذى لا تســتطيع أن تتحمله ميزانية الدولــة. فكــر البعض أنه ربما يكون رجل أعمــال أطلقها لكى يخفى عمليات النصب على البنوك التي تحدث كل يوم تقريبا من أحد رجال الأعمال.

(٩)

تلاشـي الكلام عن الموضوع حتي انتهي كأنه طار مع الرياح.. لكن الرئيس ومـن خلفه، فكر أنهم يسـتطيعون حماية الرئيس مـن المؤامرات الكثيرة من حوله من بينهم بعض المستشارين الذين تحدثوا مع الدكتور محمود. عرضوا، فكرة عمل نسـخة مطابقة مـن الرئيس، لحمايته حتي يتجنبـوا الكثير من المشـاكل، يحافظوا على حياته من الأخطار ومن الثورات التي ربما تحدث في البلاد نتيجة الأزمة الاقتصادية ومن المعارضين، الذين يتزايدون نتيجة أزمة البطالة التي تمر بها البلاد.

يستطيع الرئيس أن يتحرك كما يشاء، إذا وجد مشابه للرئيس. يتمكن من الحركة بلا خوف، اقترحوا الفكرة على الرئيس، قابل المستشارين الرئيس، قال:

سمعت يا رئيس الرجل المستنسخ.

نعم سمعت عنه.

ـ نحن أتفقنا علي بديل جيني لك.

ـ لي أنا، لماذا ؟

ـ من أجل حمايتك يا رئيس.

ـ هل سيحل محلي.

ـ لا يا رئيس ولكن من أجل أن يكون بديل لك في المواقف الصعبة، في زيارة لبلد بيننا وبينه علاقات متوترة، لزيارة الجهة الأمامية للجيش.

ـ موافق ولكن نستخدم الشبيه في الأوقات الحرجة.

اتخذ الرئيس الدكتور محمود مستشارا له للشئون الصحية على أن يشرف على الشبيه بنفسه، وافق الدكتور محمود على الاقتراح ربما تكون هذه الخطوة هي الخطوة الأولى لإنقاذ البلاد من أزمتها الاقتصادية والأزمة السياسية التي تعيشها البلاد.. ربما تنقذ الرئيس من المؤامرات التي تحاك بالبلاد. أخذ الدكتور محمود العينات من الرئيس والخلية التي سوف يقوم الدكتور، بإدخال الجينات فيها لاستنساخها لصناعة الإنسان البديل الذى يحمل جميع الصفات الوراثية والجسدية للرئيس، استغرق الدكتور محمود ثلاثة أشهر في صناعة البديل تم تلقينه وبرمجته على طريقة التعامل مع الناس والسمات الشخصية للرئيس، وضع الدكتور محمود داخل الرئيس الصناعي صفة العدل اختار ابرز الزعماء العادلين، أخذ الصفة منهم زرعها في الرئيس الجديد، لعله يكون النواة التي تجذب الرئيس الطبيعي إلى مميزات الرئيس الصناعي..

اقتصرت أعمال الرئيس الصناعي على زيارات أماكن المؤامرات الخاصة بالمعارضين، ولكن الرئيس الصناعي، جذب بحديثه الصادق مع الناس وتصرفاته الحكيمة معهم جذب كل معارضه، الرئيس الاصلي معروف عنه العنف، والقهر السياسي، استئصال كل معاونيه.

ساعد الرئيس الصناعي على حماية الأصلي من المؤامرات التي حيكت له، من أعمال الشغب التي تصاحب زياراته المتعددة، زار الرئيس البديل إحدى الدول التي بها اضطرابات داخلية، تحاك له عمليات اغتيال تصاحب كل

زيارة، لآن بلاده تساند أحد المليشيات ضد الأخرى، استغلت أحدى المليشيات انشـغال حرس الرئيس الشـخصي، بإبعاد الناس المصطفين لتحية الرئيس، وتدافع الناس على موكبه.

اندسـوا بين المصطفين، انتظروا حتي يتقدم الموكب، امطروا الموكب بوابل مـن الرصاص، لم يراعوا تواجـد الناس في المكان، لم يجـد الحرس بدا ردوا عليهم بشـلالات مـن الرصاصات.. لكن الطلقات الموجهة إلى السـيارة أصابت الرئيس في يده اليمني، وقتل السائق الموجود بجواره.

انقلبت السيارة، ظن المتمردين أن الرئيس مات، رأى الحرس ذلك، زادوا من كثافة النيران على الناس والمتمردين، أصيب الكثيرون منهم، هوى الجميع راقدين على الأرض لتفادى الطلقات، هرب المتمردون من المكان والباقي اختفى بين الناس الراقدين على الأرض، لم ير الحراس المتمردين أو من يطلق النيران عليهم، هرع الحراس إلى السيارة المقلوبة، أعادوها إلى وضعها الأصلي، وجدوا الرئيـس مصابا إصابات بالغة، نقلوه إلى المستشـفى في وسـط المدينة، حتى لا تتفاقم أصابته أطلقت الشـائعات المزيفة حول مـوت الرئيس، فرح المتمردين لدرجة ظهورهم في الشوارع للتعبير عن فرحتهم.

بعـد ثلاثة أيام، نقل الرئيس إلى بلـده، ظن الجميع أنه ميت.. لكن بعد أسـبوع واحد من قدومه إلي البلاد، أعلن شـفاؤه من الإصابة، ظهر في برنامج تليفزيوني على القناة المفضلة له قناة الأمل، القناة التي ظهر بها أول مرة مع نفس المذيعة التي اسـتضافته، اعتقل كل خصومه السياسـيين حتي من أظهر فرحتـه، ظهر الأصلي بينمـا البديل تكفل به الدكتور محمـود. أعاد الحياة له مـرة أخرى، بعد تجديد خلاياه وأعضائه التالفـة، داخل للمركز الطبي،

بدّل الأجزاء المصابــة.. عندما ينفرد فرد بالحكم دائما ما يتعرض إلى العديد من محاولات الاغتيال، تعــرض إلى محاولة اغتيال، أصيب على آثرها إصابة بالغــة، توقفت ضربات قلبه ودخل في غيبوبة تامة، أخفى الجميع الخبر عن الصحافة وإلا سوف تصاب البلاد بالفوضى، استعانوا بالبديل في كافة الأمور، الاجتماعات واللقاءات، مع الأشــخاص في الداخل والخارج، يستطيع أن ينفذ جميع الأعمال مثــل الرئيس الأصلي. لاحظ الجميع قدرة الرئيس البديل على أتخاذ القرارات السليمة والتوقع الصحيح لأفعال الأخرين، في كل المواقف التي تعرض لها، قراراته تخضع لقواعد علمية سليمة، ليست للأهواء الشخصية.

أخضــع الدكتور محمود ذاكرته للكثير من الاختبــارات وبرامج لتحليل الكلام، برمجته للقيام لمهام، تحليل كل الأمور حوله، وكيفية التعامل معه، اعجب الجميع بقدرته على تخطى الصعوبات التي يقابلها.

أفــاق الرئيس بعد حوالي أســبوع مــن الغيبوبة، لمدة بســيطة، قص له مستشــاره عما فعله البديل، أثني عليه ولكن حالته تدهورت، حاول الرئيس أن يعالج بســرعة.. لكن باءت محاولته بالفشــل، دخــل في مرحلة أصعب من الغيبوبة الأولي، أمر الأطباء حجزه داخل العناية المركزة.

(١٠)

أخفى الجميع خبر مرض الرئيس، باشر البديل عمله، أظهر براعة كبيرة في القيام بواجباته، حافظ البديل على سرية مرض الرئيس الأصلي، اشتدت الآلام على الرئيس الاصلي نقل إلي غرفة العمليات، لإجراء عملية جراحية في صمام القلب، وإلا توقف ضخ الدم من القلب إلى الجسم وفى أثناء الجراحة، توقف القلب عن العمل، أصبح الرئيس في عداد الموتى، أجتمع مستشارو الرئيس مع الدكتور محمود علم الجميع وفاة الرئيس، في مجلس الرئاسة، قال أحدهم:

يجب أن نعلن موت الرئيس.

وقف أخر وقال: ماذا نقول للناس، لو سألوا كيف مات الرئيس، وكان في زيارة لأحد المدن أمس.

وقف أحد المستشارين،قائلا: نترك الرئيس حتي نهاية فترة رئاسة الرئيس ولم يبقي إلا ستة أشهر.

وقف أحدهم: نتركه ونكون معه، أرى أنه حل كثيراً من المشاكل للبلاد.

قال الدكتور محمود:

البديل يستطيع حكم البلاد، والوصول بها إلى بر الأمان، يستطيع أن يحكمها أفضل من الحاكم الأصلي.

أخذوا الآراء علي استمرار البديل في الحكم وتركه إلى الانتخابات القادمة،

انقسموا إلى فريقين، فريق يؤيد استمرار البديل في الحكم، وفريق يرى أنه يجب إعلان وفاة رئيس الجمهورية، وقف بينهم نائب الرئيس:

البلاد تمر بظرف خاص يجب أن نحافظ عليها حتي موعد الانتخابات، لذلك يجب أن يستمر البديل في الحكم.

ظن أنه يستطيع أنهاء كل المخالفات، وتثبيت أركان الحكم والعودة إلى الديمقراطية المنشودة في فترة حكم البديل، وافق الجميع على بقاء البديل في الحكم، ومساعدته بالرأي في كل الأحداث.

أعلن الرئيس عن تغيير وزاري جديد لكى يقضي على الاضطرابات في البلاد، أعلن أن الانتخابات سوف تقام في موعدها، أجتمع كل المستشارين معا على تكوين وزاري محددة تم عرضه على الرئيس، لم يوافق على اسم من الأسماء المختارة للتكوين الوزاري المقترح من مستشاريه. اجتمع معهم وبينهم الدكتور محمود، طلب أن يجلبوا أسماء كل اساتذة الجامعات وكبار الموظفين وكبار الساسة، لاختيار أنسبهم في الوزارة القادمة في الأيام الثلاثة المحددة له، بالفعل قُدم له اسماء وملفات كاملة عن كل أسم من الأسماء.

تعجب الجميع، هل يستطيع البديل قراءة هذه الملفات في المدة المحددة له؟ حتي لا تحدث الفوضى في البلاد وتعود البلاد إلي الهدوء، أجتمع المستشارون مع الدكتور، سألوه، قال لهم الدكتور محمود:

ـ البديل عنده القدرة على قراءة الملفات، وتكوين الوزارة في أقل من هذه المدة.

بالفعل بعد انتهاء الثلاثة أيام فوجئ الجميع بالرئيس مع كشف بأسماء وزرائه الذين أختارهم دون تأثير من أحد. اندهش الجميع لأن أسماء المختارين

ليس من بينهم ذوي النفوذ أو المال أو النسب. أختار البديل الرجل المناسب في المكان الأنسب، يراعي عن الاختيار العلاقات بينه وبين الأحزاب الأخرى. أختار وزير الصناعة الدكتور ماهر لكفاءته في عمله وحرصه على العمل، وتشجيع الصناعات الصغرى والمبتكرين والعلماء. أختار الدكتور حسيب وزير المالية لكفاءته في إدارة الأزمة المالية ومحاولة التقريب بين سعر العملة المحلية والعملات العالمية، ومقاربة مرتبات العاملين مع سعر السلعة، تشجيع صغار المستثمرين، وإقامة مصانع عملاقة للمخترعين ومشاركتهم حتي يستطيعوا الوقوف في السوق، ومصارعة الشركات العملاقة.

استطاع البديل أن يصل إلى الناس في فترة وجيزة، قضاها في الحكم. بعد شهر تقريبا من إعلان الحكومة، أحس الناس أن الحكومة تعمل لصالحهم، ليس لصالح أنفسهم لذلك، أستقر الوضع، هدأت الاضطرابات، وساد الهدوء، إنشاء العديد من المدارس والمصانع، وإعانة الشباب، أقام العدل في دولته ورقابة بشدة، ظل يردد للجميع أن الرجل المناسب في المكان المناسب، انقضت فترة رئاسة البديل في الحكم تأكد الجميع أن الرئيس قادر على كسب الانتخابات القادمة بسهولة، لنشاط رجاله من حوله، وعمله في صالح البلاد، أستطاع في ستة أشهر فقط تغيير الحياة إلى الأفضل، بعد انتهاء الفترة الرئاسية، اجتمعت الحكومة والمستشارين لتمديد فترة رئاسته.. لكن الدكتور محمود تدارك الأمر، أراد أن ينهي هذا الوضع غير الطبيعي، أعلن إصابة الرئيس بفيروس نادر يستحيل بقاءه في الحكومة لفترة أخرى، علمت الحكومة بأمر الرئيس البديل. أصبح الجميع في حيرة، هل يحتاجون رئيسا يخطئ ويصيب أم يحتاجون إلى مثل هذا الرئيس الذى يصيب في كثير من الأمور.. لكنه

يحتاج إلى المشـاعر الإنسـانية، حبس زوجة الرئيس الاصلي في منزلها، بعد أن عرفـت أنه البديل وليس الرئيس الاساسـي.. لآن الدكتور محمود أخذ كل الصفات الوراثية التي يحتاجها الرئيس لكي يصبح رئيسا ناجحا ومنها العدل والحكمة والشـجاعة والحسـم. نظر الجميع إلى أن الرئيس إله مصنوع يتحكم فيه الصانع كما يشـاء ومجرد من المشاعر الإنسانية ومنها الأبوة. عندما صنع الدكتور محمود البديل وضع فيه الصفات الوراثية التي تجعله رئيسا ناجحا، تركت الجينات الأخرى دون تحكم يوجد في الأنسان ثلاثة مليون جينا، كيف يستطيع الإنسان أن يتحكم فيها ويعرف تأثيرها على الإنسان؟ كيف يستطيع معرفة الروابط بين تلك الجينات ويتحكم فيها مهما حاول الوصول إلى الكمال لن يسـتطيع، اتفق الجميع على أنهم يحتاجون إلي إنسـان يخطئ ويصيب.. لكن درجات النجاح أكبر من درجات الفشـل، طبيعة الإنسان الفشل والصواب كلما اقترب الإنسـان من الصواب يكون أفضل. الفكرة الإنسـانية يتطور بينما الآلة مبرمجة بطريقة تناسب عصرها المصنوعة فيه، لا تتطور، تتحقق الفائدة المرجـوة منها، بينما الطبيعة الإنسـانية تتغير، كيف يسـتطيع هذا البديل التغـير؟ أتفق الجميع بما فيهم الدكتور محمود على إعلان وفاة الرئيس حتي لا تطالب الناس بترشـيح البديل مرة أخرى، أجتهد الدكتور محمود تنفيذ ما أتفق عليه من تفتيت الألة التي صنعها.

عـز على الدكتور أن يقضي على كائن، حاول أن يقيم العدل بين البشـر. حاول أن يغير من الطبيعية الإنسـانية الخاصة التي يعيشها المجتمع، كيف يقضي علـى فكرة صنعها وطورها؟ لكي يعدل الموازيـن بين الناس، تداخلت المشـاعر لدى الدكتور محمود مع بعضها، هل يبقيه فتكون الفتنة بين الناس؟

وتميل مشـاعر الناس إلى ما فعله، أم يقضي عليـه فتنتهي فترة العدالة التي أقامهـا بين الناس. الأفـكار المضطربة التي تملأ عقـل الدكتور محمود.. لكن في النهايـة تغلب عليه المشـاعر، قرر القضاء على هذا البديل، جاهد نفسـه وشهوته، باستخدام مذيب للنوازع الداخلية.

أدخـل البديـل إلى حجرة فك الروابـط الداخلية وإحلالهـا، دمر جميع الروابط بين الخلايا وبعضها، حولها إلى خلايا بسيطة، حقن الخلايا بحقنة، أنهت نشاطها، توقفت عن التكاثر.

أعلن بعدها وفاة الرئيس بسبب أزمة قلبية حادة.. لكن الناس ظلت تردد اسمه من وقت إلى أخر، وكيف تحول في أواخر ايامه؟ اسـتطاع أن ينقل البلاد من حالة إلى حالة أخرى.

أنتخب رئيسا جديدا للبلاد، حاول تغيير الحكومة ولكن الشعب تظاهر، أصر على بقاء الحكومة السـابقة، دون تغيير، أسـتمر الناس فترة من الوقت يرددون اسمه إلى أن نسـي الناس الرئيس السابق، وتردد على ألسنتهم أفعال الرئيـس الجديد، وأخطاءه ومحاسـنه. انتهت علاقـة الدكتور محمود تماما بالرئيس، وعاد إلى عمله في مركزه الطبي والجامعة.

ضاع الأمل بين غيوم الماضي

(١)

حدث ما لم يتوقعه أتي إليه في مركزه الطبي الدكتور رائد صديقه وشريكه القديـم، الذى سـاعده للقضاء على نائل، اتصل به عدة مـرات، أراد الدكتور محمود أن ينسي ما سبق، ما حدث يعتبر جبل كبير، وضع بينهما لا يستطيع كل منهما العبور إلى الجانب الأخر، إلا بالجهد والمثابرة، رن رائد كثيرا على تليفون محمود كثيرا، ولم يرد عليه، وضع نفسـه داخل مظلة أبحاثه وداخل الجامعة، حاول رائد مقابلته.. لكنه رفض مقابلته، بحجة أنه يجرى عملية جراحية خطيرة، لأحد المرضي، ألح الدكتور رائد، استجاب طلبه، أتصل به تليفونيـا، يحدد له موعدا لمقابلته، يعرف ما يريد بالضبط، أتفق أن يأتي إلى مركز الدكتور محمود في الساعة الثالثة عصرا، وعندما هل عليه الدكتور رائد بدا على وجهه الفزع والخوف، قال له الدكتور محمود:

ـ ماذا حدث ؟

قال له والحزن يملأ صدره والكلمات تكاد تخرج من فيه:

ـــ يا دكتور لا أعرف مـاذا أقول لك ولكنى كنـت أحتفظ ببعض الحرس المستنسـخين في مصنعي، حتي أجرى عليهـم الاختبارات لمعرفة مدى التقدم في تفكير هذه المخلوقات، كيف تسـتطيع خلاياها مواجهة الطبيعة والظروف الصعبة التي لا تستطيع الخلايا الطبيعية البقاء فيها؟

منـذ ثلاثة أشـهر، والحراس يجرون الكشـف الدوري الأسـبوعي على

الخلايـا، لتحديد ما تلف منها، كما علمتني والحـرس في حالة من الخمول التـام، هجم على المركز مجموع من اللصوص لا أعرف من أين جاءوا أو من هم ظننت في البداية أنهم سوف يطلبون المال.. لكنهم قضوا على الأطباء في المركز، اختفيت خلف أحد المكاتب داخل حجرتي.

لم يأتـوا ليبحثوا عني، أطلقوا النار علي الحرس الطبيعيين الموجودين في المكان للتأمين في خارج وداخل المركز، عندما لم يتبق منهم أحد، أتصل أحدهم بالخارج بعد لحظات قليلة، أتت سـيارات شـيروكي سوداء اللون وقفت أمام باب المركز دخل بعض السـيارات أمام الباب للتأمـين وبعضها داخل المدخل الخاص بالسـيارات داخل المركز، خرجوا من بالسـيارات إلي داخل المركز، اخرجوا الحـرس وهم في حالة غيبوبة تامة، وآلات الفحص وآلات الكشـف الدوري. لم استطع أن أبلغ الشرطة، لآني أكدت في محضر رسمي، بأني قضيت على كل الحرس في المركز، وتفتيتهم، ودفن خلاياهم تماما.

أخفيـت الموضوع عـن الناس حتي عنك، ونسـيت الموضوع حتي أسـبوع مضي، شـاهدت ما لم أكن أتوقعه أحد حراسـي في السوق يقوم بالاحتيال علي تاجـر، نفس ما كان يفعله حراس نائل السـابقين، وقف بين الناس، يراقب كل شـاحنة تدخل السوق وكل شـاحنة تخرج منه' يتعرف على جميع أسعار البيع والشـراء، نظر بعينيه، يتفحص المـكان، يتوجس الجميع منه خيفة، لا يتعامل معه أحد، الجميع يبيع ويشـترى بعيدا عنه، أتي إلى السـوق أحد التجار، لم يره أشترى بضاعة بسعر زهيد، أراد أن يحملها على الشاحنات، وقـف الحارس حائلا بين العمال الذين سـيحملون البضاعة والشـاحنة، قال الحارس بصوت أجش:

ـ هل تعطيني نصيبي من ثمن البضاعة، فنحن من حرس السوق.

نظر التاجر إلى التجار الذين اشترى منهم البضاعة، قال:

ـ من هذا ؟

لم يرد عليه أحد، أشاحوا بوجهم عنه، أمر عماله أن يحملوا البضاعة على الشاحنات، بعضهم ظن أن الحارس يمزح معهم، سيترك المكان بدأوا بعملية الشحن، هم العمال بالشحن.

وقف الحارس حائلا بينهم وبين الشاحنة، حاول أحدهم جره بالقوة، ليتحرك بعيدا من أمامهم، أزاحه الحارس بيده، أوقعه أرضا. رأى أحد العاملين صديقه، تعدى على الحارس، حاول أن يبعده، أمسكه الحارس بيد واحدة من سترته التي يلبسها، أداره إليه، قذف به إلى أعلى، وقع بقوة على الأرض، ثار الرجل بعد وقوعه وقف سريعا مرة أخرى، وهم بضرب الحارس في هذه المرة، أحاطه الحارس بيديه الاثنتين، قذف به إلى أعلى، طار في الهواء كما يطير الطيور بجناحها عدة أمتار، هوى على الأرض.

عرفت إنه حارسي وائل.. لكن ماذا يفعل؟ انتظرت قليلا بين جموع الناس، لم اتكلم. رأي أصدقاء العامل ما يحدث، تكتلوا عليه، تكالبوا عليه من كل مكان، حاولوا أن يبعدوه عن الشاحنة، قذف كل واحد من العمال في اتجاه، كل واحد يضرب ضربة لا يقوم منها مرة أخرى. أحس التاجر إنه لا قبل له به، ذهب إليه بهدوء حتي لا يزول وقاره بين التجار الآخرين، قال:

ـ ماذا تريد، يا سيد الرجال.

صمت الحارس، صمت التاجر، وضع التاجر يده في جيبه، أخرجها، ثم بسطها إلى الحارس، ظهر مبلغ من المال، قال له:

ـ خذ يا صديقي.

أخذها الحارس لم ينظر إليها، غادر بعيدا عن الشاحنة، وقف في وسط السوق يصيح بصوته الأجش:

ـ على كل بضاعة تدخل السوق، تشترى أو تباع مبلغا من المال، ومن لا يدفع لن يبيع أو يشترى في هذه السوق مرة أخرى، عينني سيدى ناظر حارسا على السوق، لمعرفة كل ما يدخل إلى السوق وما يخرج منه، معي آخرين، هم مثلي أو أقوى مني.

أشار بيده ظهرت جماعة من الحراس الآخرين مثله، يلبسون نفس الملابس بنطلون أسود من القماش الصوف وقميص أبيض وله ثلاثة جيوب، كانوا يختفون خلف أحد الأسوار، لو تتطور كانوا سيأتون لإنقاذ صديقهم. عندما شاهد التجار الحراس، تذكر الجميع نائل، وما كان حراسه يفعلوه، والإتاوة التي كانوا يأخذونها منهم على كل من يبيع ويشترى، الجميع يهمس في نفس واحدة:

ـ هم نفس حراس نائل السابقين.

أشار غيرهم بيده بإشارة معناها، لا ليسوا هم حارس نائل السابقين هم مختلفون في الملامح، آثر التجار السكينة، دفع كل منهم مبلغا من المال، لإخراج تجارته من السوق، لكى لا تقذف بعيدا، وتضيع منه، وزع الحارس بقية الحرس على أبواب السوق، وأغلق الأبواب التي ليست عليها حراس، لكي يتمكن من معرفة من يدخل إلى السوق من يخرج منه. تأكدت أنه وائل أحد حرسى القدامى، شكله لم يتغير، أقرب حارس لي، أشرت إليه بيدي لكي يأتي، لم يبالي لإشاراتي، لم يكترث لوجودي بين الناس، هرولت في

اتجاه، نظرت إليه، قلت له:

ـ وائل، وائل؟

أدار وجهه إلى، لم يعرفني، قال:

ـ ماذا تريد ؟

قلت له في حزن:

ـ إلا تعرفني ؟

رد علي:

ـ لا أعرفك ؟

تركني وجلس بعيدا عني حاولت أن أجذب نظره إلى.. لكني لم أستطع، حاولت أن أتكلم مع أحد الحراس الآخرين.. لكن لم يصغ إلى أحد، لا أعرف كيف تحولوا كيف تبدلوا ؟ تأكدت أنهم نفس الحراس القدامى الذين كانوا عندي في المركز، وسرقوا منه.

(٢)

كيــف تغيّر كل واحد منهم، من يســتطيع تغيرهــم والتحكم فيه دون أن أعــرف، صمت الدكتور رائــد، سمع الدكتور محمود قصتــه بإصغاء وبعد أن انتهي من سردها، هز الدكتور محمود رأسه وهمس:

ــ من جلب هذه المصائب إلى العالم، كيف يســتطيع التخلص منها ؟ كيف يســتطيع القضاء عليها ؟ لا يســتطيع أحد أن ينفذ العمليــة إلا من كان يعمل فيها، صرخ بصوت عال:

ــ الوحيد القادر على هذا هو راجز، يمتلك مركز طبي في شركة وددت ولا يزال يعمل في الجينات.

لا يــزال يعمل أمين معمل في الجامعــة، يراقب من يدخل ومن يخرج من حجرة محمود، أيقن أنه يراقبه. أشار على رائد، ليذهبا، قال:

ــ هيا نذهب.

عند خروجه من غرفة مكتبه، وجد أحد الحراس بقرب الباب، نظر إليه الدكتور محمود، ركض بعيدا، ارتبك الرجل وانطلق مســرعا، ركض الدكتور محمود خلفه، ليعرف ما يحدث، وجده يتجه إلى المعمل، تركه، غادر المكان ســريعا، ذهب إلي المركز الطبي، قرر أن يذهب إلى السوق مثل المرة السابقة، ليعرف ماذا يحدث، يراقب الحراس.

دلف إلى الســوق، فوجئ بما وجد، نفس الحراس الذين صنعهم بنفســه

للدكتــور رائد، كيف حدث ذلك ؟ كيف يتبدل الحال بالحراس؟ صمموا طوق النجــاة للدكتور رائد، لتخلص من نائل، انتظرا حتي غادروا الســوق، انطلقا خلفهما وجدوهم ينتظرون، عند منزل قريب حتي يجتمعون جميعا، انطلقوا مرة أخرى، تابعهم محمود، شــاهدهم يدخلون مركــز وددت الطبي، همس محمود في نفســه: راجز الوحيد الذى يســتطيع أن يفعل ذلك.. لكن كان عليه أن يعمل في السر، لماذا جعلهم يعملون في العلانية؟ لا بد أن أحداً ما خلفه.

فكر كثيرا، أيقن أنه يجب أن يصنع أمثالهم، باستخدام الجينات الوراثية الموجــودة في بنك الجينات، وبعض الخلايا الحية المحفوظة فيه، يحتاج فقط بعض الوقت لاســتكمال أعمالــه، يحتاج طريقة لدخول مركز وددت، شــرع محمود في صنعة البديل المستنسخة.. لكن راجز ومن معه، علموا بأن الدكتور محمود، بدأ في إنتاج حراس جدد للقضاء على حراســهم، أراد راجز أن ينهي عمل الدكتور محمــود، يهبط من عزمه، يتخلص منه، هو العقبة الوحيدة في طريقه لتكوين إمبراطوريته.

تعود على مثل تلك الأمور، يتخلص من كل من يهدده، بآية طريقة، هذه المرة صنع أمرا آخر، أنتظر أحد حراسه ابن الدكتور محمود أمام مدرسته، في موعد خروج المدرسة الساعة الثانية والنصف تقريبا، لفت الحارس نظر الولد إليه، صاح بصوت عالي:

ــ طارق، طارق.

نظر إليه تفحصه لم يعرفه، تذكر ما قال له والده:

ــ لا تقترب ممن لا تعرفه.

نظــر إليه الولد بقلق، تركه، ركض إلى أتوبيس المدرســة الذى يســتقله

كل يـوم، انطلـق الحارس حـتي لا يلفـت الأنظـار إليه، أتصـل الحارس راجـز ليعرف مـاذا يفعل ؟ أمره أن يكملـوا ما بدأوه. أن يحـاول أن يوقفوا الاتوبيـس على الطريـق الدائـري، انطلقوا خلـف الأتوبيس حـتي وصلوا إليـه، عندمـا وصلـوا، سـبقت أحـدى السـيارات الأتوبيـس وصدمته من الأمـام، أجبرته علـى الوقوف على جانـبي الطريق، بعـد أن وقفت أمامه. قفز أحد الحراس من السـيارة، دلف إلى الأتوبيس شـاهرا مسدسـه، جلس السائق على كرسيه مذعورا، لا يعرف ماذا يفعل. بينما الحارس، أخذ يبحث في كل كراسي الأتوبيس.

علـم الولد بما يحدث، أخذ حذره منهم، أختفى تحت الكرسـي الأخير الذى يجلس عليه. فتش الحارس ولم ير الولد جن جنونه بحث أسفل الكرسي، لكزه الولد الذى بجواره ليحذره. قفز طارق من مكانه بسرعة، ركض إلى الباب الخلفي، قفز منه إلى الخارج الحراس، كانوا موجودين بقرب الباب الأمامي. لم يتخيل واحد منه، أنه سيقفز من الباب الخلفي، قفز الحارس خلفه.

ركض الولد مسـرعا في الاتجاه المعاكس للسـيارات، يتفادى كل سـيارة تقابله، اقترب الحارس منه، كاد أن يمسـك به، أتت سيارة مسرعة تفاداها طارق بصعوبة، هم الحارس أن يفعل كما فعل الولد، صدمته السـيارة المسرعة وحملته أمامهـا لثلاثة أمتار ورمته بجانب الطريق، وجاءت سـيارة أخرى خلفها وصدمته، تناثر إلى أشلاء.

ركض طارق الصغير للجزء الاوسـط بين الطريقـين، رأى حارس آخر ما حدث للحارس الأول، ركض خلف طارق مسـرعا، يحاول أن يلحق به ولكن طارق عبر الطريق بسـرعة للاتجاه الآخر، عبر خلفه الحارس، كاد الحارس

يمسكه، أراد طارق أن يفعل مثل ما فعل مع الحارس الأول، انطلق في الاتجاه المعاكس يتفادى السيارات سيارة تلو الأخرى، اقترب منه الحارس أرتبك طارق لحظة واحدة، اصطدمت به السيارة التي أراد أن يتفاداها، هوى الولد على الأرض جثة هامدة، لا تتحرك. وقف الحارس، ينظر، انطلق بعيدا.. لكن السيارات لم تقف، واصلت السير، دهست أكثر من سيارة على جثة الولد الصغير، تناثر إلى أشلاء.

لا يعرف الحرس، ماذا يفعلون، اتصلوا بواصل، صرخ بصوت عال:

ـ أتركوا المكان حالا، حتي لا يتعرف عليكم أحد.

غادر الحراس المكان، قفزوا إلى سيارتهم الجيب، تركوا المكان سريعا، جلس سائق الأتوبيس على الأرض يبكي بجوار جثة الولد الصغير ومعه باقي الأطفال، يبكون بصوت عال على صديقهم، يبكي الجميع على جثة الطفل المسجى على الأرض المتناثرة الأجزاء، لا أحد ينظر على جثة الحارس الذى يفترش الأرض في الجانب الآخر، اتصل السائق بمدير المدرسة، قص عليه ما حدث يعرف المدير الدكتور محمود معرفة شخصية، لا يدخر وسعا في علاج إي طفل أصيب في المدرسة، وتقديم يد المساعدة إلى المدرسة، أتصل المدير الدكتور محمود، وقال له:

ـ حدث حادثة لأتوبيس المدرسة.

ـ هل حدث شيئا للأولاد ؟

ـ نعم يا دكتور، أصيب بعض الأطفال. ابنك أصيب مع الأولاد.

أصيب الدكتور بحالة من فقدان الوعي لمدة دقيقة يكلمه المدير، ولا يدرك

مـا يقوله، تحولت إلى حالة من الهسـتيريا والصراخ في التليفون، لا يصدق ما يحدث، عاد إلى وعيه، صرخ:

ـ أين ابني الآن.

أخبره المدير أنه علـى الطريق الدائري بين محطة المرج الجديدة ومحطة المؤسسـة، قفز إلى السيارة، لم يغير ملابسـه التي يرتديها، وعندما وصل إلى هناك، شـاهده مغطي بالأقمشة البيضاء والشرطة بجواره، أحس أن جزء منه يطـير عاليـا، ولا يجد مكانا يهبط فيه، رأى أجزاءهـا متناثرة في كل مكان، جـال بنظره في المـكان، وجد جثة الحارس خلف الأتوبيس على بعد عشـرة أمتـار تقريبا من الجثة الأول، تفحص الحارس جيدا، تعرف عليه إنه وائل الحارس، الذى تحدث عنه الدكتور رائد، همس في نفسه:

ـ أنا من فعل ذلك، أنا من صنع هذه الآلة التي لو انتشـرت، لقضت على الحياة البشرية.

(٣)

عــرف راجز أن رائد قابلــني وقص علي ما حدث منــه، وأني علمت أنه خلــف خطف الحراس، زاد الحادث من عزم الدكتور محمود على القضاء على راجز وحراســه، أتجه إلى ابنه في الاتجاه المعاكس، وضع يده فوق رأســه، لم يتخيــل أن يحدث لابنه الذى طالما حلم بــه أن يموت على يدى مخلوق صنعه بنفســه، مسـح رأســه بيده، جال في ذاكرته ما حدث له. شــاهده وهو يكبر أمامــه، ويزدهر مثل الزهرة الجميلة عند خروجهــا من بين الاغصان، سمع صوت نبضات قلبه المضطربة: سأل نفسه:

من فعل ذلك لابنه الصغير؟

سأله الضابط:

ــ هل تتهم أحدا بقتل ابنك؟

نظر الدكتور محمود إلى نفسه، كأنه يقول:

ــ أنا الذى قتلته.

أزرف الدموع من عينيه هم أن يقول:

ــ أنا من فعل ذلك.

تراجــع بعد أن فكر أنه الوحيد القادر علــى تدمير هؤلاء الحراس، قال في هدوء:

ــ لا أتهم أحدا.

همس في نفسه:

ـ أنا من غير الطبيعة البشـرية المسـئولية الأولي على أنا، ثم راجز الذى يستخدم كل شيء، لأخذ ما ليس له.

زاده الحادث عزيمة على إتمـام إنتاج حراس جدد قادرين على مواجهة حراس راجز، شـد ذلك من عزيمة محمود، استمر في عمله لإنتاج الحراس، هو من صنعهم، يسـتطيع أن يصنع غيرهم في أي وقت، يحملون نفس الصفات الوراثية لحراس راجز، داوم محمود على عمله الجاد لمدة ثلاثة أشهر، ظهر بعـد ذلك الحـراس الجدد، حاول راجز وشـركائه في وقف مسـيرة الدكتور محمود، أعدوا كمينا آخري.. ولكن هذه المرة لخطف ابنته الصغيرة همسـة، لو اسـتطاعوا، لتمكنوا من القضاء على الدكتـور محمود، وردء خطره تماما، سـوف يزيدوا من حسـرته. قرروا خطفها وتهديده بقتلها لن يفعلوا مثل ما سـبق مع ابنه، لن يهجموا على الأتوبيس مـرة أخرى، المدير أعد خطة لكي يمنـع نفس ما حدث. ذادت الحراس على الأتوبيس الذى ينقل ابنت الدكتور محمود، وضع حراس داخل المدرسـة وعلى أبوابها وداخل الأتوبيس، خصص المدير حراسـا لحماية الأولاد. عززت الحكومـة الكمائن الأمنية على الطريق الذى تسـير فيه السيارة، كان عليهم خطف البنت في المنطقة الأكثر أمانا عند منزلها.

لم يتوقـع كل الناس أن يحدث الخطف عند منزل الدكتور محمود، لآنه يوجد داخل كمبوند في مدينة الشيخ زايد، المدينة الأكثر تأمينا. فكر راجز في ذلك لآن المسافة بين الطريق وفيلا الدكتور محمود كبيرة، تسمح بتوقفها دون أن يدرى أحد، وهمسة دائما تمشيها لوحدها دون خوف.

الخطــة أن يتعلــق حارس من الحراس بالجزء الســفلي مــن الأتوبيس، يلتصق به وينتظر حتي منزل الدكتور، عند المنزل، يسمع إشارة من الحراس الموجودين بالقرب من المنزل، يترك بعدها السيارة، يقفز بعيدا عنها، ينتظر نزول همســة من الأتوبيس، أراد الحارس أن يداعب همسة حتي تكون عملية الخطف ســهلة، لم تتجاوب همســة مع مداعبة الحارس، فما كان منه إلا أن امسك بها عنوة صرخت:

ــ أبي، أبي.

سمــع صوتهــا كل من في المــكان، نظرت رحمة من بلكونــة المنزل، رأت الحارس يمســكها، صرخــت هي الأخرى، سمعها الحــارس، أرتبك، حمل همســة على كتفيه، وهرب حتي قابل الســيارة الجيب السوداء، دلف إليها مســرعا، وغادر المكان، أخذ الحارس همســة إلى شركة وددت، أراد راجز أن يشغل تفكير الدكتور محمود.

بعد حوالي ســاعتين، اتصل أحد الحارس بمنــزل راجز، وطالبه بمبلغ اثنــين مليون جنيــه حتي تعود ابنته إليه، حــاول الدكتور محمود أن يؤخر الأمــر قليلا، أكد له أنه ســوف يعد المال بعد يومــين، ترجاه أن ينتظر حتي يجهز المال، صرخت رحمة صرخة مدوية:

ــ فقدت ابنى، والآن ابنتي.

وضع الدكتور محمود يده على رأسه، قال لها:

ــ لا تخافي، ستعود.

أبلغ الدكتور محمود الشــرطة، أكد مدير الشــرطة إنه لا يمكن أن يقضي على راجز إلا بوجود حراس مثل حراسه، قرر محمود العمل سريعا في صناعة

حراس جـدد، أتم عمله سـريعا.. لكن في اليوم التالـي، اتصل الحارس مرة أخرى بمنـزل الدكتور محمـود، ردت على التليفون رحمة زوجته اسـتغل راجـز لهفـة رحمة علي ابنتها، طلـب منها نفس المبلغ لم يكـن يريد المبلغ ولكنه يريدها لكي يستطيع أن يضغط على محمود، طلب منها أن تجهز المبلغ بسرعة، قالت له:

ـ أن المبلغ جاهز.

أمرها أن تقابله السـاعة الخامسة مسـاء على الطريق الدائري أعلي نزلة مسطرد.

أن تنتظر هناك إلى أن يأتي إليها، ليسلم لها البنت، وافقت.

أمرها أن لا تبلغ زوجها، أو الشرطة بما اتفقا عليه، استغل راجز شغف البنـت بأمها، نفـذت رحمة كل ما قاله راجز لهـا، جهزت المال، لم تخبر زوجها بما طلبه منها راجز، اسـتقلت سيارتها قبل الوقت المحدد بساعات، ذهبت إلى المكان الذى حدده لها راجز، انتظرت طويلا حتي اتصل بها حارس راجز، أمرها أن تترك الطريق الدائري، تنزل نزلة مسطرد في اتجاه الشرقية، تنتظر عند الكوبرى الثاني على النيل.

نقـذت رحمة ما طلب منهـا، توقفت رحمة في المكان الذى حدده لها بعد لحظات من وصولها، ظهرت إحدى السيارات المرسيدس السوداء، ظهر خلفها أحد الحراس، تقدم إلى سيارة رحمة، سألها:

ـ هل معك المال ؟

أجابت بسرعة وخوف.

ـ نعم معي المال.

أشار لها بالنزول، نزلت، ركب مكانها، جلست بجواره والآخر خلفها، انطلق الحارس بالسيارة بسرعة بين الحواري ولأزقة الضيقة، حتي وصلوا إلى مكان بين الزراعات في منزل معزول عن الناس توقف الحارس، أمرها أن تنزل من السيارة، لترى ابنتها، نزلت رحمة، أشاروا إليها بدخول المنزل، لهفتها على ابنتها، جعلتها تدخل المنزل بدون أن يجبرها أحد، وصلت إلى باب المنزل، نظرت إليه وجدته مكون من طبقين، نظر الحارس إليها، قال لها:

ـ أدخلي.

أحست أنها لن تخرج منه ولكن ابنتها بالداخل، كيف تتركها وحيدة، ركضت بسرعة إلى داخله، تبحث في كل الاتجاهات عن ابنتها الصغيرة. الزهرة المتبقية لها بعد موت ابنها طارق، وجدت صالة صغيرة، بعدها صالة كبيرة تخرج منها طرق، مشيت في الطرقة الصغيرة حتي وصلت إلى نهايتها، تنظر في كل الاتجاهات يمينا ويسارا، سمعت صرخات ابنتها وهي تقول:

ـ أمي، أمي.

تركوها تفتح باب الحجرة، رأت همسة أمسكت رحمة بها، ضمتها إلى صدرتها، أزرفت الكثير من الدموع.. لكن لم يتركها الحارس بسرعة، سألوها:

ـ أين المال.

في حقيبة السيارة.

أزاحوا بالمرأة في الحجرة مع ابنتها بلا رحمة، تركوها، انطلقوا إلى السيارة، وجدوا الحقيبة مملؤة بالمال كما قالت المرأة، المال ليس المقصد من

اختطاف زوجة محمود، اتصلوا به، حاولوا أن يشــغلوه بزوجته وابنته، قال له:

ــ زوجتك وابنتك عندنا، تعالي وخذهما لو استطعت، تعرف من نحن.

الكلمــات دخلت في رأس الدكتــور محمود كالقنابل بلا رحمة، تقذف به في كل الاتجاهات

(٤)

شـغله خطـف زوجته وابنته عن مشـروعه للقضاء علـى حراس راجز، اتصـل به أحـد الحراس يخـبره أن يجب أن يدفع خمسـة ملايـين جنيه، ليفتدي زوجته وابنته، اتصل بسرعة بالدكتور رائد الذى أكد أنه راجز، هذه طريقته، وطريقة شـركته، أبلغ محمود الشـرطة، ذهبت الشرطة إلى المركز الطبي لشركة وددت، أنكر راجز.

أعـد الدكتور محمود خطة للقضاء على حراس راجز المستنسـخين، حدد الموعـد والوقت، يفكر في زوجته وابنته ما تبقي له راقب الدكتور رائد مركز وددت جيـدا، وحـدد اليوم الذى يأتي فيـه الحراس لكى يقوموا بالكشـف الدوري الأسـبوعي، يوم الجمعة من كل أسـبوع، لتجديد خلاياهم والتخلص مـن الخلايا التالف، وإعادة الحـراس إلى حالتهم الطبيعيـة، لاحظ رائد أن حـراس راجز، يدخلـوا المكان على دفعات كل دفعة لهـا وقت محدد لتأمين باقي الحراس، الفترة الأولي يسـتطيع محمـود أن يهجم على حراس راجز، أسـتغل الدكتور محمود هذه الفترة، انتظر يوم الجمعة الساعة الثانية تماما، اختفي هو وحراسـه بعيدا، حتي دخلت الدفعة الأولي يعرف الدكتور جميع الأطبـاء في الداخل أصحابه، أتفق مع أحدهـم أن يفتح الباب الخلفي، ليدخل منه هو وحراسه.

دخل الدكتور محمود وحراسـه المركز، شاهد جميع الحراس في حالة من

الخمود التام، أحاط الدكتور محمود بالمكان ومعه حراسه، وافق الأطباء على التخلص من الحراس فتتوا خلاياهم، تخلصوا من الدفعة بسهولة.

كل مجموعة لها قائد يقوم بتوجيه المجموعة، باستمرار، ويتم الكشف الطبي عليها بالترتيب على حسب قائمة معدة مسبقا من قبل قائد المجموعة، يقف قائد المجموعة في الخارج وينادى ليدخل حارس تلو الأخر، ويدخل هو آخر فرد في المجموعة، توجه قائد المجموعة الثانية، أدخل الجميع علي حسب القائمة التي معه حتي جاء دوره، وجد الطبيب يرتجف سأله:

ـ لماذا ترتجف،لا تخف هل حدث أمر ما.

ـ لا،لا شيء يا حامد.

نظر إلى الطبيب الذى بجانبه، غمز بعينه، وقف الحارس سريعا، هجم على مجموعة الأطباء، كم هجم على الدكتور رائد، أمر رائد الحراس بالهجوم عليه، أرداه قتيلا.

سمع الدكتور محمود صوت صاخب، أمر الحراس بالتدخل سريعا وعندما حل موعد الدفعة الثالثة كان الدكتور رائد مستعدا لهم أمسك قائد المجموعة بالقائمة، إدخال واحدا تلو الآخر من المجموعة على حسب القائمة، كلما دخل حارس دخل إلى آلات الكشف الدوري، فتته الدكتور محمود إلى خلايا.

شك الحارس الأخير في أمر الحراس التي تمسك كل حارس من الحراس السابقين عند دخوله للكشف الطبي، هذه أول مرة يراهما فيها، توجس الحارس خيفة من الأمر، أخبر القائد بما رأي، هرب الحارسان بسرعة، دلفا الي داخل السيارة، انطلقا بأقصى سرعة.. لكن حراس الدكتور، تراقب المكان جيدا، انطلق الحراس خلف الحارسين بسرعة، اتصل الحراس بالدكتور

محمود، قال له أحدهم: نحن علي الطريق الدائري في اتجاه مسطرد.

انطلقت السيارة إلى الطريق الدائري وعند نزلة مسطرد، انحرف السائق، اتخذ طريقا فرعيا ثم أنحـــرف في طريق متعرج إلى أن وصل الحواري القصيرة والأزقـــة، اختفـــي عن الأنظـــار، دخلت الســـيارة أحدى المنـــازل، لم يحدده الحراس، أبلغ الحارس الشرطي المتواجد مع الدكتور محمود.

أبلـــغ ضابط المباحـــث في المنطقة، حدد له نوع الســـيارة وبعد حوالي ربع الســـاعة،حدد رئيس المباحث المنزل الذى، دخلت فيه السيارة، انتظر رئيس المباحـــث الدكتور محمود والحـــراس بالقرب من المنـــزل، لم يدخل خوفا من الحارسين بعد قدومه إلى المنزل، أبلغ الشرطي، قائلا:

ـــ أنه يراقب مداخل المنزل ومخارجه.

أقتحـــم الحـــراس المنـــزل قابلهم الحارســـان بوابل من الرصـــاص، أطلق الحراس الرصـــاص عليهـــم، زادت كثافة الرصاص من الجانبـــين، أراد أحد الحارسين الفرار من جحيم هذه المعركة الشرسة.. لكن حراس الدكتور محمود لم يتركـــه، أطلقوا عليه النار، أردوه قتيلا أما الحارس الآخر، أمتلأ جســـده بالرصاص، انطلق إلى الصالـــة الداخلية، ودخل الغرفة الصغيرة الموجودة بها زوجة الدكتور محمود وابنته همســـة، حاول أن يختفـــى من الرصاص.. لكن الحـــراس لم يتركوه. أمطروه بوابل من النـــيران، صرخت الأم دخل الحراس الغرفة:

ـــ ابنتي، ابنتي.

ظـــن الحارس أنهم من الشـــرطة، أطلق النيران علـــى الأم، أرداها قتيلة، صرخـــت البنت، أطلق الحارس الرصاص عليهـــا، أرداها قتيلة هي الأخرى،

أطلــق الحــراس عليه مئات الرصاصات، فخر ســاقطا على الأرض كالشــجرة المقطوعة حديثا، امســكوا به، أخرجوه من الغرفة. خرج الشرطي خلفه، قفز الدكتور محمود في مكانه، يسأل:

ــ أين زوجتي وابنتي، هل رآهما أحد،

لا أحد من الموجودين، ينظر إليه الجميع ينظرون بعيون الحسرة والحزن، انطلــق يبحث بين حجرات المنزل، يجرى كالمجنون بين جنبات المكان حتي وجدهما، شاهد البنت تحضن أمها.. كأنها تستغيث بها، الدماء تسيل منهما في كل جــزء من الغرفة، أنهار الدكتور محمود، وقع على الأرض يصرخ، وقع مغشــيا عليه، أصيب بحالة من الهســتيريا العصبية، لعدم تصديق ما حدث، أخذوه إلى المستشفى القريب، جلس في غرفة العناية لمدة ثلاثة أيام، لا ترمش عيناه، لا تهمس حــتي رد إلى وعيه مرة أخرى، رجعت إليه ذاكرته، طالب الأطباء أن يدفن زوجته وابنته حتي لا يتحمل وزرها حتي يغلق هذه الصفحة المرة من حياته وينســى كل ما حدث فيها، يريد أن يمحو أخطاءه من حياته، يريد أن يغلق الباب، لكي يســتريح.. لكنه لن يســتطيع، مــلأ قلب الدكتور محمود بالحزن الجميع، يحاول أن يخرجوه من حالته التي يعيشــها، حتي أخيه الأكبر لم يستطيع أن يخرجه من هده الحالة.

(٥)

الحزن يأكل من جسده كالسوس الذى يأكل جذور النباتات حتي ينهي عليها، تقع الشجرة على الأرض، لا تقاوم مرة أخرى. أفاق من حالته التي كان عليها.

صمم أن يدمر كل شركات وددت ومركزها الطبي، لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه هو أكثر الناس تأثراً بهذه الشركة، أكد للشرطة، بصناعة الحراس في المركز، قررت الحكومة أن تدمر الشركة، حل الشركة إلى مصانع صغيرة، وزعت على أعضاء مجلس الإدارة.

اقتحم الحراس المركز، لم يجدوا في المكان إلا راجز وبعض حراسه العاديين، كان معهم رئيس الشرطة، أمر بنسف المركز، تدمير كل المعدات الموجودة في المكان، لم يصدق راجز الأمر، أصر على رؤية أمر النيابة، لم يستطع أن يتملص من الأمر، كما يفعل دائما.

جلب الدكتور محمود حراسه، أمرهم أن يقتحموا المكان، دمر الحراس كل الآلات الموجودة في المكان، لم يعجب راجز ما يحدث، امسك مسدسه وصوبه على أحد الحراس، أصابه في صدره، استشاط الحارس غيظا، ضربه عدة ضربات قوية على صدره، امسكه، ألقي به من على الأرض، طار بعيدا، هوى على الأرض مرة ثانية، بين الحياة والموت، ذهب إليه الدكتور محمود، قال:

ـ هذا مثل ما فعلته مع زوجتي وابنتي، قال راجز:

ـ ليس أنا من فعل ذلك، ستكتشف ما يدهشك يا دكتور، غاب عن الوعي.

كانت هذه أخر كلماته، التي لفظ بها قبل موته. انتظم الدكتور محمود في عمله الجامعي بعد أن أفاق من صدمته، انتقل إلى العيش في السيدة زينب في منزله القديم مع أخيه، ترك الفيلا في الشيخ زايد، انتظم في عمله في مركزه الطبي، يقضي فيه كل وقته، أختار محمود أن يتخلص من الحراس المستنسخين بعد استشارة أصدقائه، حتي لا يتسبب في أضرار أخرى، لكي لا يُستغل أحد الحراس بطريقة غير طبيعية، فتت كل الحراس الموجودين في مركزه، دمر كل الآلات التي كان يستخدمها في صناعة هؤلاء الحراس.

حاول كثير من المراكز إغراء الدكتور محمود، بالعمل معهم في مجال الاستنساخ.. لكنه رفض أن يعمل في هذا المجال مرة أخرى، رأى ابنه وابنته وزوجته يموتون بين يديه. الحياة تتغير تتبدل عندما تكون لك تذهب إلي أقصي ما تستطيع كالطائر الذى يطير إلي اقصي ما يمكنه، وعندما تكون ضدك تصل إلي أدني ما تستطيع كالشلال الذى يسقط منه الماء يصل الماء إلي أدني ما يمكنه، لا تستطيع تغيرها ألا بالعمل الجاد.

بعد فترة من الوقت، اكتشفت أن همزة طلقت من زوجها، حاولت التوفيق بين محمود وهمزة مرة أخرى، حاولت أنا والدكتور رائد ترتيب موعدا للقائهم، كان عمها الدكتور، واثق لازال يعمل في الجامعة، استاذا متفرغا بعد وصوله لسن المعاش، جعلتُ عمها واثق، يتصل وقال له ما أملته عليه:

ـــ أنا مريض أريد أن أقابلك في كلية طب العلاج الطبيعي في الساعة الثالثة، لكي تذهبي معي للدكتور.

ذهبت إلى محمود قبل أن تأتي همزة بحوالي ساعة، جلست أتكلم معه، وقبل أن تأتى الساعة الثالثة قلت له:

ـــ أن هناك حالة حرجة تحتاج إلى عناية خاصة، لم أجد غيرك ليقوم بالعناية بها، تعالي معي لتتفقده مضي معي دون، أن يهمس بكلمة.

الطبيعة المحب للناس التي تساعد الجميع دون طلب، تحب الخير للجميع مررنا على الصالة الصغيرة وفي كل وقت، ينظر الدكتور محمود إلى كأنه، يقول:

ـ هل الغرفة بها صديقك.

أنظر إليه أهز برأسي، يعلم أن الغرفة لم تصل إليها، أعرف من أين سوف تأتي إلى همزة، مشيت الممر الذى يصل إلى الصالة الكبيرة ومكتب عم همزة الدكتور واثق، هممت أن أدخل الصالة الكبيرة.. لكنها هلت كالقمر عند بزوغه في منتصف الشهر العربي، مضيت إليها مشي معي، لا يعرف ماذا يفعل، كأنه يتحرك كآلة، تتوجه باستخدام الريموت كونترول، تتحرك دون علم، فوجئ بها أحسست أن الحياة، رجعت إليه مرة أخرى، خرج عن صمته، واحساسه الذى لازمه بقية حياته، تصنعت أني مشغول وقلت لهما:

ـ تذكرت أن هنالك مريض يحتاج إلى لا بد أن أذهب،

غادرت في لحظات قليلة وتعمدت، أن أترك همزة مع محمود، تذكرا لقاءاتهما في الجامعة، وتذكرا لقاءهم الأخير عندما كانا في المطعم وجاء وخطيبها رجاله، وضربوه من أجلها، تذكرا كل أمانيهم الجميلة، التي كانا يحلما بها، لامها على زوجها، قالت:

ـ تزوجت لكـي أحافظ على حياتك، هددوني لو رفضت الزواج سـينهي حياتك، تعرف أنه يستطيع أن يفعل.

نظر إليه ليخفف من حزنها، قائلا:

لا تحزني لقد نسيت هذه الأيام يا همزة، نسيت ما فعل بي.

صمت قليلا ثم أستطرد:

ـــ هل لازلت متزوجة يا همزة.

قالت بنبرة من الحزن:

ـــ انفصلنا من حوالي ست سنوات.

ـ هل عندك أطفال؟

عندي بنت في الجامعة الآن ؟

ـــ مضى حوالي ثمانية عشر عاما منذ آخر لقاء. كنا معا هل تذكرني؟

ـ لا تذكرني به أني أراه أمامي كالضوء الخافت يظهر ثم يختفي.

ـ لماذا انفصلت منه وعندك بنت تحتاج إلى رعاية منكما.

قالت في حزن:

ـــ دائمـا متفاخرا كالطاووس، يحـب كل ما هو جديـد، يحب كل بنت جديـدة كل ممثلة جديدة، لا بد أن يقيم معها علاقـة يتزوجها عرفي لمدة من الزمن، بالمبلغ المالي الذى تريده، وبعد أن يطفأ نورها وتظهر ممثلة جديدة أو بنت جديدة جميلة أو ليست جميلة، يلهث خلفها، ويترك الأخرى أما أنا.. زوجتـه لإكمال صورته الاجتماعية بين الناس، ليقول للجميع أنه متزوج من بنت عائلة كبيرة، أسمع كل فضيحة يرتكبها، وأسكت لا أتفوه بكلمة، خوفا على ابنتي، أسـأله في كل مرة يكذب الخبر، ويقول إنها إشـاعات فهو تاجر

كبير ومعروف وله اسمه في السوق، بعض الناس يكرهونه، ويروجون حوله الإشاعات، لا تصدقي أحدا يا حبيبتي، كل مرة كانت الشكوك، تأكل صدري، ولكن الآن لا أصدقهم صدقته، وتمنيت في نفسي أن يكون كلامي صحيحا.. لكن في يوم من الأيام عندما ظهرت النجمة مها العيسوي، أراد أن يقربني منها، دعاها إلى المنزل دون علمي، أتت، قال:

ـــ تريد أن تتعرف عليك، الغيرة تأكل من رأسي، شعرى يشيط من الغيظ.

وقلت:

ـ أنا لا أتعرف على أحد، أتت دون رغبتي، قابلتها فهي ضيفة في منزلي، انتظرت حتي انتهت الزيارة، لتذهب من منزلي.. لكن لا أعرف كيف حدث، بقت حتي منتصف الليل، همت أن تذهب قال لها زوجي:

ـــ لا تذهبي الآن تأخر الوقت، تستطيعي أن تمكثي في المنزل، إلى غدا، فتحت حجرة نوم الضيوف، وذهبت أنا وابنتي إلى فرشنا، كالعادة جلس زوجي معها، لم يأت للنوم معي جلس بجوارها، غالبني النوم، غصت في نومي.. لكن لا أعرف ما أيقظني من النوم، خرجت من حجرتي، وجدت باب غرفة الضيوف مفتوحا نظرت من الباب شاهدت هي وهو في نفس السرير، صرخت لم أبالي لمشاعره أو حتي لأبنتي النائمة، صرخت استيقظ كل من في المنزل علي صوتي، اصابتني حالة من فقدان التركيز، خرج إلى لم يقدم اعتذارا، ليواسيني.. لكنه هجم وصفعني بقوة، أخذت ابنتي، تركت المنزل، خرجت أتي إلى عند والدى، ليقول كلماته المعتادة عندما يخطئ:

سامحيني أنا نادم.

لم أتقبل اعتذاره أو أعفو عنه، طلب مني والدى أن أغفر له من أجل

ابنتي، رفضت لم أستطع أن أغفر، غصب علي والدى لكي أذهب إليه، قلت له:

لو غصبت علي سوف أترك المنزل، وستأُجر شقة في الخارج.

خاف من أن أنفذ ما أقوله لم يرغمني على العودة إليه أخذت فترة من الوقت، أفكر في ما حدث.. لكني نسيت كل ما حدث، ونسيته أيضا، لم يعد يأتي على مخيلتي كل ما أفكر فيه هو حياتي التي عشتها، أراقب كل ما تفعله، عرفت كل ما حدث، عندما علمت إنك أصبحت مستشارا للرئيس، أحسست بالسعادة، انتظر اليوم الذى أقابلك فيه، اتكلم معك.

(٦)

نظـرت إليه، صمت نظر إليها، تبـادلا النظرات، أحس أن حبه القديم، يعـود إلى الحياة مرة أخرى، تعددت اللقاءات بينهما هي المرأة الوحيدة التي أحبهـا، تمـني أن يعيش معها، الحب السلسـلة التي ربطـت قلبي محمود وهمزة، بروابط الـود والقرب، بائت محاولاتي بالنجـاح، تقدم إلى والدها، لم يجـد في هذه المرة مـا يمنع الزواج، وافق بصعوبة، تزوجا ورجعا إلى فيلته في الشـيخ زايد، المكان الذى كان يسـكنه مع زوجتـه الأولي رحمة، ولد فيه أولاده، عاش محمود حياة سـعيدة.. لكن خيال ابنـه يلازمه، يحيط به، لم يتمكن من التخلص منه، صارح زوجته، قائلا:

أريد أن استنسخ ولدا، من نفس جينات ابني المتوفي.

يحتفظ بكل جينات ابنه المتوفي في بنك الجينات في مركزه، لم تجد همزة إلا الموافقة على كلمات محمود قالت له:

ـ أفعل ما تريد.

حبـه الشـديد لأبنـه لا يفارقه، اسـتطاع الدكتور بأدواته البسـيطة أن يستنسـخ ابنه الأكبر طارق، يحمل كل صفات ابنه المتوفي، برمجه إلي نسخة مطابقـة لطارق الطفـل الذكي الصغير، يؤدى كل أفعال طـارق بعد نجاحه في استنسـاخ ابنه المتوفي، أحس بسـعادة غامرة، عوضه الولد المصطنع عن طارق

ابنه.. لكن هو في غمرة السعادة بعودته، أحست همزة أن في جوفها شيء ما يتحرك، علمت إنها حامل، قالت لمحمود:

ـــ يبدو أنك سوف تكون أباً.

زادت سعادته، ظن أن الله غفر له، انجبت همزة طفلها، سمته صياد، أحس محمود إنه يملك الدنيا وما فيها، عنده ابنه الأكبر وصغيره الذى يتعلق كل يوم بأخيه الأكبر، يحنو الأكبر على الطفل الصغير، يعطف عليه، يلاطفه، نسى محمود أنه طفل مستنسخ، اقتنع أنه الأكبر الذى سيحمي صياد.. أخوه الأصغر من كل شر، يتعرض إليه، بلغ طارق من كان يتمناه، ما حلم به في الدراسة والحياة.. لكن إحساسه أنه من برمجه وهو مصدر كل معلومة له، من لقنه المعلومة، لم يكتسبها من جهده في المذاكرة، ما يؤرقه الدكتور محمود هو علاجه الدوري الأسبوعي، يحتاج إلى وقت ومجهود، لا يستطيع أن يؤدى ذلك وحيدا، كبر سنه يصيبه بالإعياء.. لكنه يخفي الأمر عن الناس، لا يستطيع أن يضيع مصير ابنه الذى يحبه، يتمني أن يمد الله في عمره. كبر ابنه الأصغر صياد، أصبح في التاسعة من عمره، أصبح شديد الذكاء النسخة المصغرة من أبيه، التحق بلعبة كرة القدم التي أحبها كثيرا، يلعب في نادى الزهور القريب من المنزل، مهارته العالية جعلته من أحسن اللاعبين، أصبح لاعبا في فريق الناشئين تحت خمسة عشر سنة، وهو في العاشرة من عمره كل أندية الدوري الممتاز، تتصارع للحاق بها، تقدم عقوداً لشرائه.. لكن والده ورئيس النادي السيد أبو نيه صاحب شركات التكنولوجيا والأطباق الطائرة، لا يوافقان على بيعه، أحس الأخ الأكبر باهتمام الأب بأخيه الأصغر، يأخذ عنايته ورعايته: يتحدث معه قائلا:

ـــ يا أبي لم تختص صياد بكل شيء؟

ـ يا ابني انه الصغير.

أحس طارق أن صياد، أخذ كل شـيء منه، لا يعرف ما السـبب في اهتمام الـكل بصياد، أغمت الغيرة، عقل طارق أكلت من كل جزء من جسـده، تفوقه ونبوغـه في الـدرس والرياضة، جعله الابن المدلل لأبيـه وأمه، يعلم طارق أن والدتـه توفت، والمرأة التي يعيش معها ليسـت أمه، حبها الشـديد لأبنها، ألهبـت في عقله الغيرة، أشـعلت النار في الرماد، أصدقاء السـوء الذين يأتون إليه، والشخص الذى أثر فيه هو الدكتور واثق عم همزة، أستاذه في الجامعة، بعدما التحق طارق بكلية العلاج الطبيعي، أسـتطاع بتأثيره الشديد عليه، أن يؤجج روح الغيرة بين طارق وبين أخيه، تحول من عم همزة إلى إنسان آخر، يذكر طارق بحب والده لأخيه الأصغر، قائلا:

ـــ كل يوم يذهب والـدك لتوصيل أخيك الكبير إلـي المدرس ويهتم به، ويأخذه بعد ذلك إلى النادي.

يعرف الكثير عن طارق وعن الكشـف الدوري الأسبوعي له، ويعرف أين يقوم به الدكتور، نقل بعض الأجهزة إلى مركزه الطبي، استطاع الدكتور واثق أن ينقل المعدات التي لدى الدكتور محمود، يقلدها لم يفكر أحد، أنها القشـة التي ستقسـم ظهر البعـير، بعدما تمكن من أعداد آلات التحويل، والكشـف الدوري والبرمجة والتوجيه، الوحيد الذى يستطيع التجريب فيه ابن محمود الأكبر، اسـتطاع أن يجتذبه إليه بدون، علم أبيه أكد له أنه يمكن تحويله إلى الأفضل، أحسـن من أخيه صياد الابن المدلل بعـد تجربة المعدات على طارق، إعـادة برمجته، يريد أن يتخلص من الدكتور محمود، اسـتعد للأمر جيدا،

زرع الحقد في عقل طارق، جعله يزداد قسوة علي أخيه الأصغر، الذى أخذ مكانه في الأسرة، قرر طارق أن يتخلص من الولد الصغير، تحول الكره الذى زرعه واثق في عقل طارق إلى الاتجاه المعاكس إلى أخيه، يبد أن الصفات الوراثية لدى طارق، جعلت كرهه يتحول من أبيه إلي أخيه الاصغر.. لكن بدأت حالة الكره بإخفاء الكرة التي كان يلعب بها صياد، ظل يبحث عنها مدة كبيرة، لا يجدها بعد مرور ثلاثة أيام، وجدها صياد خلف المنزل، ممزقة إلى اجزاء متناثرة خلف المنزل وبعد أن يشترى واحدة أخرى، تختفي مثل الأخرى في كل مرة يسأل طارق، يقول:

لم أرها.

لا تمكث الكرة في المنزل أكثر من يوم واحد، أحس طارق أن والده يفضل شقيقه عنه، أعطاه مبلغا من المال، لم يعطى طارق أي مبلغ حتي بعد ما طلب منه، زاد ذلك من حنكة طارق عليه، قرر أن يأخذ المال من صياد بعد خروج والده، تقرب إلى صياد، قال:

أريد هذه المبلغ لأشتري كتابا.

قال له صياد:

ـ لن أعطيك المال أريد أن أشترى حذاء، أحتاج حذاء لألعب به الكرة.

صاح طارق:

الكتاب أفضل من الحذاء.

صرخ صياد في وجهه:

ـ أبي أعطاني المال، لم يعطيك أنت.

تحرك طارق نحو صياد بحنكة وغيظ، أراد أن يأخذ المال منه عنوة، أمسك

صيــاد يده، وقذف بها، زاد ذلك من غضب طارق، أمســكه، ضربه في الحائط القريب، ســالت الدماء من أنف صياد ومن رأســه. لم يتعرف طارق علي قوته بعد، وقف صياد بصعوبة وإعياء، حاول أن يضرب طارق بقوة في جسده، أثار ذلك غضب طارق، أدار نفسه بسرعة، كالأسد الهائج أمسك صياد، قذف به في الحائط بقوة، وقع صياد علي الأرض، سالت الدماء من رأسه، لم يتركه طارق، أمسكه، وقذف به بقوة في الحائط مرة أخرى ، وصرخ بصوت عالٍ:

ـ آه ، آه، آه.

سمعت همزة صوت ابنها وهو يصرخ، خرجت بســرعة، رأت ما حدث، وقفــت حاجزا بين الاثنين، حاولت أن توقف الشــجار، جذبها طارق بقوة، قذفها كالكرة إلى الحائط، ســالت الدماء من رأســها، رآهــا صياد مضرجة في دمائها، صرخت بصوت عالٍ :

ـ أيها المجنون ماذا تفعل ؟

حاول صياد أن يبعده مع إعيائه الشــديد، أمسكه طارق من خصره، رفعه إلى أعلــى وتركــه يهوي على الأرض، فقد صياد وعيــه، وقع جثة هامدة على الأرض، لم يتركه طارق بل أمسكه ورفعه إلى أعلى وقذف به على الحائط مرة أخرى، اصطدم بالحائط ثم اصطدم بالأرض، ســقط على الأرض، وسكن. رأته همزة، حاولت الوقوف لترى ابنها، أمسكها طارق، وقذف بها على الحائط، وقعت همزة على ابنها صياد وســكن الجســدان فوق بعضهما، عاد محمود إلى منزلــه، وجد صياد وهمزة جثتين هامدتين، يرقدان على الأرض دون حراك، أتصل بالشــرطة، أكدت الشــرطة أن الابن الأكبر هــو الفاعل، بحثت عنه في المنــزل.. لكنه هرب لا يعرف أين هرب ؟ يعرف محمود أنه لن يســتمر لمدة

هاربا، يحتاج إلى الكشف الأسبوعي، ذهب طارق إلى عم همزة واثق، قام بالكشف الأسبوعي عليه.. لكن عندما علم بموت ابنة اخيه وابنها، طرده من مركزه الطبي، ذهب طارق إلى محمود بعد أسبوعا من للكشف الطبي، أحساسه بالذنب، جعله لا يحاول مقابلته، ذهب إلى الدكتور عبد الناصر الذى عاد مرة أخرى للعمل مع الدكتور محمود، أصبح مساعده الرئيسي عندما رآه الدكتور عبد الناصر، أحس أنه مختلف لم يعد هو طارق الذى صنعه والده، أحس أنه غير طبيعي، ذهب إلى الدكتور محمود في مكتبه، قال له:

ـــ طارق أتي إلى المركز اليوم، ليس طارق الذى ربيته.

ـــ هو ليس طارق أصلا، طارق مات قبل أمه، ولكني لم أخرج له شهادة وفاة،

ـ أنا أعرف ذلك يا دكتور.

ـ ما أقوله لك هناك تغيرات حدثت في صفاته يا دكتور.

ـ من فعل ذلك ؟

ـــ لا أعرف يا دكتور.

أحس الدكتور محمود أنه من فعل ذلك بابنه، أنب نفسه، جلب الدكتور عبد الناصر طارق للكشف الطبي، فككه الدكتور محمود أثناء الكشف الطبي، ولم يعيده مرة أخرى، لم يحزن عليه، يلوم نفسه على فعلته، يظن أن ما حدث.. عقاب من الله له.

(٧)

لكن الدكتور ناصر تذكر عندما كان في مركز شركة وددت، لاحظ الدكتور واثــق، يأتي إلى المصنع باســتمرار إلى المركــز، يهتم كثــيرا بالتجارب على الجينــات، عندما تقابل مع محمود، وجده يلوم نفســه علي أنه صنع شــئياً، ثبت خطأه وأنه الوحيد الذى يعرف ذلك، كيف لم يستطع تغير سلوك الإنسان المستنسخ، قال له عبد الناصر:

ـــ ليس أنت المسئول عن تغير سلوك طارق.

ـ من يستطيع أن يفعل ذلك؟

نظر بحسرة إليه الدكتور ناصر، قال:

ـــ أنا الوحيد الذى يستطيع أن يجرى هذه التجربة،

قال له:

ـــــ يا دكتور ليس أنت الوحيد المهتم بالاستنســاخ،هناك واحد مهتم بها أكثر منك.

قال له محمود:

ـ من يهتم بها أكثر مني ؟

أجاب عبد الناصر:

ـــ الدكتور واثق لقد رأيته في مركز وددت، يهتم بالتجارب على الجينات.

صمت الأثنين ثم استطرد عبد الناصر:

ـــ يا دكتور لا بد أن نزور مركز الدكتور واثق.

انطلــق الدكتور عبد الناصر والدكتور محمود إلى مركز واثق وجد المعدات التي كان يستخدمها للكشف الاسبوعي على ابنه، سأل نفسه:

ـــ كيف نقلت هذه المعدات إلى هنا ؟

جاء الدكتور واثق وهو نادم ينظر إلى الأرض سأله:

ـ من نقل هذه المعدات إلى هنا.

ـــ أنا يا دكتور ضيعت على شــركتي، شــركة وددت الشركة العالمية التي جلبتها إلى هنا لكى تصنع الدواء، ضيعت على كل مكاسبي.

فوجئ محمود بكلمات واثق قال:

ـ انت من كنت تساعدني في الجامعة كيف تغيرت يا دكتور؟

أجاب واثق:

ـــ أنا لم أتغير أنــت كنت طالبا ممتــاز، كنت أريد أن أســتفيد منك أنا من أخترتك لشــركة وددت، وصنعت كل شــيء لتعمل عندي، راجز رجل من رجالي.

قال له:

ـــ أنت رئيس مجلس الإدارة ؟

أجاب واثق:

ـ نعم أنا رئيس مجلس الإدارة المخفي الذى لا يعرفه أحد.

نظــرت بعيني داخــل المركز وجد ما لم يتوقعه جميــع العاملين في المركز كانوا يعملون في شــركة وددت الســابقة، نفس عمال الشركة السابقين، كلما سأل الدكتور محمود أحدا من العاملين:

من أحضرك.

يجيب نفس الإجابة:

ـ الدكتور واثق من دلني على العمل في شـركة وددت وهو من جلبني معه بعد زوال الشركة.

لم اتخيـل أن الزمن يتغير ويتبدل، لم أتخيـل أن الصباح المخنوق يبكي دون ألم، يظهـر حزنه على وجهه دون أن يذرف دمعه واحدة، يتفتت الضوء الخارج عن الشـمس إلى إشـعاعات صغيرة، وقف الدكتـور بعيدا عن مكتبه. الحـزن يبدو علـى وجهه، الألم يظهر بوضوح في كلماتـه، تقدم إليه واثق في خطي ثابتة، تمتم الدكتور محمود:

ـ لم أكن أتوقع أبدا أن تقتل ابنة أخيك وابنها.

قال الدكتور واثق:

ـ لم أكن أقصد، حاولت أن أفسـد العلاقة بينك وبين طارق بعد أن قضيت على إمبراطوريتي.

قال محمود:

ـ هذه النتيجة يا أستاذي، أفسدت حياتي وحياتك، قضت على الأمل في الحياة.. لكي تأخذ ما لا تستحقه، قال واثق:

ـ لقد حاولت معك كثـيرا.. لكنك لم ترضخ لما أريد الحياة تتحرك بالمال وتتغير. قال محمود:

ـ الحياة تسير بالحب والتراحم بين الناس.

صرخ واثق:

ـ أستطيع إحلال وتبديل ما أريده باستخدام المال.

صاح الدكتور محمود:

ـ لا يحل إنسان مكان إنسان أخر حتي ولو تشابها في الصفات الوراثية، السلوكيات تغير من إنسان إلي إنسان أخر.

أبلغ الدكتور محمود والدكتور عبد الناصر الشرطة عن مركز واثق، أتهموه إن مركزه يعمل في تغير الجينات، قبضت الشرطة علي واثق، وجه رئيس الشرطة اللوم على الدكتور محمود أنه لم يبلغ عندما عرف ذلك ؟ أخذت جميع الأدوات الموجودة في المركز، تخلصت منها، لم يبلغ الدكتور محمود عن موت ابنه صياد. حتي لا يغلق التفكير في محالة استنساخه. ظل الدكتور محمود يقضي حياته في العمل، لا يتكلم كثيرا مع أحد، ابنه صياد يأتي إلى مخيلته كل يوم، لا يترك يوم دون أن يأتي إليه، يلازمه في منامه وصحوته، لا يريد أن يفعل كما فعل مع أخيه الأكبر.. لكن الشوق إلى ابنه الأصغر، حثه على أن يفعل ذلك، يحتفظ بنسخة من الصفات الوراثية لابنه في بنك الجينات الخاص بعائلته. وضع كل الصفات الخاصة بالعائلة في مركزه، ليحتفظ بها، كما وضع به كل الصفات الوراثية للاعبي الكرة المتميزين، مثل بيليه وزيدان، أراد أن يجعله لاعب متميز بل الأفضل في كل شيء.

استنسخ ابنه الأصغر بدون أي يعرف أحد، بعدما أخفي موته عن الجميع، سجل موت والدته فقط، أما صياد أصيب بإصابات خطيرة، وتم علاجه، رجع إلى حالته الطبيعية بعد حوالي ثلاثة أسابيع، ظهر صياد مرة أخرى، وعاد إلى حياته الطبيعية، عاد إلى فريقه، رجع إلى مدرسته، ما يؤرق الدكتور محمود هو الكشف الدوري الأسبوعي لتجديد الخلايا، استمر الدكتور محمود في متابعة ابنه اسبوعيا يجدد خلاياه، ويبرمجه بسلوكيات وصفات سوية،

وصل الولد لسن السادسة عشر، بعدها توفي الدكتور محمود وفيلا الدكتور عبد الناصر، وترك خلفه ابنه الصغير.. لكن الدكتور محمود في مرضه، أحس بدنو أجله، أتي إلى في النادي، قال:

أنت تعرف أن صياد يحتاج إلي مساعدة.

ـــ يا دكتور صياد ابني، أمد الله في عمرك.

قال بصوت خفيض: صياد ليس إنسانا عاديا.

ابتسمت ابتسامة خفيفة، قلت:

ـ صياد إنسان عبقري وموهوب.

ـ ليس كذلك يا دكتور صياد إنسان مستنسخ.

ـ ماذا تقول يا دكتور.

ـــ اسمعني صياد يحتاج للكشف الدوري الأسبوعي، كل الآلات التي ستحتاجها في منزلي، أرجوك يا دكتور أن تقوم بهذا الكشف وأن تحافظ علي سرى،

أوصاني بحفظ سره عن الجميع، أن حدث له مكره ما، وأحافظ على صياد وأحافظ على خطوات علاجه، لكي يحافظ على لياقته البدنية والنفسية.

رئيس النادي صديقا شخصيا له، يعوده أسبوعيا يعرف كل شيء عن صياد وعن والديه وعن أخيه الأكبر الذى توفي بسكت قلبي، لا يعرف حتي توفي محمود، اضطررت أشركه معي، فقلت له كل ما عرفته عن صياد، حافظت على مواعيد الكشف الدوري الأسبوعي.

كبر صياد وأصبح أحسن لاعب في مصر وجاءت له العديد من عروض الاحتراف.. لكن رئيس النادي لم يوافق على أي من هذه العقود، لآنها اللاعب

مرتبط بعقد طويل الأمد مع نادى الشـروق، خطيبته التي يحبها، تحثه على الاحـتراف.. لكنه لا يوافق لارتباطه بالكشـف الـدوري لا بد أن تعرف أنه إنسان طبيعي، يمارس جميع أعماله الطبيعية البيولوجية السلوكية حتي عند كشـف المنشطات لا تسـتطيع تفريق كرات دمه عن كرات الدم الطبيعية، هو خلية حية طبيعية.

في الشـهر الماضـي حدث عطل في جهاز الكشـف الدوري، لم أسـتطع أن أصلحـه، أخبرت رئس النادي بما حدث، كشـف رئيس الاتحاد أمر صياد، اتفـق الجميـع على حل هذه الأزمـة، وإعادة إصلاح جهاز الكشـف الدوري الأسبوعي.. لكنه لم يستطع إصلاحه، لابد للأمر من نهاية.

اجتمعنا جميعا أنا ورئيس الاتحاد ورئيس النادي، أختر الجميع نهاية لأسطورة صياد، وأن تكون النهاية الليل في مباراة نادى الشروق ونادى الأهلي لآن خلايا صياد، لم تعد قادرة على التجديد، الجسـم لا تعد إزالة التالف من الخلايا، لإعادة نشاط خلاياه. أخفي رئيس النادي ورئيس الاتحاد الخبر عن الصحف، وكان التصادم فكر من أفكار رئيس النادي، حتي الفيلة في السـادس من أكتوبر كانت فيلا رئيس النادي

عن المؤلف

الاسم: أحمد فتحي محمد عوض

الأعمال السابقة:

- راوية تاجر الذهب
- رواية طائر السرو
- راوية دماء البيانات
- ديوان الحب فوق أزهار الربيع
- ديوان إليها
- ديوان قطرات العشق
- كأس الهوى العذري

كتب الأطفال:

- الثلاث سماك
- مدرسة الفضاء

التواصل: على موقعي على الفيس بوك
أحمد فتحي الشاعر
رقم التليفون: ٠١٢٢٤٥٥٣٣٧٨ - ٠١٠٦٨٧٣٦٩٠٤

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع